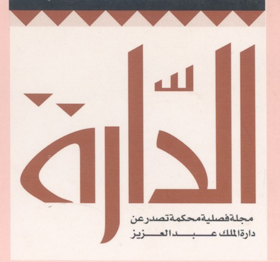


صورة الملك عبدالعزيز والمملكة في بعض كتابات الإصلاحيين الجزائريين

د. محمد عبدالكريم مراح

اتفاقية البريمي بين الدولة السعودية الثانية وسلطنة مسقط وعمان

حمد بن عبدالله العنقري

مَنْ مؤلف كتاب:

كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؟

د. محمد خير البقاعي

زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود إلى مصر

د. يعقوب يوسف الغنيم

العدد الثالث - السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ



لمزيد من المعلومات وللاستفسار الاتصال على

اللجنة التحضيرية للندوة - دارة الملك عبدالعزيز

هاتف ٤٠١١٩٩٩ تحويلة ٢١٤٩ مباشر ٤٠١٣٩٣٢

فاكس ٤٠٣٠٨٩٥ ص. ب ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

بريد إلكتروني: info@darah.org.sa



العدد الثالث - السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ





الإسهامات

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير
ص.ب ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩ ـ فاكس ٤٠١٣٥٩٧
بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com

السعر

السعودية ٥ ريالات، الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم،
قطر ٧ ريالات، البحرين ٥٠٠ فلس، الكويت ٥٠٠ فلس،
سلطنة عمان ٥٠٠ بيسة، المغرب ٨ دراهم،
مصر ١٥٠ قرش، تونس دينار واحد
خارج الدول العربية ما يعادل دولارًا أمريكيًا واحداً

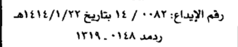
الاشتراكات السنوية

٢٠ ريالاً للاشتراك من داخل المملكة العربية السعودية
للاشتراك من الخارج ٦ دولارات أمريكية
ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم
دارة الملك عبد العزيز على العنوان الآتي:
ص.ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩ / ٢٠١٦ ـ فاكس ٤٠١٣٨٩٤
بريد إلكتروني aldarahmagazine@aldarahmagazine.com
موقع الإنترنت www.aldarahmagazine.com

شركات التوزيع

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع، الرياض، هاتف: ٤٤١٨٩٧٢
مصر: مؤسسة الأهرام للتوزيع، القاهرة، هاتف: ٥٧٨٦٢٠٠
الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة، دبي، هاتف: ٢٦٦٥٣٩٤
البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع، المنامة، هاتف: ٢٩٤٠٠٠
الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، الكويت، هاتف: ٢٤١٧٨١٠
سلطنة عمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام، مسقط، هاتف: ٧٠٠٨٩٥
قطر: دار الثقافة، الدوحة، هاتف: ٤١٣١٨٠
المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع، الدار البيضاء، هاتف: ٤٠٠٢٢٣

تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز


رقم الإيداع: ٠٠٨٢ / ١٤ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٢هـ
ردمد ٠١٤٨ ـ ١٣١٩



نشاطات الدارة

الدارة تنفذ مشروع الأطلس التاريخي للسيرة النبوية

شرعت دارة الملك عبدالعزيز في الإعداد للمشروع العلمي الموسوم بـ (الأطلس التاريخي للسيرة النبوية) الذي سيتناول الأحداث التي وقعت في العهد النبوي وسيرة الرسول ﷺ.

ويأتي تنفيذ الدارة للمشروع انطلاقاً من حرصها على خدمة تاريخ السيرة النبوية بطريقة فنية وحديثة؛ حيث سبق لها أن قامت بتنفيذ أطالس بمواصفات جودتها متميزة، مثل: الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، والأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة.

وقد تم تشكيل لجنة تحضيرية لإنجاز المشروع بناءً على موافقة مجلس الإدارة، تكون مهمتها تحديد المادة العلمية للمشروع، والإشراف على استكتاب الباحثين، ومراجعة الأعمال البحثية المقدمة. وتتكون اللجنة من عدد من الأساتذة المتخصصين بالإضافة إلى الجهات المتعاونة مع الدارة في هذا المشروع، وهي: مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ووزارة التعليم العالي.

تعاون مستمر بين دارة الملك عبدالعزيز وشركة أرامكو السعودية لتوثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية

تقيم دارة الملك عبدالعزيز مشروع تعاون مع شركة أرامكو السعودية؛ لتوثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية، وتعتمد فكرة المشروع على رصد صور التوثيق الممكنة من المطبوعات، والبحوث المنشورة، ويستثمر في ذلك الخبرة العلمية المتخصصة للدارة من جهة، والمحفوظات من الوثائق والصور الفوتوغرافية والسينمائية الموجودة لدى شركة أرامكو السعودية من جهة أخرى.

وستنظم الدارة خلال شهر رمضان القادم معرضاً عن المخطوطات السعودية في مقر الدارة، تكفلت شركة أرامكو برعايته ومتطلباته المختلفة.

بعد موافقة الأمير سلمان الدارة تطلق برنامج دعم بحوث مجلة الدارة التاريخية

وافق مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض رئيس مجلس إدارة الدارة على إطلاق برنامج (دعم بحوث مجلة الدارة التاريخية) الذي يهدف إلى تحفيز الباحثين في تاريخ الجزيرة العربية عامة والمملكة العربية السعودية خاصة إلى الكتابة في مجلة الدارة، عن طريق منحهم عدداً من الحوافز كأولوية النشر، ورفع المكافأة إلى الحد الأعلى وفق اللائحة التنظيمية للمجلة. كما تضمن البرنامج إنشاء بابي (ملخصات الرسائل الجامعية) و(ملخصات الدراسات العلمية قيد النشر).

ويأتي هذا البرنامج في سياق المرحلة الثالثة من تطوير المجلة.

دارة الملك عبدالعزيز تعقم مخطوطات مكتبة الحرم المكي الشريف

قام فريق من مركز الترميم والمحافظة على المواد التاريخية بالدارة بالعمل على تعقيم المخطوطات في مكتبة الحرم المكي الشريف باستخدام مركبة التعقيم المتنقلة الخاصة بالدارة.

وقد قام الفريق بتعقيم أكثر من عشرة آلاف مخطوط أصلي وكتاب من بينها مصاحف ومخطوطات بأحجام مختلفة، شملت العلوم الشرعية من التفسير والفقه والحديث.



أبواب المجلة

عندما اعتزمت مجلة الدارة اتخاذ خطوات جديدة في سبيل الرقي بها، اعتمدت على مجموعة من الضوابط والمعايير التي من شأنها أن تحقق النجاح الذي تطمح إليه. وبناء على هذا أعادت النظر في أعداد المجلة خلال ربع قرن، فأخذت منها ما برز على نظائره، وزادت عليها ما يسمو بها، وعلى هذا جاءت أبواب المجلة في ثوبها الجديد، وهي:

◀ ١ - **البحوث العلمية.** وتعد عماد مجلة الدارة، التي حاولت منذ أمد أن تحقق فيها أعلى درجات الدقة العلمية والجدة والموضوعية، وجاءت في حلتها الجديدة منتقاة موافقة لاتجاه المجلة محققة للغرض من إنشائها.

◀ ٢ - **البحوث المترجمة.** والغرض من هذا الباب تزويد القارئ العربي بالبحوث التي صدرت بلغات أجنبية كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية ونحوها من اللغات العالمية التي كان للباحثين في تلك الأقطار اهتمام بتاريخ الجزيرة العربية عامة، أو بتاريخ المملكة العربية السعودية خاصة.

وتشترط الدارة لنشر هذه البحوث أن يذكر اسم المؤلف الأصلي كاملا، والمصدر الذي أخذ البحث عنه، وأن تتميز تعليقات الباحث عن تعليقات المترجم. ولابد من إرفاق الأصل المترجم لمطابقة الترجمة وتحكيمها.

◀ ٣ - **الوثائق.** وهو باب جديد، ترمي المجلة من إنشائه إلى التعريف بعدد من الوثائق المحفوظة في مراكز حفظ الوثائق في دارة الملك عبدالعزيز وغيرها. وفي نشر هذه الوثائق المحفوظة إفادة للباحثين والمهتمين بتعريفهم بوثائق لم يكن يسهل تعريفهم إياها بغير دراستها ونشرها في المجلة.

ومن أجل نشر هذه الوثائق يفضل إرفاق صورة واضحة من الوثائق المدروسة، مع ذكر الجهة التي تحتفظ بها، ورقم الحفظ.

◀ ٤ - **مراجعة الكتب.** يختص هذا الباب بالبحوث النقدية المتصلة بالكتب المطبوعة في مجالات مجلة الدارة المتنوعة، بهدف التعريف بمحتوى الكتب ونقدها بأسلوب علمي من حيث السلبيات والإيجابيات ومواطن التميز وأوجه القصور.

وللنشر في هذا الباب ينبغي ألا تزيد مراجعة الكتاب عن تسع صفحات، وأن تتضمن المراجعة ما يأتي: موضوع الكتاب وحدوده الزمانية والمكانية والمرجعية، منهج الباحث في بحثه وأدواته ومصادره، إضافات الباحث واستدراكاته على من سبقه والجديد في بحثه، النقد الموضوعي (الإيجابيات، السلبيات)، إضافات المراجع واقتراحاته.

وللمراجع اختيار طريقة عرض الكتاب بما يلائم الكتاب وما يراه مناسبًا.

◀ ٥ - **ملخصات الكتب.** وهو من جديد المجلة، تلتزم فيه المجلة بوضع ملخص للكتب المؤلفة حديثًا، يعرف المطلع عليه بأبرز سمات الكتاب وموضوعاته ومجالاته. وقد يعرض الملخص مصادر الكتاب ومنهج المؤلف في كتابه، وغرضه من تأليفه. وقد يشار إلى ما يحتويه من أشكال وخرائط وصور ووثائق، أفاد منها المؤلف في كتابه.

ومجلة الدارة ترحب بالباحثين الذين يرغبون في نشر مراجعات علمية لكتبهم أو كتب غيرهم أو ملخصات لها، إذ تستقبلها على عنوانها البريدي، باب: مراجعة الكتب، أو باب: ملخصات الكتب. ومن المستحسن أن يرفق المؤلف نفسه ملخصا لكتابه.

◀ ٦ - **تعقيبات وتعليقات.** تنشر فيه المجلة ما يرد إليها من الباحثين والقراء من تعقيبات أو تعليقات على ما نشر فيها بغرض زيادة التواصل العلمي بين الباحث وقرائه.

شــروط النشــر

تعنى مجلة الدارة بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية بخاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.

وينبغي أن تتوافر في هذه البحوث الشروط الآتية:

١ – أن يتسم البحث بالأصالة والمنهجية العلمية والجدة في الموضوع والعرض.

٢ – أن يكون صحيح اللغة، سليم الأسلوب، واضح الدلالة.

٣ – ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلا من رسالة علمية أو كتاب مطبوع.

٤ – أن يكون البحث مطبوعًا على الحاسب الآلي، مرفقا معه القرص المنسوخ عليه.

٥ – أن يرفق مع البحث ملخص له باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة، مع الحرص على الدقة في كتابة العنوان باللغة الإنجليزية.

٦ – أن ترفق نماذج واضحة من الأشكال التوضيحية والصور والوثائق والمخطوطات.

٧ – أن توضع الحواشي في آخر البحث، على أن يكون الترقيم متواصلا.

٨ – أن تذكر المعلومات الوراقية (الببليوجرافية) للمصادر المعتمد عليها (الكتب، والمقالات، والمخطوطات) عند أول ذكر لها في الحواشي، استغناءً عن قائمة المصادر والمراجع.

٩ – أن تكتب الأسماء الأجنبية باللغة العربية، وتكتب بلغتها بين قوسين عند أول ورود لها.

١٠ – أن يرفق الباحث سيرة ذاتية له توضح نشاطه العلمي والعملي.

منهج النشــر

١ – تخضع البحوث الواردة للمجلة للتحكيم العلمي. ويلزم الباحث إجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين، مع تعليل ما لم يعدل.

٢ – يعطى الباحث عشرين مستلة من بحثه، وخمس نسخ من المجلة.

٣ – تمنح المجلة الباحث مكافأة مالية، وفق اللائحة المعتمدة.

٤ – لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشر أم لم ينشر.

٥ – تحتفظ المجلة بحقها في الحذف والاختزال والتعديل اليسير بما يتوافق مع أغراض الصياغة والمنهج العلمي المتبع.

٦ – لا تعبر الآراء الواردة في البحوث بالضرورة عن رأي المجلة.

٧ – لا صلة لترتيب البحوث بالمجلة بالقيمة العلمية للبحث أو الباحث، إذ الترتيب موضوعي وفني، وبما يناسب أبواب المجلة.

٨ – ترسل البحوث والدراسات والآراء والتعليقات إلى رئيس التحرير.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٨هـ السنة الثالثة والثلاثون
الدارة



البحوث



الملك عبدالعزيز والملك فاروق
في الموكب الملكي
القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م
المصور: سيرجنت ف. موت
المصدر: المتحف الحربي الإمبراطوري،
لندن

صورة الملك عبدالعزيز آل سعود والمملكة العربية السعودية في بعض كتابات الإصلاحيين الجزائريين بين سنوات ١٩٢٠ - ١٩٥٧م (١٣٣٨ - ١٣٧٦هـ)

د. محمد عبدالكريم مراح

جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي في الجزائر

لقد كان لنشأة الدولة السعودية الحديثة (١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م) على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود صدى واسع في الدول والأقاليم العربية الدانية منها والقاصية. فما تم إنجازه من هذا التأسيس على يد الملك عبدالعزيز حدث جليل بكل المقاييس: بمقياس العدد من الرجال الذين استرجع بهم ملك آبائه وأجداده، والإمكانات المادية المتاحة له آنذاك، وبمقاييس التخطيط العسكري، وأساليب التنفيذ، وبمقياس الزمن في الإعلان عن ميلاد دولة حديثة على مساحة نصف قارة، تقوم على أساس حضارة ذات شقين: شق روحي أخلاقي قوامه الشريعة الإسلامية، وشق مدني عمراني أُحسن أخذه من مدنية الغرب الحديثة.

ومن بين الأصقاع التي تتفاعل مع هذه الأحداث تفاعلاً حيًا إيجابيًا منطقة المغرب العربي، ومنها الجزائر التي كانت ترزح تحت نير استعمار استيطاني بغيض. فالذي يبحث في تراث هذه القطعة المهمة من وطن العروبة والإسلام يقف على نصوص كثيرة تفاعل أصحابها مع ما أنجزه الملك عبدالعزيز آل سعود - كتفاعلهم مع كل قضايا الأمة - على درجة عالية من الشعور بالانتماء الحضاري لأمة ذات مصير مشترك، وآصرة أخوة عقدها الإسلام الخالد.

والحقيقة أن الاهتمام عندي بموضوع "الملك عبدالعزيز في التراث الثقافي الفكري والأدبي الجزائري" كان يراودني منذ زمن بعيد، وكنت قد أخذت أجمع له النصوص، وأقيد مواضعها في مضانها، إلى أن تجمع لي ما يصلح أن يأتلف منها بحث، فلما واتت الفرصة اهتبلتها مستعينا بالله تعالى على إنجاز هذا البحث.

وفضلا عن السبب المذكور أسجل بين يدي البحث الملحوظات/ الأسباب الآتية الذكر:

- وفرة المادة التي يأتلف منها البحث؛ مما يضفي عليه الصبغة العلمية، من حيث الدقة ومساءلة النصوص، والتحليل، وسلامة الاستنتاج.
- يتوفر التراث الفكري والثقافي في كل بلد من بلاد المغرب العربي في الفترة المشار إليها أو بعدها من مسار التأسيس على قدر من النصوص التي ينبغي درسها واستقراؤها؛ لإبراز صورة الملك عبدالعزيز والمملكة.

- التناغم الملحوظ مع إنجازات الملك عبدالعزيز والحركة الإصلاحية في الجزائر، ولهذا تفسيراته التي ربما وقفنا عليها في طيات البحث.

- اخترت الفترة الزمنية المشار إليها بالنظر إلى الكتابات التي اعتمدتها في البحث مما توصلت إليه تقع في تلك الفترة. ونظرا لصعوبة الحصول على نصوص ووثائق أخرى - بسبب عوامل موضوعية وتاريخية تتعلق بالوثائق - وقفنا عند سنة ١٩٥٧م (١٣٧٦هـ). وننوه في هذا المقام بالمقال الذي نشرناه بمجلة الحرس الوطني عنوانه "الملك عبدالعزيز في قلوب الجزائريين"، وقد غلبت على شواهده النصوص الأدبية الشعرية(*).

الملك عبدالعزيز في التراث الثقافي الجزائري بين سنوات (١٣٣٨-١٣٧٦هـ/ ١٩٢٠ - ١٩٥٧م):

الشخصية:

في فترة مبكرة من القرن العشرين الميلادي كانت تسري في أوصال المجتمع الجزائري دماء جديدة لحياة جديدة يبعثها في تؤدة وخفوت إمام النهضة والبناء الحضاري الإسلامي الشيخ عبدالحميد بن باديس (١٣٠٨-١٣٥٩هـ/ ١٨٨٩ - ١٩٤٠م)(**)

(*) مراح، محمد، "الملك عبدالعزيز في قلوب الجزائريين"، الحرس الوطني، العدد ٢٠٣، السنة العشرون، ربيع الأول ١٤٢٠هـ، ص ٢٨-٧٨.

(**) الإمام عبدالحميد بن باديس (١٣٠٨ - ١٣٥٩هـ/ ١٨٨٩ - ١٩٤٠م) هو عبدالحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس: من رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بدء =



بعد أن خُيل للمستعمر الفرنسي أن الجزائر غدت قطعة من فرنسا.

فلربط هذا الجزء المهم بجسده الإسلامي الكبير كان الإمام ابن باديس يلتمس من الأحداث الماضية والحاضرة ما يساعده على تحقيق تلك الغاية الجليلة. ولما كان للأحداث الهائلة التي عرفتها شبه الجزيرة العربية بقيادة الملك عبدالعزيز ما كان، كتب ابن باديس سلسلة مقالات في الجرائد والمجلات التي كان يصدرها معرفا بالقائد ومذهبه ومنجزاته. وقد برهن فيما كتب على إلمام واسع وعميق بكل ذلك، وتصوير دقيق مطابق للحقيقة والواقع، مع إصابة للهدف الإصلاحي التغييري الذي كان يرمي إليه.

فبصدد تعريف الجزائريين بشخصية الملك عبدالعزيز يقول: "السلطان عبدالعزيز هو المباشر حقيقة للسلطة والإدارة، وصف هذا السلطان الأستاذ الريحاني بقوله: طويل

= قيامها سنة ١٩٣١م إلى وفاته. ولد بمدينة قسنطينة لأسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وتعلم بمسقط رأسه، ثم بتونس حيث أتم دراسته في جامع الزيتونة، وتخرج بشهادة التطويع (١٣٢٩-١٣٣٠هـ/ ١٩١١ - ١٩١٢م). وعاد إلى بلده، فدرس بالجامع الكبير، وحاك أعداؤه له المكائد، فرحل إلى المشرق وحج، ولقي في رحلته جماعة من العلماء. وعاد سنة ١٩١٣م؛ فأقام يعلم النشء الجزائري، ويُعدّه للمستقبل. أصدر جرائد عدة هي: المنتقد - الشهاب التي تُعد سجلا حافلا لتاريخ الجزائر ونهضتها - الشريعة - السنة المحمدية - الصراط. كان شديد الحملات على المستعمر. من آثاره: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، [وهو في التفسير، ومجالس التذكير من كلام البشير النذير وهو في شرح الحديث]، العقائد الإسلامية. نويهض، عادل، معجم أعلام الجزائر، ط٢، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان: بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٨ - ٢٩.

القامة... له من السنين سبع وأربعون، وله في التاريخ - تاريخ نجد الحديث - مجد إذا قيس بالأعوام تجاوز السبع والأربعين والمئة. كبير القلب والنفس والوجدان، خلو من الادعاء والتصلف، خلو من التظاهر الكاذب. ووصفه مستر (أرنست برنيك) في جريدة نيويورك بقوله: بطل من أشد الأبطال الذين أنجبتهم الأمة العربية، صلب العود في مكافحة الأعداء، وكريم الأخلاق متى قهرهم، شديد التمسك بأهداب الدين، وفي مقدمة الذابين عن عقائد الإسلام الأصيلة، فكان له من ذلك رياضة جسدية جعلته قوي البنية، وهو جامع بين جلال وجمال أمير شرقي"[١].

ثم يسرد كلاما عن حسن تدبيره في إعادة أسرته إلى ملكها قائلا: "أسلافه كلهم ذوو شهرة عظيمة في جزيرة العرب، وبيته عريق في إمارة نجد حتى سقط في القرن الماضي وحلت محله أسرة آل رشيد، ونفي هذا الأمير إلى الكويت، لكنه بهمته وعزيمته وشجاعته، وحسن تدبيره تفلت من قيود الأسر وجمع حوله جندا فتح بهم الرياض عاصمة ملكه، وأعاد عائلته إلى ملكها القديم...، وامتدت مملكته بعد أن كانت محصورة في نجد من حدود الحجاز إلى الخليج العربي ومن الربع الخالي إلى الجوف"[٢].

---

(١) ابن باديس، عبدالحميد، "من هم الوهابيون؟ ما هي حكومتهم؟ ما هي غايتهم السياسية؟ ما هو مذهبهم؟"، جريدة النجاح، العدد ١٧٩، ١٩٢٤/١٠/٢٤م، ص٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣.

إن الإمام ابن باديس الذي لم يعرف الملك معاينة يتكئ على وصف عارفيه؛ ليستقيم له أداء الصورة لقرائه الجزائريين آنذاك كاملة صحيحة عنه؛ من جهة ملامحه الجسمانية، وخصائصه النفسية، ومسالكه الأخلاقية.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه آنفا من استهداف التغيير والإصلاح في ما كتب الإمام عن الملك ونهضته، قوله: "وإن في نهضة هذا الملك العظيم وفي حياته وصفاته درسًا عميقا ومجالا واسعا للعبرة والتفكير"(٣). والنصوص الآتية ستكشف لنا فحوى هذا الدرس، ومنتهى تلك العبرة والتفكير.

صفاته:

لقد تواتر وصف الدارسين للملك عبدالعزيز - رحمه الله تعالى - بصفات لا تجتمع إلا لعظيم ادخره الله تعالى لحدث خطير هائل في عالم البناء الحضاري، وإقامة الدول والممالك. وبصيرة ابن باديس الثاقبة تستجمع هذه الصفات على نحو بارع في التقويم والتقديم على النحو الآتي:

١ - شجاعته وعفوه:

الفارق بين شجاعة بانية هادفة وشجاعة مدمرة، ارتباط هذه بالانتقام والمحق، وارتباط تلك بالعفو والتجاوز، وهذه الأخيرة يجسدها مسلك الملك عبدالعزيز في استعادة ملك آبائه، وظفره بأعدائه(٤).

---

(٣) ابن باديس، عبدالحميد، "ملك العرب"، جريدة الشهاب، ج٤، مجلد٥، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، ص١٢.

(٤) ابن باديس، جريدة النجاح، المصدر السابق، ص٣.

إن دلائل إعجاب وتقدير ابن باديس للملك عبدالعزيز حدت به وهو ينير الأمة الجزائرية آنذاك بأسلوب القصة التربوي الهادف تأسيا بالقصص القرآني والنبوي الشريف، إلى أن ينشر مقالا رائعا بعنوان "ملك العرب" للمستشرق الألماني (ليوبولد فايس) الذي تسمى بعد إسلامه بمحمد أسد، وقدم الإمام لهذا المقال بكلمة وجيزة رائعة حول الهدف من نشره فقال: "كان لقصة بناء الكعبة التي نشرناها بالجزء الماضي [من مجلة الشهاب][*] بمناسبة أشهر الحج أحسن موقع عند القراء؛ فرأينا أن نتبعها بقصة من نوعها لمثل مناسبتها، هي صفحة من تاريخ الملك العربي السلفي عبدالعزيز آل سعود الذي شرفه الله بخدمة ذلك البيت المعظم في هذا العهد، ومد الله تعالى بملكه رواق الأمن والعدل والتهذيب والدين الخالص على ربوع الحجاز أرض الحرمين الشريفين، وإن في نهضة هذا الملك العظيم وفي حياته، وصفاته درسًا عميقا ومجالا واسعا للعبرة والتفكير"[٥].

ولكن قبل الاسترسال مع الموضوع، فإن منهجية البحث والانسجام مع الموضوع يقضيان علي بتوضيح أسباب اختياري هذا المقال بصفته من تراث الجزائر الثقافي الذي يصح الاستدلال به على مكانة الملك عبدالعزيز ضمن كتابات الجزائريين الإصلاحيين:

(*) ابن باديس، "قصة بناء الكعبة"، جريدة الشهاب، ج٣، م٥، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.

(٥) ابن باديس، "ملك العرب"، المصدر السابق، ص١٢.



١ - لقد أعاد ابن باديس نشر هذا المقال في سياق سلسلة من القصص الديني بالذات، ولم يدرجها ضمن تراجم الأعلام، للهدف الذي أعلن عنه، وهو العبرة والدرس.

٢ - إن الإمام يرى في هذا المقال ما يريد قوله في الملك عبدالعزيز، والدليل سلسلة المقالات التي كتبها الإمام في جريدة النجاح وغيرها حول السعوديين ودولتهم بقيادة الملك عبدالعزيز، فيمكن - إذن - عدّ هذا المقال تبعا لها وجزءا منها، واستيفاء لرؤيته حقها في الموضوع.

٣ - إن هذا المقال جُمع مع آثار ابن باديس وتراثه الذي نستلهمه في أي أمر أو مسألة تتصل بمواقفه وفكره، فصار بمقتضى التبني جزءا من هذا التراث الفكري.

لقد جاء هذا المقال الطويل غنيا دقيق التعبير عن صفات الملك عبدالعزيز وإنجازاته التي خبرها صاحبه عن قرب ومعايشة.

٢ - طيبة الملك عبدالعزيز:

قد تُحمد للرجل صفة طيبة القلب، فتذهب عنوانا له يُعرف بها، لكن أن تُصبح الطيبة عنوانا على جملة محاسنه وخلقه، فتلك - إذن - صفة جامعة لمعاني الطيبة ودرجاتها، وعلى هذا المذهب يصف محمد أسد الملك عبدالعزيز فيقول: "لا أزعم أن عبدالعزيز يدعوني صديقه، ولكني أعده صديقي، أو يغريني بذلك أمر بسيط وهو طيبة الرجل، ولست أقصد أنه طيب القلب، فهذا شيء رخيص، ولكنه يُوصف بالطيبة كما يُوصف بها مثلا سلاح من صنع (وُلف)

[نسبة إلى بلدة بالأندلس مشهورة قديما بصنع أجود سلاح] بأنه سلاح طيب يُعجب به؛ لأنه جمع كل الصفات التي تُنشد في مثله؛ وعلى هذا المعنى أقول: إن ابن سعود رجل طيب"(٦).

فالملك عبدالعزيز - وفقا لهذا الوصف - طيب القلب، وطيب القول، وطيب المعشر، وطيب المؤاخاة، وطيب الإحسان، وطيب الحكم، وطيب المجازاة إلى ما هنالك من وجوه المعاملة، ويصدّق هذا الوصف الروايات المتواترة عن خلائقه.

٣ - ملك نفسه وملك الجميع:

من كانت تلك شمائله فلا فائدة من البحث عما يقصر دُون سؤدد الشرف، وهمة الملك النبيل؛ لذا فالملك عبدالعزيز نصّب نفسه ملكا على الجميع: "وهو عميق الغور يميل للوحدة، ولا يتبع في أعماله سوى الدوافع المنبعثة من أعماق نفسه، وقد يُخطئ فيما يفعله، ولكنه لا يخطئ قط الرغبة في الشرف أمام ضميره، فهو ملك على نفسه قبل أن يكون ملكا على العرب"(٧). فنفس الملك عبدالعزيز من معدن نفيس ينعكس ألقها وصفاؤها على ممارسات المُلك والسياسة.

٤ - عظمته في بساطته:

قد يرتبط مفهوم العظمة بمظاهر باهرة محددة تُنبئ عنها، لكن أن تتخلف هذه لتتجلى العظمة بوصفها قيمة من القيم الإيجابية التي تحف شتى أنواع السلوك والعمل، فذاك هو المدهش: "لا شك أن الأجنبي الذي يرى ابن سعود لأول

(٦) المصدر السابق، ص١٢.

(٧) المصدر نفسه، ص١٢.

مرة يبتسم لبساطة هذا الملك وعدم تمدنه؛ إذ يبصره في ثوب عادي في غرفة ذات أثاث غير أنيق، وإذ يشهده يقوم لكل قادم، ويمد يده لتحيته، وإن كان بدويا من أفقر البدو، ويأكل طعامه في حضرة وزرائه وكتابه وسائق سيارته. ولكن الابتسامة لا تلبث حتى تفارق ثغر الأجنبي حين يدرس رأس هذا الرجل، ويدرك العظمة الحقة الماثلة في تلك البساطة"(٨).

الحق إن هذه العظمة المقرونة بتلك الصفات والأخلاق ليست بالنكرة في تراثنا الإسلامي؛ فإن عظماء الخلفاء لدينا ما تزال الأمة إلى يومنا هذا تشعر إزاءهم بالإكبار والإجلال بل تعدهم خلفاءها الحقيقيين الراشدين، امتازوا بمثل هذه الصفات والأخلاق، فهي - إذن - باعث من بواعث عظمة عبدالعزيز المُشاد بها.

٥ - طول نفسه وكرمه:

إن من يسره الله تعالى لتولي مهمة كالتي تولاها الملك عبدالعزيز لابد له من اقتران الصفتين معا، فطول النفس في إدارة شؤون الملك لا تصرفه عن أداء حق الضيف، في مجتمع توارث القِرى عبر تراخي الأزمنة والقرون؛ لهذا فهو: "يشتغل طول اليوم من باكورة الصباح إلى قسط من الليل ما عدا فترات يقضيها في الصلاة، وبرهات قصيرة يرتاح فيها بين أهله، وهو يتلقى كل يوم مئات الخطابات والتقارير ويقرأها بنفسه، ويملي مئات من أمثالها على كتابه. ويفد عليه كل يوم كثير من البدو والوفود من أنحاء الدولة يعرضون عليه

(٨) المصدر نفسه، ص١٣.

شكاواهم ورغباتهم، ويتلقون منه أوامره، وجميعهم ينزلون ضيوفا عليه طول مكثهم بالرياض، وهو يولم الولائم لنحو ألف نفس كل يوم، ويعطي كلا منهم عند رحيله ثوبا تبعا لعادة العرب، وكذلك قطعة من النقود حسب مكانته. ونفقات الملك الشخصية جد قليلة؛ لأنه لا يعرف الترف في حياته الخاصة، وإنما له عدد من السيارات لابد منها لحسن القيام بشؤون الحكم في هذه المملكة المترامية الأطراف"(٩). فهو - إذن - الملك المتقلل جدا في نفقته الخاصة الموسع على غيره من كرم ضيافته وجوده.

٦ - الملك المحبوب:

إذا كانت خصائص الإنسان النفسية العالية هي السر وراء انجذاب النفوس إليه، فكثيرا ما تهدى بعض الملامح الفزيولوجية إليها، وفي هذا المعنى يقول محمد أسد: "ابن سعود طويل القامة جدا، ذو جمال رجولي، وله جبهة عالية، وأنف قليل الانحناء، وثغر صغير، عليه شفتان ممتلئتان تدلان على الحماسة والذكاء في آن واحد، وكل من يراه دون فكرة سابقة عنه، ويشهد ابتسامته العذبة لابد أن يحبه، وقليل جدا من الناس في مملكته الكبيرة لا يحبونه"(١٠). فإذا تآزر كل من الصنفين الخصائص النفسية والملامح الفزيولوجية مع الأخلاق الرفيعة أعطت نموذجا إنسانيا رائعا، وكذلك كان الملك عبدالعزيز يرحمه الله تعالى.

(٩) المصدر نفسه، ص١٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٤.



٧ - وحدة العظماء:

إذا كنت إزاء إنسان شعرت أنه قريب إليك، لكنه يتميز عنك وعمن حوله، فينجذب نحو أغواره العميقة، لتبرق قريحته المتقدة بالجديد الوثاب الباهر، فاعلم أنك أمام عظيم تُملي عليه عظمته الوحدة الباعثة على التفكير المبتكر؛ "إن ابن سعود في وحدة عميقة، وإن كان حوله أناس كثيرون؛ لأنه ليس منهم أحد يستطيع أن يستشف ما وراء ابتساماته الساحرة، أو ما وراء حركات يديه حين يتحدث في شؤون الدولة أو في مسائل الدين. ولا يدري أحد ماذا سيفعل غدا بل يحيط الظلام والإبهام بنواها في المستقبل، وإن كان يومه وأمسه شفافين لا سر فيهما. وتلك وحدة العظماء الذين لا يقودهم في سبيلهم غير أذهانهم المتوقدة"(١١). وما تفتق ذاك الذهن إلا عن كل خير لإقامة دولة الإسلام الحديثة.

٨ - بصيرة ثاقبة واطلاع بعيد:

من وجوه عبقرية الملك عبدالعزيز استيعابه لأحوال الأمة الإسلامية، واستيعاب منجزات العصر التي كانت في حكم الخرافة آنذاك مع تواضع حصيلته المعرفية بمقياس العصر؛ "وقد عرف كيف ينمو في داخل نفسه مع نمو سلطانه. ولكنه رغم ذلك يمتد بصره إلى مدى لم يماثله فيه ملك عربي من قبل، فهو يعرف أحوال البلاد الإسلامية في العصر الحاضر خير معرفة، يعرف مثلا الأحزاب السياسية في مصر أو (جاوه) أو الهند، كما يقف على شؤونها والرجال المشتغلين

---

(١١) المصدر نفسه، ص١٤.

بالسياسة في هذه البلاد. وهو يفهم المستحدثات الهندسية في الغرب كالطيران أو البرقية كما يفهمها الغربيون ويستحسنها كذلك، وإن كان كثير من العرب والمتعلمين فيهم يعدونها من السحر"(١٢). يمكن عدُّ إدراك الملك منجزات عصره على هذا النحو مدخلا مناسبا لفهم شخصيته في بعدها المتصل بالاستعداد للتفاعل مع المعاصرة.

المذهب:

كان يُعرف الملك عبدالعزيز ودولته في الجزائر أثناء الفترة التي هي مجال البحث بالوهابيين، بسبب التلاحم الكبير بين دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية، منذ تعاهد الأمير محمد بن سعود بن محمد في أواسط القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي مع المصلح الكبير محمد بن عبدالوهاب على النصرة والتأييد في سبيل الإصلاح والتجديد، واستمرت هذه اللُحمة بقيام الدولة السعودية الحديثة على يد الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تعالى.

وهكذا جاءت مقالات الإمام عبدالحميد بن باديس في صيغة أسئلة(*) تصدى لها بالإجابات الواعية الشاملة، والمُصححة للخطأ الذي نشأ حول تلك الأحوال الناشئة بالحجاز؛ قال: "هذه أسئلة طرقت أسماعنا في هاته الأيام كثيرا، وسمعنا الخطأ والصواب عنها كثيرا، ولا عجب في

(١٢) المصدر نفسه، ص١٥.

(*) ابن باديس، جريدة النجاح، المصدر السابق.



كثرة السؤال عنهم، وقد تواترت أعمالهم السريعة المدهشة، هاجموا الأردن، وأخضعوا الحجاز، وأجلوا الحسين وأتباعه بعد ما ثلوا عرشه غير مبالين بأحلافه [كذا في النص] الإنجليز، كل هذا في مدة قصيرة من الزمن مع بُعد المسافة وصعوبة الطريق"(١٣).

بهذه الصياغة الإعلامية البارعة المعهودة في إثارة ابن باديس للقضايا الساخنة بنت الساعة، يضعنا مباشرة في مواجهة الإجابة المنهجية عن الأسئلة المطروحة من طرف جزائريين وصفهم الإمام بقوله: "رغب مني بعض من يجري في عروقهم دم العروبة، وبعض من يهتمون بأمر الأمة العربية ذات التاريخ الماجد العظيم، أن أجيب عن هذه الأسئلة خدمة للعلم، وإظهارا للحقيقة"(١٤). ومعلوم أن تمجيد العروبة بالجزائر في ذلك الزمان تمجيد للعروبة التي لا تنفصل ولا تختلف في شيء عن الإسلام؛ لأنها بهذا التصور جوهر الصراع بين الحضارة الغربية الغازية وحركة الإحياء الإسلامي، كما لا يفوتنا التنويه عند هذا الموضع بأن اهتمام الجزائريين وابن باديس خصوصا بما يجري في الأراضي السعودية دليل على قوة تأثير أعمال الملك عبدالعزيز في الأحداث الكبرى آنذاك.

اهتمام الجزائريين بما يجري في الأراضي السعودية دليل على قوة تأثير أعمال الملك عبدالعزيز في الأحداث الكبرى

(١٣) المصدر نفسه، ص٤.

(١٤) المصدر نفسه، ص٤.

أما ابن باديس فقد نذر قلمه فيما كتب أن ينتصف للحقيقة بكل ما أُوتي من قوة وجهد، لهذا نرى أنه بدأ أولا بالآتي:

١ - تقويم ما كتب عن السعوديين:

فقال: "وصار من يريد معرفتهم لا يجد لها موردا إلا ما كتب خصومهم الذين ما كتب أكثرهم إلا تحت تأثير السياسة التركية التي تخشى من نجاح الوهابيين نهضة العرب كافة. وأقلهم من كتب عن حسن قصد من غير استقلال في الفهم، ولا تثبت في النقل؛ فلم تسلم كتابته في الغالب من الخطأ والتحريف. وأنى تُعرف الحقائق من مثل هاته الكتب أو تلك، أم كيف تُؤخذ حقيقة قوم من كتب خصومهم، ولا سيما إذا كانوا مثل الصنفين المذكورين"[١٥].

إذن ينبغي أن نعلم أننا أمام كاتب استجمع لموضوعه أدواته، وانتهى فيه إلى قول له في موازين التقويم والأحكام خطره وتقديره المضبوط، من عالم محقق كابن باديس.

فبعد أن صنف الكاتبين عنهم - في ذلك الوقت - إلى الصنفين المذكورين خلص بسريرته الصافية، وذهنه اللمّاح، وحسّه الإسلامي إلى موضوعه.

٢ - تعريف الإمام مالك بن نبي للسعوديين:

أ - مذهبا وأصلا: "أتباع محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي، المتوفى في سنة ستّ بعد الألف والمئتين من الهجرة، وقد ناهز المئة، وهم عرب من أصرح العرب

(١٥) المصدر نفسه، ص ٤.



أنسابا، وأشدهم بأسا، وأرسخهم في صفات العروبية وأنقاهم من الدخيل"[١٦].

ب - صفات: "أهل ذكاء وسرعة خاطر، وحدّة ذهن، شنشنة آبائهم الأولين، ومن صفاتهم الممتازة إباؤهم، وشجاعتهم، وصبرهم العجيب. فكان الجريح منهم في هذه الحرب حين إجراء العمليات الجراحية لا يتوجع ولا يتألم، ولا ينقبض له وجه، كأنهم يعملون في جسم غيره. يبلغ عددهم المليونين، لا خلاف بينهم، ولا تنازع، ولا تباغض، يطيعون رؤساءهم وخصوصا سلطانهم طاعة عمياء، يستبسلون في الحرب، ويقدمون إقدام من يتيقن أن وراء الموت حياة خيرا من هذه الحياة، ولا يرجعون إلا بأمر قوادهم ولو فنوا عن آخرهم"[١٧].

ج - علما وتدينا: "يقلّ بينهم من لا يحسن القراءة والكتابة، ويكثر فيهم جدا حفظة القرآن، وكلّهم على علم بالضروري من عقائد الإسلام، وأصول مبادئه وآدابه، شديدو التمسّك بأهداب الدين، وتباعد عن كل ما أُحدث فيه"[١٨].

بهذا الاستعراض المرتب الدقيق تتم الإجابة عن طبيعة التركيبة البشرية لمن قامت على كواهلهم دولة ابن سعود.

ولكن الوهابيين ليسوا جنسا وسلالة قبلية معينة، إنّما هم أتباع فكرة إصلاحية تروم الإحياء الإسلامي في تلك

---

(١٦) المصدر نفسه، ص٥.

(١٧) المصدر نفسه، ص٥.

(١٨) المصدر نفسه، ص٥.

الأصقاع المباركة. وهي لهذا لفتت إليها انتباه العلماء والمفكرين المسلمين في الجزائر - كغيرها من بلاد الإسلام - فانفعلت معها فكرة وتجسيدا مشاعرهم(*) وأفكارهم، لأنها ملمحٌ بارزٌ من ملامح النهضة الإسلامية الحديثة في مواجهة حركة الاستعمار والتغريب، فالمفكر الجزائري الإسلامي مالك بن نبي(**) يصنف الوهابية، ضمن "تيار الإصلاح الذي ارتبط بالضمير المسلم"[١٩]، هذا التيار الذي "يبدو أنّه قد خطّ طريقه في الضّمير المسلم منذ عصر ابن تيمية، كما يخطّ تيّار الماء مجراه في باطن الأرض، ثم ينبجس هنا وهناك من آن لآخر"[٢٠]، وابن تيمية "كان مجاهدا يدعو إلى التجديد الروحي والاجتماعي في العالم الإسلامي"[٢١].

(*) يبدو أن الجزائريين لفرط تأثرهم بمنهج الملك عبدالعزيز آل سعود أطلق بعضهم اسم "السعودي" على أبنائهم.

(**) مالك بن نبي (١٣٢٣ - ١٣٩٣هـ/ ١٩٠٥ - ١٩٧٣م): كاتب ومفكر إسلامي، له طابع العالم الاجتماعي. ولد بقسنطينة، ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط، وتخرج في الثلاثينيات مهندسا في معهد الهندسة العالي بباريس، وزار مكة وبعض الأقطار الإسلامية، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره بالفرنسية، وترجم بعضها إلى العربية. تولى إدارة التعليم العالي بالجزائر إثر الاستقلال. وكان عضوا في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة. من آثاره: الظاهرة القرآنية - مذكرات شاهد القرن - وجهة العالم الإسلامي - شروط النهضة - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي - ميلاد مجتمع وغيرها. انظر: نويهض، عادل، المرجع السابق، ص٢٨٢.

(١٩) بن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبدالصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، (د. ت)، ص٤٩.

(٢٠) المرجع نفسه، ص٤٩.

(٢١) المرجع نفسه، ص ٤٩.

يرى الأستاذ مالك بن نبي أن الملك عبدالعزيز امتلك حسّاً صادقاً في بعض الملابسات والمواقف التاريخية المتعلقة ببعض القضايا والأحداث، ولفكرته النابهة حظّ من التّأثير، خاصّة أنّ الغالب على أحكامنا "التحديد العاطفي لمواقفنا، فنحن لا نحكم وإنّما نأسى"(٢٢)، وهو خلل في طريقة تفكيرنا فوّت على ابن باديس - رحمه الله تعالى - الفهم الحقيقي لخفايا الصراع الذي نشب بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى(*)؛ يقول: "كأنّما الشيخ [ابن باديس] لم يتبين عظم النزاع الذي تقف فيه القوى الروحية والمادية في النّهضة الإسلامية متجسدة في الفكرة الوهابية، في وجه قوى الانحطاط والتدهور... ولقد أغفل هذا الحكم الجانب الناطق من الموقف، وهو سرعة المناورة التي قام بها الجيش السعودي الفتيّ، فأحبط الخطة الاستعمارية بالاستيلاء على (الحديدة) خلال أربع وعشرين ساعة"(٢٣).

الحق أن مالك بن نبي كان أحد أهمّ المفكرين الجزائريين متابعة لمسار الحركة ودولتها الفتية، ينظر إليها في ضوء تدافع الصراع الجلي والخفي بين النهضة الإصلاحية وقوى

---

(٢٢) المرجع نفسه، ص ١١٢.

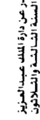
(*) الإمام يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين: ولد عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، كان عالما كبيرا مجتهدا، شاعرا فصيحا. تولى الحكم بعد أبيه عام ١٩٠٤م (١٣٢٢هـ)، وقتل عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، بعد حكم استمر زهاء ٤٤ عاما. أحمد بن محمد بن عبدالله الوزير، حياة الأمير علي بن عبدالله الوزير، ط١، منشورات العصر الحديث (د.م)، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٦٠٦ - ٦٠٧.

(٢٣) المرجع نفسه، ص١١٢ - ١١٣.

الاستعمار الجاثمة على الجسم العربي والإسلامي؛ يقول في مذكراته: "يوما أفكر في عودتي للجزائر [من فرنسا]، ويوما في انتقالي للطائف، وأصبحت عقدتنا الوهابية [أي الأمل] أنا وزوجتي، تزداد كل أسبوع يمر. وإذا بخبر يفاجئنا في صحيفة مسائية "باريس - سوار" التي نقلت خبرا غريبا، تقول فيه: إنّ أحداثا صارمة تتهيأ في الجزيرة العربية؛ فانطلقت صرخة واحدة منا: آه... إنهم يدبّرون مؤامرة ضدّ عبدالعزيز بن سعود، ويحيكون مكيدة، لقد صعقنا هذا النبأ... ذات أمسية من شهر مارس ١٩٣٤م (ذي القعدة ١٣٥٢هـ)"[٢٤]؛ فلقد كان يحلم بالالتحاق بالطائف؛ ليقدّم خدماته العلمية للدولة الفتيّة، وسعى في ذلك سعيا عمليا لولا أن منعته موانع ذكرها في مذكراته.

إن هذا النبأ لم يكن سوى محاولة الإمام يحيى الاستيلاء على بعض الأراضي السعودية، فيكشف مالك بن نبي بحسّه الرّاصد الخبير بأساليب الاستعمار خيوط المؤامرة فيقول: "ومنذ الغد بدأت تظهر المكيدة في الصحافة الكبرى التي تحدّثت عن (القبائل المتوحشة المتعصبة التي تعيش بنجد)، لقد اتّضح الأمر، وخصوصا أنّ نفس الصحافة نقلت أنباء عن حملة (لرد الخطر) تتهيأ بميناء الحديدة باليمن. كان فعلا الإمام يحيى يجمع في هذا الميناء كل سفينة، ويسلّحها كيفما كان؛ للهجوم على ميناء جدّة، وعزله أيام الحج بالذّات. إذا كان الأمر في منتهى الوضوح: قد يستطيع الإمام يحيى

(٢٤) بن نبي، مالك، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، الجزائر، (د. ت)، ص ١٤٨ - ١٤٩.



- غفر الله له - أن يجمع تلك السفن الشراعية المعدّة للنّقل المحلّي ولإخراج الصدف، ولكن من سلّحها بل من رسم لها الخطّة؟ كان الأمر واضحا، أو لنقل على نصف وضوح؛ إذ كيف نستطيع التبين والتمييز بين خيوط يأتي بعضها من باريس وبعضها من لندن"(٢٥).

فالأمر لم يكن في تقدير مالك بن نبي سوى تضايق الاستعمار من تولّي الملك عبدالعزيز الأراضي المقدسة، والسبب هو أن الدولة السعودية "ستصبح هكذا منارة إشعاع للفكرة الوهابية، يعني - في نظري - الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح بما فيها من طاقة متحركة؛ لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ عصر ما بعد خلافة بغداد"(٢٦).

إن إدراك الأستاذ مالك بن نبي لهذه القضية على هذا النحو جعلها تتحول عنده إلى مأساة، يقول: "وأصبحت فعلا هذه المأساة تملك أرجاء بيتنا الصغير، نتحدث عنها في الغداء والعشاء. تنقل زوجتي أصداء الشارع عنها، فنفسرها ونعلق عليها"(٢٧).

ويروي كيف نقلت إليه ذات يوم حديثا سمعته في الشارع من رجلين يهوديين يفيد أنه ينبغي أن تحطّم هذه القبائل البربرية، فاتسعت دائرة إدراكه للقضية، كما قال: "فقمت أصلّي ركعتين لله، متحسرا، متضرعا، شاكيا من شر

(٢٥) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ١٥٠.

(٢٧) المرجع نفسه، ص ١٥٠.

الاستعمار، باكيا ....، ولكنني كنت دوما على منهج الحديث (اعقلها وتوكل)، فأخذت ورقة، وبدأت أحرّر خطابا مثيرا إلى سعادة سفير اليابان بباريس، أتوسّل لحكومته أن تساند باسم التضامن الآسيوي المقدّس أمام الدول الاستعمارية، ابن السعود في المعركة، وتأييده بالسلاح"(٢٨).

ولكنّ الحلّ جاء من طريق آخر؛ يقول: "وإذا بصحف المساء تعلن في عناوين ضخمة، أن (الحديدة) سقطت في يد الوهابيين، وأن (الزرانيخ) حرقوا في مينائها الأسطول الشّراعي الذي جمعه الإمام يحيى، وأن أمير المدينة فرّ سباحة وعلى ظهره خزينة الحكومة، وأن الأمير فيصل نقل الجيش السعودي على الآلاف من السيارات المعدّة لنقل الحجاج؛ ليزحف على الساحل اليمني بينما أخوه سعود يتوجه للناحية الجبلية"(٢٩).

لقد كان لهذه الأنباء وقعان مختلفان: "فبالنسبة إلى قادة السياسة الغربية، حتى المناوئين للفاشية، كان فعلا دواء شرا من داء؛ إذ الوهابية وحدها على ما هي عليه، شرٌ لا محالة، ولكن وهابية وإحباط خطة استعمارية شرّان"(٣٠). وأما بالنسبة لمالك وزوجته، فيقول: "أما في بيتي، فلم تزغرد خديجة لإعلان ابتهاجنا؛ لأنها لا تعرف كيف تزغرد النساء الجزائريات في ظرف السعادة والسرور"(٣١).

---

(٢٨) المرجع نفسه، ص١٥١.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ١٥٢.

(٣٠) المرجع نفسه، ص ١٥٢.

(٣١) المرجع نفسه، ص ١٥٢.

مهما تكن مطابقة هذه النصوص للحقيقة، والأحداث التاريخية؛ فإنها تؤكد مدى ما كانت تشكله الفكرة الإصلاحية في المملكة العربية السعودية من مخاطر على الاستعمار من جهة، ومن جهة أخرى تبدي عما كان يتحلّى به زعيم دولتها الملك عبدالعزيز من استنارة بصيرة وحدس سياسي، وحنكة في مواجهة المكائد الاستعمارية في منطقة الإشعاع الروحي للعالم الإسلامي، الذي أخذ يتلمّس طريق النهضة، والبناء الحضاري على هداه.

الإنجاز:

لقد تنوع إعجاب زعماء حركة الإصلاح وسُراتها في الجزائر بما كان يبلغهم من أنباء عن إنجازات الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ودولته الفتية، فسجلوه بعناية وإعجاب وتنويه. وهذا من الأدلّة القوية على التواصل النموذجي بين أجزاء الأمة ودولها في تلك الفترة العصيبة من تاريخها الحديث. إن من يقرأ هذه النصوص اليوم يخطر بباله أن كاتبيها يكتبون عن دولتهم، وعن حاكمهم، ومليكهم لا عن دولة أخرى ولو كانت عربية مسلمة، خاصة بعد استفحال الشعور بالدولة القطرية في النفوس.

ومن أهمّ الإنجازات التي رصدتها بعض كتابات الإصلاحيين الجزائريين في الميدان السياسي منهج الملك عبدالعزيز في السياسة والحكم.

١ - حكمه وسياسته:

يرى الإمام ابن باديس أن سياسة الملك عبدالعزيز تقوم على ركيزتين هما أساس الملك وروح الشرع؛ وهما: العدل والشورى؛ "يسوس السلطان عبدالعزيز هذه المملكة الواسعة بسياسة العدل التّام بين القريب والبعيد، الجليل والحقير، وينفّذ أحكام الشرع بكل تدقيق بلا هوادة ولا محاباة. ومن كلماته في هذا الباب (العبد والأمير، عيننا على الاثنين حتى ننصف دائما الاثنين، ونعدل بينهما، ومن لا ينصف بعيره، لا ينصف الناس). فأنتج له ذلك في مملكته الأمن التام الذي لا تجده في البلاد المتمدّنة، وقد عجزت فرنسا بجيشها اللّهام عن إقامته اليوم في ربوع الشام. ويجري في سياسته على أصل الشورى الذي أوجبه الإسلام، فلا يفصل في الأمور العظيمة إلا باستشارة العلماء والأمراء، والأعيان، ورؤساء الأجناد"(٣٢).

لاحظ كيف قارن الشيخ بين المملكة وبعض الدول العظمى بما لها من إمكانات لاستتباب الأمن، لا شك أن السبب في ذلك كله الحكم بالشرع الذي هو كله عدل ورحمة.

٢ - أخلاقيات ممارسة الشورى في مملكة عبدالعزيز:

إن ابن باديس مطلع على حقيقة المجالس النيابية الغربية، ومجريات الأمور فيها؛ لهذا نراه ينوّه بالتميز الحضاري والأخلاقي في ممارسة الشورى الإسلامية في مجالس الملك عبدالعزيز الشورية، يقول مصوّرا إحداها وإنّ عبر عنها

(٣٢) ابن باديس، جريدة النجاح (المصدر السابق)، ص٥.

بالمؤتمر: "والواقف عليه يعلم بُعد نظر أعضائه وأدبهم الإسلامي، والمحاورة بالأدب الذي يعزّ وجوده في مجالس النّوّاب الأوروبية، التي كثيرا ما تخرج عن الكلام إلى اللّكام"(٣٣).

٣ - سياسة عمرية:

لقد نوّه الكاتبون عن الملك عبدالعزيز بشمولية عدله؛ فلم يكن مقصورا على من آزروه وناصروه فحسب، بل هو عادل حتى مع خصومه بعد أن يقهرهم، وينتصر عليهم: "ولكنه في فتوحاته يكوّن دولة، وينظر إلى جميع أجزائها كأنّها أخوة متساوية الحقوق ما دامت تخلص الرغبة في التعاون. وهو يسعى دائما لأن يكسب الودّ الخالص ممن يقهرهم، وأن يرغمهم على محبته؛ إذ يريهم أنه لا يهتم بمصالحهم أقل من اهتمامه بأهل موطنه"(٣٤).

إن هذا المسلك أهّله لأن يُعد من أعظم الحكّام في التاريخ الإسلامي، و"لم يفعل ذلك حاكم عربي غيره منذ عهد الخليفة العظيم عمر بن الخطاب. وهو منذ زمن بعيد لا يُعدّ رجلا من الرياض، بل تخطى روابط القبائل الضيقة المدى، وصار رجل الجميع"(٣٥).

خلاصة منهج عبدالعزيز - حسب ما تقدم - إشاعة العدل بين رعيته، واعتماد الشورى بأخلاقيات الإسلام أسلوبا لاتخاذ القرارات.

---

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٥.

(٣٤) ابن باديس، جريدة الشهاب، المصدر السابق، ص ١٤.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٥.

٤ - تقدير إنجازات الملك عبدالعزيز الحضارية العمرانية:

لم يقف ابن باديس - يرحمه الله تعالى - عند الجوانب الأخلاقية والسياسية في بناء الملك عبدالعزيز لدولته الفتية، بل نراه يتحدث عن إنجازاته العمرانية حديث العارف المتابع المهتم. وزاد إلى هذا الاهتمام تقديره وإعجابه بما تميزت به تلك المؤسسات من مميزات أخلاقية مستمدة من مبادئ الإسلام وشريعته التي أقام عليها الملك عبدالعزيز دولته الحديثة؛ يقول: "والحكومة النجدية تسعى بكل قواها في تحضير البدو، وتثقيف عقولهم، وإدخال الإصلاح الذي يتفق مع حالتهم الاجتماعية، وتعتني اعتناء زائدا بالحالة الصحية، ففي الرياض عاصمتهم مستشفى عظيم تمتد فروعه إلى كثير من البلاد النجدية، وكذلك بالشؤون الزراعية والتجارية والمالية، فكلّها متقدّمة تقدّما حثيثا. وتحافظ كلّ المحافظة على سلامة الأخلاق والآداب، فلا سوء، ولا فحشاء، ولا منكر، مما غرقت فيه أوروبا بمدنيتها المادية"[٣٦]. إذن فالمسألة ليست تعميرا وتشييدا فحسب، وإنّما مع ذلك حرص على الانسجام مع قيم الشريعة الإسلامية السمحاء.

٥ - الحضارة = إيمان + تقدم مادي:

إن هذا التميز الحضاري في بناء الدولة نابع عن نظرة فلسفية للملك عبدالعزيز؛ إذ الحضارة عنده لا يكتمل مدلولها إلاّ بالجمع بين القيم الإيمانية الرفيعة والمدنية

(٣٦) ابن باديس، عبدالحميد، "من هم الوهابيون؟"، جريدة النجاح، العدد ١٨٠، ٣١/١٠/١٩٢٤م، ص ٦.

المادية؛ إذ لا خير في تقدّم مدني بعيد عن الإيمان والأخلاق، "ولا يزال ابن سعود مع ذلك مسلما قويّ الإيمان، وأساس اعتقاده أن كلّ ما يحدث من الله، ولذلك يمثّل الرأي القائل بأن كلّ تقدّم في الأمور المادية لا فائدة منه إذا لم يصحبه التعمق في العقيدة، فمن الطبيعي أن يبني حكمه على القواعد الدينية"[٣٧].

٦ - الدولة الإسلامية دافعه:

إن من يتبنى هذه الفلسفة في البناء الحضاري لا ينبغي أن تأتي سائر أعماله في تأسيس الدولة والمجتمع الجديدين إلا انبثاقا لها، وانسجاما مع العقيدة التي يعتنقها، والشريعة التي يحكم بها ويحتكم إليها، فصحّ القول بأن "هذه الفكرة التي ترمي إلى تكوين دولة إسلامية صحيحة تكون الأولى من نوعها منذ عهد الصحابة هي الدافع لابن سعود في جميع أعماله"[٣٨].

٧ - مملكة عبدالعزيز جامعة عربية:

لقد كان لنظرة الملك عبدالعزيز الواسعة دور في إعطاء الفرصة لكل ذي كفاءة من أبناء العرب؛ كي يشاركوه بخبراتهم المختلفة في بناء دولته الفتية، فضلا على أن فتح بلاده لأبناء العرب دليل على سعيه للوحدة؛ يقول ابن باديس: "ونشر منشورات في الموضوعات العامة بيّن فيها سياسته، ورغبته في توحيد العرب وترقيتهم، وأن بلاده مفتوحة لأهل العلم والعمل من أبناء العرب، وفعلا فقد وفد عليه العدد

---

(٣٧) ابن باديس، جريدة الشهاب، المصدر السابق، ص ١٤.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ١٤.

الكثير من الشبان المتعلمين من مصر والشام والعراق. وأصبح متصلا بالعالم الخارجي اتصالا أدبيا مكينا، بعد ذلك الانعزال التام، فبرهن بهذا على أنّه سائر بأمّته في الطّريق التي تسير عليها الأمم الراغبة في الحياة: طريق العلم والتسامح، وربط العلائق الوديّة السلمية مع الناس"(٣٩).

إن المتأمل في مسلك الملك عبدالعزيز - في ضوء هذا النص - يُدرك أسس العلاقات الدولية التي خطها الملك لدولته، سواء على المستوى القومي العربي، أو على المستوى الدولي الخارجي؛ تقوم هذه السياسة على الاستفادة الذكية من الكفاءات العلمية العربية والأجنبية، والانفتاح على العالم الخارجي على أسس واضحة عادلة كالتسامح والعلائق الوديّة. ومن الواضح بقاء المملكة وفية لهذا النهج؛ مما بوأها مركزا متميزًا في السياسة المحلية، بل وحتى الدولية في كثير من القضايا.

٨ - الملك عبدالعزيز رجل التخطيط:

ربما احتاجت الدول الوليدة ذات الملابسات الخاصة في قيامها إلى نوع من مركزية القرار، والتخطيط، من طرف الزعيم القائد المؤسس؛ لهذا فالملك عبدالعزيز: "تتمو جميع الخطط في رأسه وعلى كتفيه مهمّة تنظيم مملكته الكبيرة، وتنحصر مساعدة أمرائه - ومنهم ذوو شخصيات كبيرة - في حسن تنفيذهم للخطط التي يضعها، فهو وحده الذي يفكر ويعمل، وكلهم أيد له، وأنه ليحمل عبئا عظيما من العمل"(٤٠).

---

(٣٩) ابن باديس، جريدة النجاح، العدد ١٨٠، ص ٦.

(٤٠) ابن باديس، جريدة الشهاب، المصدر السابق، ص ١٥.

٩ - تقديره لرجاله:

إلا أنّ هذا لا يعني بحال نزوعا نحو غطرسة، أو غمط الفضل لذوي الفضل ممن يعملون معه، بل إنّه حاكم متبصّر "يعمل لمصلحة شعبه لا لنفسه، ويقدّر الرّجال حقّ قدرهم، ويقرأ ما بقرار نفوسهم قبل أن ينطقوا ببنت شفة، ويسعى دائما لإرضاء من يعملون معه؛ فيعطيهم أكثر ممّا يرتقبونه؛ إذ يمنحهم الأمن على حياتهم، والهدايا الخالصة من القلب والحب لمن يستحقه. ولكن رغم كل ذلك يبقى ابن سعود وحيدا بينهم؛ لأنّ له نفسية عالية"(٤١). فهذه النفسية العالية، والمبادئ الإسلامية الرفيعة التي يصطبغ بها هي باعثه على سياسته مع رجاله على النحو المذكور.

١٠ - عبدالعزيز رجل الحرب والبأس:

إلى جانب الخصائص السياسية والأخلاقية التي كان يتمتع بها الملك عبدالعزيز- يرحمه الله تعالى - فالرجل تبيّن ممّا قام به من إنجازات غنى شخصيته بخصائص رجل الحرب من تخطيط عسكري، وبأس مع المنحرفين لاستعادة الأمن، وهو ما أثبته دارسوه، ونقلته صحف الحركة الإصلاحية بالجزائر، مصدر دراستنا هذه:

أ - عبدالعزيز أركان حرب: لقد أثبت الملك عبدالعزيز في فتوحاته أنّه يصدر عن خطة عسكرية محكمة، وموهبة فذّة في إدارة الحرب، يصور ابن باديس إستراتيجية الملك فيقول: "شرع ابن سعود في فتوحاته وفق خطة منظّمة...

---

(٤١) المصدر نفسه، ص ١٥.

فإن اتّساع ملكه كان يجري تبعا لنظام محدد، وكان ثمّة أركان حرب وخريطة حربية، كما في الغرب. ولكن شخص ابن سعود كان وحده أركان حرب، ثم إنّه لم يكن قد رأى أيّ خريطة حربية من قبل. وقد اتخذت فتوحاته شكل حركة حلزونية، تبدأ من مركز لا يتبدّل وهو الرياض، وكان لا يخطو خطوة إلى الأمام إلا بعد أن يؤمّن ما سبق فتحه، ويوطّد في موقفه من الوجهة الحربية"(٤٢).

ب - عبدالعزيز يعيد الأمن لنصف قارة بإقامة الحدود ونشر العلم: نلحق هذا الإنجاز بالجانب الحربي والعسكري في شخصية الملك عبدالعزيز، لأنه من بأس رجل الحرب والدولة الذي يضع السيف في موضع السيف، والدواء في موضع الجرح والألم؛ "بدأ ابن سعود في التّشديد بتوطيد الأمن العامّ في بلاده بواسطة القوانين الصارمة، وحملات التأديب القاسية. ومن قبله كانت شبه جزيرة العرب كلها في عدم استقرار، وكانت قبائل البدو يشنّ بعضها الغارة على بعض، وتنهب القوافل، وكانت الطرق غير آمنة، فلمّا جاء ابن سعود حرّم على البدو أن يتقاتلوا، وأمر بأن تُحل الخلافات بين القبائل بقضائه، أو قضاء أمرائه فيها، وجعل المجرمين يشعرون بكل ما في الشريعة من شدة"(٤٣)، إلا أنّ تمازج البعدين العسكري والتربوي في شخصيته ألهمه أن يصحب عمله ذا الصبغة

(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٤.



العسكرية الأمنية والتشريعية، بعمل تربوي تعليمي تغييري؛ "وقد أجدى ذلك [العمل التأديبي العسكري] بعض النفع، غير أن ابن سعود لم يلبث حتى أيقن أن الإكراه وحده لا يكفي؛ ليجعل من الوحش بشرا، فشرع يبث في نفوس شعبه أخلاق الإسلام وفضائله، وبعث بالمعلمين، وبالوعّاظ إلى مختلف القبائل؛ ليعلّموا البدو القراءة والكتابة، ويحثّوهم على التمسك بالدين وآدابه في عزم وإخلاص"[٤٤]. لقد أثمرت هذه الجهود النوعية لا أناسا متعلمين فحسب، ولكن مجتمعا يسوده الأمن الفريد من نوعه، حتى بالمقارنة مع الدول الحديثة المتمدنة: "وكانت ثمرة ذلك صغيرة في السنوات الأولى، ولكنها نمت تدريجيا، وأينعت وآتت أُكلها، وهكذا تمّت في بلاد العرب إحدى الغرائب، وأصبحت مملكة ابن سعود، ومساحتها مثل مساحة ألمانيا وفرنسا وإيطاليا معا، وفيها الأمن العام مستتبّ بشكل لا يوجد في أية دولة متمدنة من الدول الغربية. والآن يستطيع كلّ شخص أن يسافر بمفرده في الصحراوات الواسعة وسط بلاد العرب دون أن يحمل سلاحا أصلا، وإن كان يحمل الأثقال من الذّهب، فلا يصيبه ضرّ أو أذى. وقد كان الناس قبلا لا يقطعون تلك الجهات إلا جماعات مسلحين"[٤٥].

أثمرت هذه الجهود النوعية مجتمعا يسوده الأمن الفريد من نوعه

---

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٤.

ج - التغيّر الواضح: لما استقر الأمر، واستتب الأمن نتيجة جهود الملك عبدالعزيز الجبّارة في صفوف أولئك الذين كانوا قد تخلّوا عن الإنسانية والضمير والوازع الشرعي، فدبّت فيهم حركة تغيير عجيبة حتى لكأنّما أدركوا الإسلام بعد الجاهلية، فأحسّوا أنّهم أصحاب رسالة سامية في الدولة الجديدة؛ فشرعوا - كما يقول ابن باديس - "يحسّون تدريجيا أنهم حاملو عَلَم تقدّم عظيم، وقد أثار التّعليم الدّينيّ الذي أتاهم ابن سعود به عاطفة إطلاق الدّين المتغلغلة في نفوس العرب، وأدركوا أن دولة إسلامية في دور النشوء في بلادهم، وأنّ عليهم أن يضعوا لها الأعمدة والأسس. وكذلك أصبحوا أصدق النّصراء للإسلام بعد أن كانوا لا يعلمون إلا قشورا منه، وصاروا ينظرون إلى نجد نظرتهم إلى معقل الإسلام، وإنهم لمحقّون في ذلك. وقد تركوا اعتبارات العصبية المحدودة، وسمّوا أنفسهم (إخوانا)؛ أي: إخوان كلّ من يسلم قلبه لله دون قيد أو شرط"(٤٦).

د - الإخوان دعامة جيش عبدالعزيز: من الصّور الحيّة لتفجير الطّاقات، وتأطيرها لأداء رسالة سامية كالرّسالة التي نذر الملك عبدالعزيز نفسه لها؛ بإقامة دولة العدل والتوحيد، دولة الإسلام، صورة (الإخوان)، دعامة جيشه: "فللإخوان أهميّة عظيمة بالنسبة لدولة ابن سعود؛ لأنّهم في حالة الحرب يتطوّع منهم كل رجل قادر على القتال،

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٥.

ويدخل في جيش ملكهم، وملء قلبه النخوة والحماسة. وإذ إنّهم يعتبرون أنفسهم الممثّلين الصّادقين للدّين الحقّ، ولا يقاتلون إلا في سبيله. لا يرهب الإخوان الموت بل يرحّبون به، ولكن دون أن يزدروا الحياة"(٤٧).

هذه الخصال الفريدة أهّلتهم - كما يقول ابن باديس - لأن يكونوا "أكثر جيوش العالم شجاعة، وصبرا، وسرعة في الحركة، ولو مُدّوا بالأسلحة الهندسية الحديثة لاستطاعوا أن يفتتحوا دولة عظيمة. وهم في وقت السّلم مشتّتون في أنحاء البلاد، ولكن إذا دعاهم الملك لم ينقض شهر واحد [بسبب بدائية وسائل المواصلات والاتصالات] حتّى يجتمعوا كلّهم في المكان المعيّن...، وهذا الجيش المتحمّس القليل الكلفة يجعل ابن سعود أقوى من أي حاكم عربيّ قبله"(٤٨).

و - من مظاهر حكمة الملك عبدالعزيز السياسية والعسكريّة: طريق الملك عبدالعزيز - يرحمه الله تعالى - إلى إقامة دولته، واستقرارها لم تكن طريقا ممهّدة دون فتن، ونكث عهود، فكان يتصرف مع كل ذلك بما عهد فيه من حكمة وكياسة في موضع الحكمة والسياسة، والبأس والشدّة - وفق أحكام الشّريعة الغرّاء - في المواضع التي تقتضي ذلك.

ولقد كان لهذه السياسة أنصارها والمدافعون عنها في الجزائر بحماسة وحجة ويقين. وفي هذا الصدد انبرى

(٤٧) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٥.

الأستاذ أحمد توفيق المدني(*) أحد أعضاء وكتاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البارزين، في مقالة نشرها بمجلة الشهاب التي كان يصدرها عبدالحميد بن باديس يدافع عن العقوبة المستحقة التي أنزلها الملك عبدالعزيز على فئة من الإخوان، حين عاودت بغيها وعدوانها بعد أن عفا عنهم، فتحت عنوان "السيف في موضع السيف" كتب قائلا: "مرحى للملك العظيم ابن السعود وألف مرحى. إنّه لرجل الحزم والتبصّر، وبطل الحرب والسياسة، وساعد العرب المتين، وقائدهم الذي لا يهون ولا يلين"(٤٩). من تكن هذه أوصافه لا يُخشى منه ظلم ولا عدوان، ولا تتطّع في إنفاذ حكم، لهذا يعيب الكاتب على من عاب عليه القصاص من المفسدين فيقول: "نقم عليه ضعفاء العقل وسفهاء الأحلام، شدّة استعملها في سبيل

(*) أحمد توفيق المدني (١٣١٧-١٤٠٣هـ/ ١٨٩٩ - ١٩٨٣م): ولد بتونس من أسرة جزائرية هاجرت إلى تونس قبل مولده. حفظ القرآن، وتلقى علوم العربية والفقه، والحساب، إلى جانب الفرنسية. درس بالزيتونة عام ١٩١٣م (١٣٣١هـ)، وسجن بتونس سنة ١٩١٥م (١٣٣٣هـ) مدة ثلاث سنوات بسبب نشاطه ضد الاستعمار الفرنسي. عاد للجزائر سنة ١٩٢٥م (١٣٤٣هـ)، وعمل بالصحافة الوطنية الحرة خاصة صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منها، الشهاب، الإصلاح، البصائر. وتولى منصب الكاتب العام للجمعية. وإثر الاستقلال تولى منصب وزير الأوقاف في أول حكومة جزائرية. من آثاره العلمية: تقويم المنصور، كتاب الجزائر، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وأسبانيا، كتاب الجزائر، حياة كفاح ٣ أجزاء (مذكراته).
Encyclopédie, des savants, et des hommes des Lettres Algériens, dar el hadhara, 2002; p. 165.

(٤٩) المدني، أحمد توفيق، حياة كفاح، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،١٩٧٧م، ج٢.

الله، وبطشا حطّم به معاقل الفساد والنفاق، وصلابة لولاها لشتت الله شمل الجزيرة بعد الاجتماع، ولحلّت فيها الفوضى السّالفة محلّ النّظام، ولسالت الدماء فيها، وانتُهكت الحرمات بدل الأمن والعافية والسلام. ولقام الدّليل للعالم أجمع بأنّ العرب أمة الهمجية والفوضى والفتن وسفك الدّماء، وأنّه هيهات لتلك الأمة أن تعود للمدنية بعد أن خرجت منها، وانفصم حبل الاتصال بينهما"[٥٠]، إن تكن هذه النتيجة فما أهون الثمن، الإطاحة بالفئة الباغية التي "أعلنت ضده حربا لم تُراع فيها للعروبة ولا للإسلام إلاّ ولا ذمّة، وجمعت حولها جموع الفتك والنّهب والفوضى، أولئك الذين لا يعيشون إلا من وراء الفتك، ولا يرتاحون إلا بعد الفيء.

ولم ترحم الأرحام منهم أقارب تُروّي سيوفا من دماء الأقارب

ثم تجمعت جموعهم الوحشيّة، وراموا القضاء على تلك الدولة العربية الفتية، في مهدها، حتى يخلو الجوّ لكلّ طمّاع أثيم، فيعيش سائبا ناهبا، سافكا، لا تردعه قوم، ولا يناوئه مقام. أرادها أعداء الله وأعداء المدنية فتنة هوجاء وحربا عمياء، لكن ربّك أرادها للعرب غير ذلك، وإنّ ربّك لبالمرصاد"[٥١]. أمثل هؤلاء يُلام فيهم من كفّ شرهم، وانتقم للشريعة والأخلاق والأمن والمدنية منهم؟ ورغم ذلك ألم يكن من قبل قد "ظفر بهم الملك عبدالعزيز أوّل مرّة؛ فشتّت شملهم، وفرّق جموعهم، واغتربهم،

(٥٠) المرجع نفسه.

(٥١) المرجع نفسه.

والمؤمن غرّ كريم، فعفا عنهم بعد المقدرة، وصفح عنهم بعد سقوطهم واستسلامهم، وأخذ عليهم عهد الله وميثاقه؛ ليخلدن بعدها إلى السّكينة، ولينبذن تلك الفتنة، وليرجعن إلى الجماعة، وليرضخن إلى حكم الله"(٥٢). لكن هل أجدى ذلك معهم نفعا؟، "للأسف الشديد، فعلى الرغم من أريحيّة تلك الخلال الحسنة، والسجايا الطيّبة الرقيقة، التي أبداها الملك عبدالعزيز، وواجه بها هؤلاء القوم، مع مقدرته على القصاص منهم بالحق... إلاّ أنّهم لم يصدقوه القول، ولم يكونوا شرفاء وأصحاب كلمة وعهد"(٥٣).

١١ - توطين البدو خدمة للدين والمدنية:

برهنت إنجازات الملك عبدالعزيز على أنّه رجل دولة وحضارة واجتماع إنساني؛ فاستولت على اهتمام رجال الحركة الإصلاحية بالجزائر، فقدّروها حقّ قدرها. فهي برهان عملي قاطع على اهتداء هذا الحاكم الذي لم يحتك بالمدنية الغربية، لأرقى الحلول الاجتماعية بعبقرية، لأوضاع وظواهر اجتماعية تقتضي أن يتصدّى لدراستها، ووضع تصورات لمعالجتها مراكز بحث اجتماعية وإستراتيجية كالتي ظهرت في الغرب في العصر الحديث؛ "وضع ابن سعود عمله لتحضير البلاد على أساس أكبر... فقد شرع يفكر في استيطان البدو؛ إذ اتضح له أن تنقّل البدو من جهة إلى



(٥٢) المرجع نفسه.

(٥٣) المرجع نفسه.

أخرى كل حين يمنع تقدّم المدنية بينهم، ويحول دون ما هو أهمّ من ذلك عنده، وهو تمكين الدّين من نفوسهم. وعلى ذلك أخذ يبث هذه الفكرة في البدو، ولم تكن بلاد العرب تعرفها من قبل. وقد نجح في هذا نجاحا أكبر مما ارتقبه. وبدأت القبائل واحدة إثر أخرى تدرك فائدة المعيشة المستقرة في ناحية معلومة"[٥٤].

إذن فالعملية تمّت وفق خطّة محكمة: تشخيص الظاهرة، وتحديد السلبيات، ورسم أهداف المخطط وهي (التّمدين، وتمكين الدّين من النّفوس)، ثم اتّخاذ وسائل التّنفيذ الملائمة للبيئة.

إنّ هذا العمل في ميزان الحضارة والرّقي السليم بالإنسان "سوف تقدّر أهميّته من وجهة الحضارة، وأن التاريخ سوف يفرد لهذا الملك صفحة بين صفحات العظماء الذين خطوا بالإنسانية خطوات إلى الأمام"[٥٥].

١٢ - حيازة دولة عبدالعزيز على موجبات السيادة والتقدم:

يحتكم الإمام ابن باديس إلى مقاييس اجتماعية وقيمية بصفتها مقدمات تنتج عنها نتائج هي الغاية لدى مجتمع أو دولة تطلب الرّقيّ والازدهار. فمن خلال منهج استقرائي لخصائص ما سماها بـ (الأمة النجدية) قياسا على (الأمة الجزائرية) المصطلح الذي كان سائد الاستعمال آنذاك نتيجة

---

(٥٤) ابن باديس، جريدة الشهاب، المصدر السابق، ص ١٤.

(٥٥) المصدر نفسه، ص١٤.

ملابسات الصراع الحضاري، فخلص إلى "أن الأمة النجدية لها من الصّفات النفسيّة والأدبيّة والاجتماعيّة، ما تستحقّ به السيادة والاستقلال والتقدم، والقيام بجلائل الأعمال، وأن الحكومة النجدية مرتكزة على نشر الأمن والعدالة والتّسامح وحبّ المعارف. وهذه الأربعة - كما قال الأستاذ (فلندر زيتري) العالم المؤرخ المشهور- هي أصول الحضارة والشروط اللاّزمة للتمدّن الدّائم الصحيح"(٥٦).

١٣ - الملك عبدالعزيز زعيم العرب ونهضتهم:

من الحكّام والأمراء من يعتقد أن الزّعامة والسيادة مما يُتوارث بالأحساب والأنساب فحسب، حتّى وإن جاءت أعمالهم في غير مصالح الأمّة التي يحكمونها، إلا أن ابن باديس رأى بعد تحليله أوضاعَ الأمّة العربيّة إثر الحرب العالمية الأولى، أنّ زعامة هذه الأمّة لا يستحقها إلا رجل له من الصفات والسيرة الحسنة، والقوة المرهوبة ما يُطوّع الأحداث لصالح تلك الأمة وجمع شملها، وهذا الرجل هو الملك عبدالعزيز، يقول: "انتهت الحرب الكبرى، وكان حظّ العرب منها بتفرّق كلمتهم، وتنازع أمرائهم في داخل الجزيرة ووفودهم تحت نير الاستعمار الجائر في سورية والعراق وفلسطين... لم يبق بعد هذا كلّه من يُرجى للنهضة العربية وزعامة العرب حقيقة إلا ابن السعود بشخصيّته البارزة، وصفاته الممتازة، وسيرته الحكيمة العادلة، وجيشه المرهوب، فقام هذا الأمير وغايته الوحيدة التي جعلها نصب عينيه هي

(٥٦) المصدر نفسه، ص ١٤.

تطهير جزيرة العرب من الأجانب، وأذنابهم... وجمع شمل الأمة العربية بعقد حلف بين أمرائها في الجزيرة وخارجها. والواقف على منشوراته العامّة ومداولاته مع أمراء الجزيرة يعلم هذا، ويتحقّقه، فأخذ يسعى لهذه الغاية العظيمة، ويهيئ لها الأسباب"(٥٧).

١٤ - الملك عبدالعزيز زعيم الأمة العظيم الوحيد:

لم تكن رغبة الملك عبدالعزيز إقامة دولة لها حدود معلومة تبحث لها عن مكان تحت شمس العالم المعاصر، وتقف رسالتها عند حدودها، إنّما كان الرجل يصدر عن رؤية إصلاحية سياسية شاملة للأمة العربية كلّها، على أسس من تعاليم الإسلام؛ يقول ابن باديس: "وإنّ حركة الوهّابيين اليوم حركة سياسية إصلاحية ترمي إلى توحيد العرب بربط حلف بين أمرائهم المعتبرين، وتثقيفهم بالعلوم، وتفهيمهم بالحكمة حقيقة دينهم العظيم، حتى يصبحوا - بإذن الله تعالى - أمّة حيّة تعرف ما لها من الحق في الوجود وما عليها من الواجب نحوه"(٥٨)؛ فهذه رسالتهم التي ينبغي أن يتطلّعوا لتحقيقها اليوم، استئنافا لدورهم في الشهود الحضاري الذي أحسن أسلافهم القيام به على أحسن وجه، يقول ابن باديس: "ويمثلوا حقيقة تلك الأمّة الكريمة التي دوّخت العالم بسياستها، ونشرت في أقطاره خطّها ولسانها، وإنارته بدينها ومدنيتها. وكانت الواسطة الأمينة الفعّالة بين التمدن القديم،

---

(٥٧) ابن باديس، جريدة النجاح، العدد ١٨٠، المصدر السابق، ص ٥.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٦.

والتمدّن الحديث، ويرفعوا منار الإسلام بمدنيته الحقّة الرّاقية في هذا الزمان كما رفعوه كذلك في سالف الأيام، ويجب أن نعلن بأن الفضل الأول في هذا كله للرّجل الكريم، والبطل العظيم السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، الذي لا نشك أنه سيكون له - إن شاء الله تعالى - في تاريخ العرب ما كان لمصطفى كمال في تاريخ الترك [مع الفارق في أسس واتجاه كل منهما طبعا]؛ فالأمّة العربيّة اليوم تعتبر هذا الأمير العظيم زعيمها الحقيقي الوحيد، وتعلّق عليه الآمال الكبار والعالم الإسلامي ينظر إليه بعين العطف والاعتبار، شاكرا خدمته الجلى، وسلوكه السياسي النظيف ومقصده السامي الشريف، ومقدار منزلته العالية التي نالها في عين العالم عن جدارة واستحقاق"(٥٩).

١٥ - الملك عبدالعزيز والغرب:

هذه صفحة لم أرد أن أجتازها وأنا أتتبّع الحضور القويّ لشخصية الملك عبدالعزيز، وأعماله في دائرة اهتمام الحركة الإصلاحية في الجزائر. فلقد كان الإمام عبدالحميد بن باديس يتابع بعين المراقب الفطن تطلعات الغرب الاستعماري - مجسّدا في دولتيه الكبيرتين (بريطانيا وفرنسا) آنذاك - إلى النفوذ في جزيرة العرب. والمعروف عن ابن باديس أنه كان يدعو إلى حسن الاستفادة ممّا لدى هؤلاء الغربيين من علوم مدنية مفيدة، وخبرات فنيّة تعود على المسلمين بالخير، ومن هذا المنطلق عالج هذا الموضوع في مقال عنوانه (جزيرة

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٦.

العرب والنفوذ الإنجليزي الفرنسوي)، فوصف كنوز الجزيرة العربية الفكرية والمادية قائلا: "لا تزال جزيرة العرب إلى اليوم بلدا بكرا، في معتصم من السلطة الأجنبية، وفي عزلة عن الحضارة العصرية، لم يستخرج العلم كنوز الفكر من رؤوس أهلها ذات الذكاء الفطري المتوارث. ولم تستخرج الصناعة كنوز المعادن من أحشاء أرضها الكثيرة السهول والنجود"[٦٠].

إلا أنّها مع ذلك واقعة بين معقلين استعماريين للحضارة الأوروبية، فرنسا من الشام، وإنجلترا من العراق، لهذا رأى ابن باديس أنهما: "لا يبرحان يعملان على توسيع نفوذهما، واستدرار تلك الخيرات الطبيعية لأبنائهما. وهما لذلك متزاحمان تزاحما يتفاقم ما بينهما يوما فيوما"[٦١].

واستنادا إلى أنباء تفيد "بسعي فرنسا إلى ربط صلات الودّ والصداقة مع سيد مكّة والرياض، وسعي إنجلترا في عقد معاهدة مع سيد صنعاء"[٦٢]، ذهب ابن باديس إلى أن النّفوذ لا يكون ضارّا إلاّ بالنسبة للحكومة الضعيفة الجاهلة مما ينجر عنه امتيازات، وتدخلات في الشؤون الداخلية لا نهاية لها، وتحمد عقباها. أمّا "إذا كانت على رأسها حكومة قويّة عالمة تعرف كيف تستعمل مال الغرب وأبناءه استعمال العدل والإنصاف؛ يأخذ أجره من الأرض التي يخدمها، لا من روح الأمة واستقلالها، فإنّها - تلك الأمّة - ترقى في معارج

---

(٦٠) ابن باديس، عبدالحميد، "جزيرة العرب والنفوذ الإنكليزي الفرنسوي"، جريدة الشهاب، العدد ٥٣، ١٩٢٦م، ص٤.

(٦١) المصدر نفسه، ص٤.

(٦٢) المصدر نفسه، ص٤.

الحضارة، وتستخرج كنوز أرضها التي تدرّ البركات على الأمّة، وتنقذها من الفاقة والجهل. إن الذين يعرفون الملك السلفيّ الإمام ابن السعود، يتحققون أنه يستغل من المتزاحمين ما ينفعه، ولا يقع فيما يضره"(٦٣).

سبحان الله لكأنّ ابن باديس والملك عبدالعزيز يصدران عن مشكاة واحدة؛ فالمعروف أن المملكة العربية السعودية انتهجت هذا المنهج الذكي في الاستفادة من خبرات الغرب وعلومه ومدنيته، لتمدّنها واستخراج خيرات أرضها، دون أن تسلّمه روحها، ولا منهج حكمها، ولا قيمها، كما هي حال كثير من بلاد العرب والمسلمين.

١٦ - من مظاهر تفاعل الحركة الإصلاحية الجزائرية مع أعمال الملك عبدالعزيز:

الحقيقة أن كلّ ما مضى ذكره في ثنايا هذا البحث لا يخرج عن وصفه بتفاعل الحركة الإصلاحية بالجزائر مع الحيوية الزاخرة التي أحدثتها أعمال الملك عبدالعزيز وإنجازاته، ولكن الأحداث تتفاوت من حيث الأهمية والجسامة، إذ إنّنا سجّلنا تجاوب تلك الحركة الكبير مع التغييرات العظيمة التي أحدثها الملك عبدالعزيز، إلى جانب أحداث كان يمكن أن تمرّ دون اهتمام كبير. وسوف نقتصر - تمثيلا - على حدثين هما:

أ - الإصلاحيون يستبشرون للمصالحة بين ملكين: كان رجال الحركة الإصلاحية بالجزائر يعبّرون عن ابتهاجهم بكل

---

(٦٣) المصدر نفسه، ص٤.



خطوة نحو التئام شمل الأمة وقادتها، وفي هذا الاتجاه كتبت جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تحت عنوان (السّلم العربي) عن اللقاء الذي تم بين الملك عبدالعزيز والملك عبدالله بن الحسين في الرياض، "وبتلك الزيارة تنهار أحقاد، وتسقط إحن، وتنتهي مزاحمة دامت قرابة قرن، ويعود العرب بحمد الله كما كانوا من قبل إخوانا في السرّاء والضرّاء"(٦٤). ويلحظ في هذا الاستبشار تثمين الحريص على ألاّ يكون بين حكّام الأمّة إلاّ المودّة والتّآزر في كلّ الأحوال، الأمر الذي ينعكس إيجابا على شعوبهم.

ب - إصلاح الملك عبدالعزيز الحرم النبوي من ماله الخاص: اتّسمت المعالجة الإخبارية الإعلامية بصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بميزات عدة منها: الصراحة، تحري الصدق في الخبر، شمولية المعالجة، الإشادة بالبادرة الإيجابية، الإنصاف. في ضوء هذه الخصائص نورد الخبر الذي نشرته جريدة البصائر: "كم آلمتنا الأنباء الواردة من الحجاز، والتي تخبر بأنّ بعض أعمدة الحرم النّبويّ الشّريف توشك أن تنهار، وبأن الحكومة المصريّة قد فتحت اكتتابا عامّا بجمع الإعانات للقيام بعمليات الترميم والإصلاحات اللازمة؛ فعجبنا، واستغربنا، وازددنا تألّما من عدم إنقاذ هذا التراث الإسلامي المهم، وأخيرا جاءت الأخبار فحقّقت ما كنّا

---

(٦٤) جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٤٢، ٢٧/٨/ ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨/٧/٥م، ص ٨.

نعتقده من صاحب الجلالة الملك ابن سعود من الغيرة على مقدّسات المسلمين، فأعلن رسميا قيامه بإصلاح الحرم الشريف من ماله الخاص، وإنّما طلب من الحكومة المصرية أن تمدّه بالمهندسين والفنيين اللازمين، وأعلنت حكومة النّحاس باشا بدورها إيقاف الاكتتاب، وإرجاع الأموال المقبوضة إلى أهلها"(٦٥). فهذه العيّنة من التفاعل مع أعمال الملك عبدالعزيز، تدل على التجاوب الروحي والفكري الكبيرين، وعلى المكانة المميزة التي بقي الملك يحتلها في نفوس الإصلاحيين حتى بعد رحيل زعيمهم ابن باديس.

مملكة عبدالعزيز في رحلة الغسيري:

محمد منصور الغسيري(*) أحد تلاميذ ابن باديس ورجال الإصلاح وكتّاب صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البارزين، نشر فصول رحلته (عدت من الشرق) في جريدة البصائر في حلقات عدة أطولها الجزء المخصّص للسعودية؛

(٦٥) جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ١٤٥، ٢٧/٥/١٣٧٠هـ - ٥/٣/١٩٥١م، ص ٨.

(*) محمد المنصوري الغسيري: (١٣٣٧-١٣٩٤هـ/ ١٩١٩ - ١٩٧٤م)، ولد بقرية غسيرة بآريس باتنة (الأوراس)، حفظ القرآن الكريم وعلوم الفقه واللغة العربية بالزاوية. التحق سنة ١٩٣٢م بالجامع الأخضر بقسنطينة؛ فدرس على ابن باديس مدة ٤ سنوات. ثم درس بمدارس جمعية العلماء لسنوات. كلف من طرف جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة بمهام عدة آخرها تمثلها بدمشق. وبعد الاستقلال تولى السفارة لبلاده في سوريا والسعودية والكويت. من آثاره مقالاته بصحف الجمعية، وتأليف كتب مدرسية.

Encyclopédie, des savants, et des hommes de lettres, algériens, pp. 147 - 149.

فقد امتد هذا الجزء إلى ثماني عشرة حلقة، سجّل فيها بفخر واعتزاز العربيّ المسلم التحوّل العمراني والحضاري الكبير في المملكة، فأصبحت المثل الذي ضربه الله للمسلمين؛ قال: "أما مكة المدينة فقد ظلّت تتأرجح الحضارة الإسلامية فيها بين الرقيّ والتسكّع في أحضان الانحطاط، حتى انبثق الفجر عن ميلاد حكومة بدويّة جمعت كلّ معاني الشهامة والجرأة، والحفاظ والشمم العربي، وراء سلاسل جبال السراة، وفي أحضان جبال نجد الشامخة، هناك نشأت، وترعرعت هذه الحكومة الصالحة، وكأنّ الله أراد أن يضرب المثل الصادق للأمم الإسلامية في أنّه جلّ وعلا يستطيع أن يحقّق في كلّ وقت ما حققه للأمم الماضية؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]"(٦٦)، إنّها الحكومة التي اتخذت الإصلاح الديني والدنيوي منهجا للنهوض، ومن الإسلام دستورا للحكم، وفقها الله بأن ادّخر علما من أعلام الإسلام محمد بن عبدالوهاب؛ ليضع لها القواعد، ويرشدها إلى أقوم الطرق في النهوض الديني والدنيوي، فكان أن اتّخذت الإسلام دستورها في الحكم، وكان أن اتّخذت الإصلاح الديني شعارها في بعث همم المسلمين من جديد، وإنارة عقولهم بشعاع روحانية الإسلام، وإشاعة الحب الصادق بين قلوب المؤمنين"(٦٧).

---

(٦٦) الغسيري، محمد المنصوري، "عدت من الشرق"، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٢٥٩، ١٣٧٣/٦/١٥هـ - ١٩٥٤/٢/١٩م، ص٦.

(٦٧) المصدر نفسه، ص٦.

وقيض الله الملك عبدالعزيز - بما حباه الله من مميزات - ليكون المؤسس لهذه الدولة، المجسّد لقيمها ومبادئها الكريمة: "وشاء الله تعالى أن يتزعّم هذه الدولة الفتية الملك الصالح، والمؤمن القويّ، والسياسيّ، عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - طيب الله ثراه - فكانت نتيجة ذلك كلّه أن رفع أمّة، وأحيا شعبا، وأدال لدين الله الحق أن يقضي بسرعة خارقة على الخرافات والأوهام في الجزيرة وخارجها، ومدّن الجمّالين ورعاة الأغنام، فأصبحوا مهندسين، وحكماء، وطيّارين. ورفع أعلام الحرية فوق أرض تجرّعت كؤوس الخيبة والظنّ السيّئ في إمكان وجود عدالة فوقها زمنا طويلا. وكما مدّن الجمّالين قهر المنافقين والمتزلفين والطمّاعين في المغانم، حتى استتبّ الأمن في البلاد العربية السعودية، وكادت الحضارة تهجم على أقاصي أوكار التوحّش في البلاد"[٦٨].

ثم يطلق الغسيري أنشودة نثرية جميلة يثني فيها على الملك الكبير دون تزيد أو مبالغة، فيقول: "إي ورب الكعبة لقد كان الملك عبدالعزيز عظيما حقّا، وصالحا مصلحا حقّا، وعربيا صريحا حقّا، ومؤمنا قويّا صادقا حقّا، كان مجدّدا يهوى الإصلاح ويتخيّر له الفرص، ويرتاح للإنشاء والتّعمير؛ فبنى القصور والمنشآت الخيرية والثّقافية، وشقّ الطّرق في كثير من المناطق الوعرة، ورصف بعضها. ونوى أن ينهي رصف طريق مكة - جدة - المدينة، في بحر سنة واحدة لو لم تعالجه المنية رحمه الله. وتعطّف؛ فأمر بترميم جزء من

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٦.

الحرم المدني تصدّع بنيانه أو أوشك، ثم أضاف إليه مساحة سبعة آلاف متر مربّع زيادة على آلافه الثمانية الحالية. وكانت المساحة المذكورة مبنيّة كديار للنّاس اشتراها منهم بباهض الأثمان، وكتب الله لنا أن نرى الأعمال الهندسيّة قائمة مدى وجودنا هناك، فكانت جديرة بالإعجاب والتقدير. هذه مكة وقد بُنيت حول البيت الحرام دُورها الجميلة الأنيقة، وفتحت الأسواق التجارية القارة، وانتشرت المصانع الصغيرة خلالها. وعمّت الحيويّة كل هذه المنشآت وقت الحج، وغصّت المدينة بمئات الألوف من الحجاج"[٦٩].

المملكة العربية السعودية وقضايا الأمة في كتابات بعض الإصلاحيين الجزائريين:

يأتي هذا المبحث توسعة لرقعة البحث حول حضور المملكة العربية السعودية في بعض كتابات الإصلاحيين الجزائريين، فيمتد على مساحة زمنية تتجاوز فترة حكم الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى بضع سنوات؛ نظرا لنوعية الأحداث التي جرت في ذاك التاريخ المرتبط بتطورات ثورة التحرير الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢م (١٣٧٣ - ١٣٨٢هـ).

والحق أن النّصوص المتّصلة بموضوعنا تتعلق بفترة عرفت العلاقات الجزائرية (ممثّلة خاصّة في ممثّلي ثورة التحرير الجزائرية) والمملكة العربية السعودية، خصوصية نوعية في نصرة القضية الجزائرية بالمال والموقف السياسي والدبلوماسي، والاحتضان العلمي والثقافي.

(٦٩) المصدر نفسه، ص٦.

وكتابات كهذه لا ينبغي - بأية حال - تجاوزها في بحثنا لوزنها في تاريخ العلاقات السياسية، بل إنّه يمثّل - بالنّسبة لنا نحن الجزائريين - سندا قويا في صراعنا الحضاري مع تيارات استئصال الجزائر من محيطها العربي الإسلامي، ومحاولة إلحاقها بالغرب تحت عناوين مختلفة كالبعد المتوسطي الذي لا يزيد عن كونه بعدا جوسياسيا وتاريخيا ذا صبغة استعمارية، وارتباط مصالح اقتصادية بعيدة عن الانتماء الحضاري بمفهومه الشاسع.

وقد قسمت هذا المبحث إلى مستويين: مستوى الكشف عن القضايا التي حرّكت العلاقات بين البلدين على الميدانين الفكري والعملي، وأهم قضيتين تتعلقان بهذا الجانب هما: القضية الجزائرية في تجلياتها السياسية والثقافية وحتى العسكرية (الدعم المالي للثورة الجزائرية)، والقضية الفلسطينية من حيث هي قضية العرب الكبرى، وعلى وجه التحديد هنا الكشف عن بعض جهود المملكة العربية السعودية في هذه القضية، كما تناولتها بعض الصحف الجزائرية، والمثقفين الجزائريين. أما المستوى الثاني، فيتناول الرصد الإعلامي والثقافي لبعض المنجزات العمرانية بالمملكة.

المملكة والقضية الجزائرية

نعني بالقضية الجزائرية، نضال الجزائريين السّياسي والمسلّح، لاستقلالهم عن فرنسا. فإن تكن الثورة الجزائرية قد اندلعت عاما بعد وفاة جلالة الملك عبدالعزيز، فإن

خليفته الملك سعود - رحمه الله - تبنّى القضيّة الجزائرية بروح والده الملك عبدالعزيز ونصرته للحق.

١ - من وجوه دعم القضية الجزائرية:

فلقد دلّت الوثائق السّياسيّة والتّاريخيّة على الدّرجة العالية المستوى لتلك المواقف؛ ففي برقية مؤرخة في ١٣٧٦/٣/٢٤هـ عدد ٦٨٩/٢/١/٥١ أرسلها جلالة الملك سعود إلى الأمير محمد سعيد(*) حفيد الأمير عبدالقادر الجزائري، يؤكّد له فيها ما تحظى به القضيّة الجزائريّة من اهتمام ومساعدة لدى الحكومة السعودية، ورد فيها:

"من سعود بن عبدالعزيز إلى صاحب السّعادة الأمير محمد سعيد الجزائري سلمه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد تسلّمنا رسالة سموّكم المؤرّخة في ١٣٧٦/١/٢٣هـ، وشكرنا لكم ما أعربتم عنه من عواطف

(*) الأمير محمد سعيد بن علي بن عبدالقادر بن محيي الدين الحسني الجزائري: من العاملين في الحركة العربية الحديثة، وحفيد الأمير عبدالقادر الجزائري. ولد وتعلم وعاش بدمشق. ولما خرج العثمانيون منها سنة ١٩١٧م (١٣٣٥هـ)، قلدوه وكالة الحكم المباشر لسورية على أن يقوم أهلها بالدفاع عنها، وتكون مستقلة ذات سيادة لها الحق أن تختار أية دولة تسعفها على نهضتها، فأعلن استقلال سورية قبل دخول الجيشين العربي والبريطاني، وألف حكومة وطنية مؤقتة؛ فعاشت يومين، تسلم الحكم بعدها الأمير فيصل بن الحسين (١٣٣٥/٧/٢٦هـ - ١٩١٧/٥/١٧م)، ثم نفاه الإنجليز إلى مصر. وعاد إلى دمشق بعد الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٢٠م (١٣٣٨هـ). ولما نقل جثمان جده الأمير عبدالقادر من دمشق إلى الجزائر سنة ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ) رافق الجثمان، واستقر بها إلى أن توفي، ودفن بمعسكر. نويهض، المرجع السابق، ص١٠٩.

طيبة، كما شكرنا لكم هديتكم الثمينة التي هي كتاب الله عز وجل. أما فيما يتعلق بقضية الجزائر فنحن - والحمد لله - ما توانينا منذ البداية عن بذل الجهود في مساعدتها، كما أنّنا لن نتوانى بحول الله وتوفيقه على ذلك، فهي قضية العرب والمسلمين أجمعين. نسأل الله أن يوفّق الجميع لما فيه خير الإسلام والعروبة. والسلام"(٧٠).

من المؤكّد أن الردّ الذي تضمّنته هذه الرّسالة ليس مجرّد لباقة جرى بها العرف الدبلوماسي والسياسي في مثل هذه المراسلات والاتّصالات، إذ تتعاضد الأدلة التاريخية على تصديق الفعل للقول، في بذل الجهود والمساعي في سبيل القضية الجزائرية. والحقّ أنّ كلمة "مساعدة" تواضع من الملك وحكومته التي يعبّر عمّا فعلته تجاه تلك القضية.

فلقد حملت الثورة الجزائرية في المحافل الدولية؛ لتخرج بها من مجرد صورة تمرد قام به متمرّدون على النظام - كما كان يدّعي الاستعمار - إلى قضيّة شعب يسعى لانتزاع حريته بالأساليب التي اختارها.

يقول الأستاذ جميل إبراهيم الحجيلان الأمين السابق لمجلس التعاون لدول الخليج العربي، في محاضرة عنوانها (الدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي): "وعندما انتفض الشّعب الجزائري انتفاضته الكبرى في مطلع شهر نوفمبر عام ١٩٥٤م (ربيع الأول ١٣٧٤هـ) بادرت المملكة

(٧٠) الأمير محمد سعيد، مذكراتي، ط١، دار الشركة الجزائرية للتأليف والنشر، الجزائر، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، ص ٣٠٠.

العربية السعودية بعد شهرين فقط من انطلاق هذه الثورة؛ لتجعل من هذه القضية قضية دولية، لا يمكن للعالم أن يغمض عينيه عنها. وانطلق فيصل يستجمع القوى والأنصار في المحافل الدولية؛ فحوّلها إلى قضية من قضايا مجلس الأمن، ثم انتقل بها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تبنتها واحتضنتها، وتحوّلت ثورة الجزائر في العالم من تمرد يقوم به العصاة على النظام - كما طاب لفرنسا أن تقول - إلى قضية شعب مستعمر مقهور يطالب بحريته وكرامته"(٧١).

وفقهاء السياسة الدولية وحدهم الذين يفقهون حقّ الفقه الخروج بقضية ما من دائرة العصيان والتمرّد وربّما الإرهاب، إلى قضية تقرير مصير شعب تجاه إحدى القوى العظمى وأحد أركان الحلف الأطلسي الذي أثبتت الوقائع الحيّة مشاركته الفعلية المسلّحة في إخماد تلك الثورة.

وقد أكّد الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي وزير الخارجية الجزائري لسنوات عدة ونجل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ثاني رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في معرض تعقيبه على المحاضرة المذكورة، دور المملكة الكبير في تسجيل القضية الجزائرية بمجلس الأمن، فقال: "من جانبي أكّدت له - أي الملك فيصل يرحمه الله تعالى - أنّنا في الجزائر لا ننسى أنّ الأمير فيصل بن عبدالعزيز أوّل من طالب بتسجيل القضية الجزائريّة في مجلس الأمن برسالة

(٧١) الحجيلان، جميل إبراهيم: الدور القيادي للملك فيصل في العالم العربي، ملحق (مجلة الفيصل) العدد ٢٣٧، ربيع الأول، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص٢٥.

مؤرخة في ١٩٥٥/١/٥م (١٣٧٤/٥/١٢هـ)؛ أي: بعد شهرين فقط من اندلاع القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٥٥م (١٣٧٤هـ) [بتوجيه من جلالة الملك سعود]، كما لا ننسى أنّ المملكة ساعدتنا ماديًا ومعنويًا طوال سنين الثورة، وأنّ كثيرا من المساعدات كان من ورائها الأمير فيصل بن عبدالعزيز"(٧٢).

وهذا نصّ برقية رئيس مجلس الأمن في تلك الفترة لمندوب المملكة بالهيئة الأممية: "سعادة الشيخ أسعد الفقيه مندوب المملكة العربية السعودية الدّائم لدى الأمم المتّحدة، أتشرّف بإخباركم بوصول كتابكم المؤرخ في ١٩٥٥/٥/٥م (١٣٧٤/٩/١٤هـ)، وإفادتكم بأنه طبقا لرغبتكم سيجري تقديم كتابكم مع مرفقاته إلى أعضاء مجلس الأمن التي سيشار إليها برقم س/٣٣٤١/١. وتفضّلوا بقبول فائق الاحترام.

ليسلي مونرو

رئيس مجلس الأمن"(٧٣).

ولقد استمرت هذه المواقف الجليلة المشرّفة من المملكة ملكا وأمراء وحكومة وشعبا على امتداد الثورة الجزائرية، وتداعيات قضيتها. فمن وجوه الدّعم الدبلوماسي أيضا ما صرّح به الدكتور الإبراهيمي قائلا: "كان هناك إخوان

---

(٧٢) الإبراهيمي، أحمد طالب، (تعقيب على محاضرة الحجيلان)، المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٧٣) المرجع نفسه، ص٢٦.

يعيشون في مصر، ويدافعون عن القضيّة في الأمم المتحدة، سُلّمت لهم - فعلا - بعض الجوازات السعودية لا يزالون يحتفظون بها إلى اليوم"(٧٤).

فما أروع هذه الحقائق في ميزان الأخوة والشّرف والشّجاعة، وما أنكرنا للجميل إن لم نشكر أصحابها، ونعرّف بما فعلوه للأجيال المتلاحقة.

تثبت الوثائق التاريخية الاتصال المستمرّ بين الدّولة السّعودية والزّعماء الجزائريين سواء كانوا سياسيين أم رجال الإصلاح بعد أن انصهر الجميع في بوتقة العمل الثوري، وتصوّر لنا مدى الانسيابية في طرح مطالب المساعدة التي يمكن أن تقدّمها المملكة للقضيّة الجزائريّة، وكانت المملكة تتعامل مع ممثّلي الثورة دون تحفّظ أو تحرّج؛ فلقد ذكر الملك فيصل للدكتور الإبراهيمي كيف كان والده الشّيخ الإبراهيمي(*) على اتصال بالملك سعود داعيا لدعم الثورة

---

(٧٤) المرجع نفسه، ص٥٨.

(*) الإبراهيمي (١٣٠٦ - ١٣٨٥هـ/ ١٨٨٩ - ١٩٦٥م)، محمد البشير بن عمر الإبراهيمي: رئيس جمعية العلماء المسلمين، وعضو المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ولد في قصر الطير، في قبيلة ريغة الشهيرة بـ "أولاد إبراهيم" بدائرة سطيف، هاجر إلى المدينة المنورة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)؛ فأتم دراسته العالية فيها. ثم انتقل إلى دمشق (١٣٣٥هـ١٩١٧/م)، وعمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية. وكان من بين الذين التفوا حول الأمير فيصل بن الحسين أثناء الثورة الكبرى سنة ١٩١٦م (١٣٣٤هـ). كما شارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢١م (١٣٣٩هـ). وفي السنة نفسها عاد إلى الجزائر. ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م (١٣٤٩هـ) كان من أبرز =

الجزائريّة، بعد أن كان على اتصال بالملك عبدالعزيز معرّفا بالجزائر وبالمغرب العربي(٧٥).

وفي ضوء هذا الكلام نفهم ما ورد في مطلع البرقية التي أرسلها الشيخ الإبراهيمي بتاريخ ١٩٥٥/١/٩م (١٣٧٤/٥/١٦هـ) إلى الملك سعود بن عبدالعزيز يذكر له فيها مدى معرفته بالحركة الإصلاحية الجزائرية وآثارها: "يا صاحب الجلالة، ما زلنا نعتقد أن جلالتكم أعلم الناس بالحركتين الإصلاحية والسلفية والثقافية العلميّة العربيّة الإسلاميّة بالجزائر، وأعلم الناس بآثارها الطيبة في الأمّة الجزائريّة، وأنّكم أكبر أنصارهما والمقدّرين لثمراتهما والعاملين على تغذيتهما والمرجوين لاحتضانهما"(٧٦). ثم يذكر بعد ذلك كيف برهن عمليا على هذه النصرة على نطاق عربي، حين أوصى مندوب جلالته بإثارة القضية الثقافية العربية الإسلامية بالجزائر، ثم بأمركم الكريم له بعرض

= مؤسسيها، وانتخب نائبا للرئيس عبدالحميد بن باديس. وفي مطلع الحرب العالمية الثانية سنة (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م) نفاه الفرنسيون إلى (آفلو) في جنوب الجزائر، ومات ابن باديس في السنة نفسها، فانتخب لرئاسة جمعية العلماء خلفا له وهو في منفاه. وقد أنشأ عددا من المدارس العربية [الحرة]، كما تولى مسؤولية جريدة "البصائر" الذائعة الصيت في المغرب والمشرق. وعند اندلاع الثورة الجزائرية انتدبته القيادة الثورية للقيام بمهمات لدى الدول العربية والإسلامية، فقام بها أحسن قيام. وإثر استقلال الجزائر عاد إلى بلاده؛ وأقام بالعاصمة مريضا، إلى أن توفي. [ترك آثارا طبع بعضها أشهرها: آثاره التي جمعها ابنه، ولم تُطبع أخرى]. نويهض، المرجع السابق، ص١٣، ١٤.

(٧٥) المرجع نفسه، ص٣٦.

(٧٦) الإبراهيمي، محمد البشير، في قلب المعركة، ط١، دار الأمة، الجزائر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٥٠.

قضيّة الجزائر السياسيّة على مجلس الجامعة أيضا؛ ليقرر عرضها على جمعية الأمم المتحدة باسم حكومة جلالتكم"[٧٧].

وفعلا قد أثار مندوب المملكة القضية الجزائرية بواشنطن بالقوّة والجرأة التي تليق بمستوى المملكة وملكها، ومواقفها في القضايا المصيرية للأمّة، يقول له: "تتبّعنا هذه الأطوار باهتمام مصحوب بالاغتباط والسرور، والدعاء لجلالتكم إلى أن قرأنا أن سفيركم بواشنطن تكلّم باسم جلالتكم في قضايا الجزائر الدينيّة والثقافيّة والسياسيّة، كلاما رسميا قويّا واضحا جريئا، عليه نور إيمانكم وعزيمتكم، وعليه سيماء انتصاركم للإسلام والعروبة"[٧٨].

ثم يستأذنه في أن يكلّف جلالته رجلين عالمين بجزئيات القضيّة الجزائريّة وتفاصيلها، فيتكلّمان باسم جلالته مؤازرين سفير المملكة بواشنطن في متابعة قضايا الجزائر والدّفاع عنها: "نحن على يقين أنّكم ما بدأتم إلاّ لتتمّوا، فاسمحوا لنا - يا صاحب الجلالة - أن نلفت نظر جلالتكم إلى أنّ من بين رجالات العرب رجلين متخصصين في الإلمام التّام بشؤون الجزائر من جميع نواحيها مع الإخلاص والغيرة والجراءة، ومع الصدق في خدمة جلالتكم، وهما الأستاذ أحمد بك الشقيري، والأستاذ عبدالرحمن عزام باشا، فإذا وافق نظركم السّامي على أن تكلفوهما أو أحدهما بالاستعداد من الآن لمتابعة قضايا الجزائر والدفاع عنها

(٧٧) المرجع نفسه، ص٥٠

(٧٨) المرجع نفسه، ص٥٠.

باسم جلالتكم كعون وتعزيز لسفارتكم بواشنطن، إن رأيتم هذا ووافقتم عليه كنتم قد وضعتم القضية في يد محام بارع عالم بأدلّتها وبراهينها، محيط بجزئياتها وكليّاتها. ولكم النظر العالي في تفاصيل الموضوع وكيفياته"(٧٩).

ويختم الشيخ الإبراهيمي برقيته بقوله: "ونحن - على كلّ حال - نشكر جلالتكم باسم الأمة الجزائرية السّلفيّة المجاهدة، ونهنئها بما هيّأ الله لها من اهتمام جلالتكم بها وبقضاياها، ونعدّ هذا الاهتمام مفتاح سعادتها وخيرها، وآية عناية الله بها، وأُولى الخطوات لتحريرها. أيّدكم الله بنصره وتولاّكم برعايته، ونصر بكم الحق، كما نصر بكم التوحيد، وجعلنا من جنوده في الحق"(٨٠).

فالملاحظ في هذه البرقية التّنسيق الجيّد التّام بين الملك سعود ورجال القضية الجزائرية لفائدتها، فالقضية قضيتهما معا، يحملان همومها وشجونها، ويطرقان بها المحافل العربية والدولية؛ ليُسمعا صوتها في العالمين.

الحقيقة أن ما تضمّنته مذكّرات بعض الساسة الجزائريين فيه بعض التفاصيل الضافية عن احتضان المملكة للقضيّة الجزائريّة، ومدّها بالمال، وبفتح اكتتابات لثورتها بمبادرة من الملك سعود - رحمه الله - وغيرها من وجوه الدعم(*) تستحقّ أن تُفرد ببحث مستقل.

---

(٧٩) المرجع نفسه، ص٥١ .

(٨٠) المرجع نفسه، ص٥١.

(*) انظر: المدني، أحمد توفيق، حياة كفاح، (د. ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ٣١٠، ٣١١، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٥٦٧.

ولكن قبل الانتهاء من هذا المطلب لابدّ من الكشف عن جانب آخر من جوانب تواصل الملك سعود مع رجال الإصلاح في الجزائر، والإيواء العلمي لبعض طلاب العلم في تلك المرحلة.

٢ - احتفاء المملكة برجال الإصلاح وطلاب العلم الجزائريين:

لقد دأبت قيادة المملكة العربية السعودية على سياسة وضع أسسها العملية الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وهي تقريب رجال العلم والإصلاح في العالم الإسلامي منهم، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم في شتّى المشاريع العلميّة، فضلا عن تيسير تحرّكاتهم لخدمة قضايا شعوبهم بتوفير الوسائل، وفي هذا يروي الأستاذ محمد منصور الغسيري في رحلته المذكورة آنفًا كيف كانت الحكومة السعودية تضع تحت تصرف الشيخ الإبراهيمي سيارة أثناء وجوده بالمملكة، يقول: "وركبنا السيّارة الأمريكية الفاخرة، وكانت متاعنا طبعا، إذ إنّ الحكومة السعودية ألفت دائما وفي أيّ أرض أن تجعل تحت تصرف الأستاذ الرئيس [الشيخ الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين] مدى وجوده في تلك الأرض سيارة من سياراتها؛ لتعينه على أداء مهمته كسفير للجزائر الإسلامية التي حرمت أوقافها وميزانية تعليم الإسلام ولغة الإسلام لأبناء المسلمين فوق ثراها... وكأنّ حكومة جلالة الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - إنما أرادت بصنيعها ذلك أن تُسلّي ممثلي الجزائر الدينيين في الخارج وحراسه الكادحين الأمناء في الداخل"[٨١] لا يمكن الخروج

---

(٨١) الغسيري، محمد المنصوري، "عدت من الشرق"، البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٢٥٨، ١٣٧٣/٦/٨هـ - ١٩٥٤/٢/١٢م، ص ٦.

بهذا الصنّيع عن وجوه العون والمساعدة التي تقدّمها المملكة العربية السعودية للقضية الجزائرية ثقافيا وعلميا ودينيا وسياسيا.

ولقد كان الملك سعود - رحمه الله - حريصا على التعرّف على زعماء حركة الإصلاح الجزائريين، وموسم الحج من أهمّ المناسبات لذلك؛ فلقد كتب الأستاذ بشير كاشة(*) أحد رجال الجمعية وكتاب صحافتها حول زيارة فضيلة الشيخ الشهيد العربي التبسي(**) نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للبلاد المقدسة، فقال من بين ما قال: "وقبل يوم

(*) كاشة، بشير، (١٣٤٥هـ -.../ ١٩٢٦م -....)، ولد بإحدى قرى الأوراس (باتنة). حفظ القرآن ومبادئ العربية وعلوم الشريعة، بمدارس جمعية العلماء، وخاصة على يدي أستاذه محمد العيد آل الخليفة. كما التحق بالزيتونة، ودرس ببغداد ثم السعودية [بعثات طلاب الجمعية إلى البلاد العربية]. وتولى بعد الاستقلال التدريس، واشتغل بوزارة الشؤون الدينية، كما كان عضوا بمجلس اللغة العربية. من آثاره: قضايا وأفكار - الوفاء للأخيار.

optic. cit, p. 239.

(**) التبسي، (١٣١٢ - ١٣٧٦هـ/ ١٨٩٥ - ١٩٥٧م) العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي، أبو القاسم: أحد رجال الفكر الإصلاحي، ومن أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين. ولد في بلدة (أسطح) قرب تبسة. وتعلم بزاوية نفطة وجامع الزيتونة بتونس ثم بالأزهر. وعاد سنة ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ)؛ فاشتغل بالتعليم العربي الإسلامي في تبسة وغيرها، وشارك في الحركة الإصلاحية بقلمه. وفي سنة ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ) اختير كاتبا عاما لجمعية العلماء، ثم نائبا لرئيسها الشيخ الإبراهيمي سنة ١٩٤٠م (١٣٥٩هـ). ولما رحل الإبراهيمي إلى المشرق عام ١٩٥٦م (١٣٧٥هـ)، تحمل مسؤولية رئاسة الجمعية وإدارة شؤونها في غيابه. سجن مرات عدة لمواقفه الوطنية. وفي ١٩٥٧/٤/١٧م (١٣٧٦/٩/١٨هـ) خطفه الفرنسيون واغتالوه. نويهض، المرجع السابق، ص٦١.

التروية من أيام الحج استدعاه جلالة الملك المعظّم سعود للتعرّف على فضيلته، ونزل من مكة المكرّمة إلى جدّة؛ فاستقبله الملك المعظّم في قصره العامر بجدّة حيث يستقبل وفود الحجيج في موسم كل حج بكل حفاوة"(٨٢).

وإلى جانب هذا كان الملك سعود - كما سبق القول - يُتيح الفرص لإسهام العلماء في المشروعات العلمية الكبيرة التي أنجزها، فلقد نشرت جريدة البصائر الخبر الآتي: "برغبة من جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز غادر حضرة الرئيس الجليل الشيخ البشير الإبراهيمي القاهرة قاصدا الرياض، عاصمة البلاد العربية السعودية، حيث حلّ ضيفا مبجّلا على عاهل العروبة العظيم. وهذه الزيارة وثيقة الصلة بمشروع الكليّة الإسلاميّة الجامعة التي يريد جلالة الملك سعود أن يحقّقها قريبا جدا، وستدرّس بها سائر العلوم والفنون التي تدرّسها الجامعات الكبرى في العالم، إنما تكون الدراسة فيها متّسمة بالطّابع الدّيني الإسلاميّ، وضمن الإطار العربي الكريم، وسيكون لأشبال القطر الجزائري حظّ في هذه الجامعة إلى جانب أبناء العروبة الذين يؤمّونها من كلّ قطر"(٨٣)، مما يلحظ في هذا الخبر دقّة المتابعة لفحوى الإنجاز العلمي، والوجهة التربويّة العلميّة التي سيتّخذها.

---

(٨٢) كاشة، بشير، "فضيلة الشيخ العربي التبسي في البلاد المقدسة"، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٢٨٥، ١٣٧٤/١/٢٠هـ - ١٩٥٤/٩/١٧م، ص٧.

(٨٣) جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٣٥٣، ١٣٧٥/٦/٢٨هـ - ١٩٥٦/٢/١٠م، ص٦.

فضلا عن الإشادة بفضيلة الاقتبال العلميّ بمؤسّسات المملكة الفتيّة للطلاّب العرب والمسلمين بمؤسساتها العلمية، والاغتباط بحظّ أبناء الجزائر المستعمرة فيها.

والحقّ أنّ هذا القبول العلميّ ليس بالجديد؛ فالشّيخ الإبراهيمي في محاضرة ألقاها بالقاهرة حول موضوع (مشكلة العروبة في الجزائر) بتاريخ ١٩٥٥/٦/٥م (١٣٧٤/١٠/١٥هـ) عرض فيها توجيه الطلاّب الجزائريين للتّعلم ببعض البلاد العربية كمصر وسوريا والعراق، فأعلن قائلا: "قرّرت الحكومة السعوديّة من يناير الماضي قبول خمسة طلاّب في المعهد العلمي بالرياض على نية الزيادة في العام الدراسي الآتي"(٨٤).

وعن الأحوال المالية لهؤلاء الطلبة أشاد بالتّوسعة التي كانوا ينعمون بها في السعودية، فقال: "أما أحوال هذه البعثات في كفاية المخصّصات الحكوميّة وعدم كفايتها، فبعثة الرياض موسّع عليها إلى ما فوق الكفاية، وتليها بعثة الكويت في التّوسعة، وتليها بعثة العراق، أما بعثة مصر وبعثة سوريا فأنا منها في عذاب أليم لعدم كفاية المخصّصات الرسمية"(٨٥). ولم يكن ذلك - بالطبع - تقصيرا من الحكومتين المصرية السورية بل كلّ كان ينفق بحسب سعته المالية.

(٨٤) الإبراهيمي، محمد البشير، في قلب المعركة، المرجع السابق، ص١١٥.

(٨٥) المرجع نفسه، ص ١١٦.

نموذج عن صدى مواقف المملكة من قضية فلسطين في تراث كتابات الجزائريين

هذا المحور من البحث ليس تأريخا لمواقف المملكة العربية السعودية من القضية الأمّ للعرب والمسلمين قضية فلسطين، إنّما هو رصد لمواقف المملكة من قضية فلسطين في بعض كتابات الجزائريين بالصحف الإصلاحية الجزائرية، بما يمكن عدّه سندا تاريخيا يؤكّد المواقف التاريخية المشرقة للمملكة تجاه هذه القضية.

١ - وثيقة تاريخية:

وسأقوم في هذا المقام بعرض وثيقة تاريخية مهمة وتحليلها، تضمّنت وجهة نظر جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز إلى صراعنا مع الصهيونية العالمية بدءا من قضية فلسطين، ثم أحلام التوسّع الصّهيوني في البلاد العربية؛ لإقامة دولتهم المزعومة من النيل إلى الفرات بل إلى المدينة المنورة.

فالوثيقة نشرت بعنوان "جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز يتحدّث عن المشكل الصهيوني"، أمّا عن مصدرها فكتبت صحيفة البصائر تقول: "جاءتنا هذه الرسالة من السّفارة العربيّة السعودية بباريس، فبادرنا بنشرها لأهميّة موضوعها، وتعلّقه بالحالة الحاضرة في بلاد فلسطين المعذّبة"(٨٦).

(٨٦) جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٢٨٩، ١٨/٢/١٣٧٤هـ - ١٥/١٠/١٩٥٤م، ص ٤.

وهي عبارة عن حديث صحفي أجراه كاتب أمريكي مع جلالة الملك سعود "ففي السّاعة الرّابعة والنّصف من ضحى يوم الخميس ١١/١/١٣٧٤هـ الموافق ٩/٩/١٩٥٤م تشرّف بالسّلام على حضرة صاحب الجلالة الملك المعظّم - أيّده الله - في القصر الملكي العامر بجدة (المستر ليلنتال) الكاتب الأمريكي اليهودي المشهور بمؤلفه (ثمن إسرائيل)، والذي زار مؤخّرا جميع البلدان العربيّة"(٨٧)، وقد تمحور الحديث حول عناصر ثلاثة في القضية هي: حق العرب الشرعي في فلسطين - الحلّ الطبيعي، هو استرداد فلسطين - التعايش السلمي في ظل الإسلام.

أ - فلسطين عربية:

ذكر جلالته للكاتب بدء المملكة في وضع برامج التنمية والتعمير، فقال: "بدأنا الآن فقط في وضع برامج عدة تتناول نواحي مختلفة من الإصلاح والتعمير والتقدم بحياتنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية.

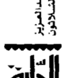
عازمون على القيام بهذه الأعباء؛ لنتيح لشعبنا ولأمّتنا الحياة التقدمية

وقد توالت على هذه البلاد عهود مختلفة لم تُتح لها فيها أسباب النّهضة والتّقدّم والعمران. وطريقنا في سبيل برامج إصلاحنا طويلة وشاقّة، ولكنّنا عازمون - بحول الله - على القيام بهذه الأعباء الواجبة؛ لنتيح لشعبنا ولأمّتنا الحياة التقدمية التي نرجوها، ونتمنّاها لها، ونسعى إليها"(٨٨).

---

(٨٧) المصدر نفسه، ص٤.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٤.



وردًا عن سؤاله حول بداية تفهّم الرّأي العامّ الأمريكي لعدالة القضية العربية في الصّراع مع الصهيونية، أجاب الملك سعود بوضوح رابطا هذه المسألة بالسّلم والأمن، محمّلا كلّ طرف مسؤوليته فقال: "أحبّ أن أصارحك بأنّ هذه القضيّة يتوقّف عليها السّلم والأمن في هذه الرقعة من العالم إلى حدّ كبير، ونكبة فلسطين خلقتها الصهيونيّة العالميّة بعون ونفوذ ومساعدة السياسة البريطانيّة والأمريكيّة، ثمّ بالمواقف السلبية التي وقفها بعض رجالات العرب أنفسهم، ولولا هذا لما أصبحنا فيما نحن فيه"(٨٩).

إن هذا الوضع الجديد يريد أن يوجد فلسطينا أخرى غير فلسطين العربية، قالبا الموازين، فبعد أن كان اليهود رعيّة عربيّة في فلسطين أرادت لهم الصهيونيّة العالميّة ومن وراءها أن يصبحوا حاكمين، لهم دولة وكيان دولي في هذه الأرض، بسبب هذا وجب أن يعلم الجميع "أن قضيّة العرب في حقوقهم الشرعيّة عادلة، وهي بلادهم ووطنهم، توارثها الأحفاد عن الأجداد"(٩٠).

وعن تذرّع الصهيونيّة بأحقيّة اليهود بفلسطين بمزاعم تاريخيّة قديمة، يستطرد الملك سعود مخاطبا الكاتب الأمريكي، مقارنا هذا الوضع بوضع الذين يحكمون أمريكا اليوم من غير مواطنيها الأصليين من الهنود الحمر، فيقول: "وإذا كان اليهود قد وُجدوا فيها، وكانوا أهلها في حقب من

---

(٨٩) المصدر نفسه، ص٤.

(٩٠) المصدر نفسه، ص٤.

التاريخ البعيدة، فقد كان في بلادك أمريكا غير من يسيطرون اليوم عليها، ولن يمرّ اليوم بخاطر أيّ إنسان أنّهم سيطالبون في يوم من الأيام بجلاء مواطنيك عنها لا لسبب إلا أنّهم كانوا فيما مضى وحيدين في العيش بها، وهم الهنود الحمر والبريطانيون"(٩١).

بالطبع فالمقارنة هنا ليست سليمة تماما بين الحالتين، سواء من منظور الحقيقة التاريخية الكاملة للوجود العربي بفلسطين، أم من منظور الشّرع الإسلاميّ في فقه الأراضي المفتوحة. ولكن جلالة الملك أحبّ أن يخاطب الرأي العام الغربي بمنطقهم الذي من خلاله يمكنهم استيعاب القضية، وبيان وجه الحقّ فيها.

ب - استرجاع فلسطين الطّريق إلى السّلم:

طرح الكاتب الأمريكي على الملك سعود السؤال الآتي: "وما الذي يراه جلالتكم لإحلال السّلام والتّفاهم بين الطرفين المتنازعين؟"(٩٢). كأنّما أراد الكاتب من سؤاله أن يُفهم الملك بأنّ الصّراع بين طرفين متنازعين حول مسألة أحقية كلّ منهما في امتلاك شرعية حكم فلسطين، لكن إجابة الملك سعود كانت من الوضوح والصراحة بما ينفي كلّ محاولة لطرح الصراع من هذه الزاوية؛ أولا: ذكّره بوضع اليهود بفلسطين قبل الانتداب البريطاني وفي بدايته، فقال: "أحبّ أن أذكّرك بما كان عليه العرب واليهود معا في أوائل

(٩١) المصدر نفسه، ص٤.

(٩٢) المصدر نفسه، ص٥.



الانتداب البريطاني في فلسطين وقبله، فقد كانوا مسالمين، كان العرب يحفظون لليهود الموجودين بينهم جميع حقوقهم، ويحترمون مقدساتهم، ويعيشون معهم كمواطنين لهم"[٩٣]، هذا الوضع المتّسم بالسّلام الذي طرح بشأنه الكاتب السّؤال على الملك، ومن الطبيعي - إذن - أن يكون هو الوضع الذي ينبغي أن تستهدفه كلّ الجهود، فاسترجاع العرب لفلسطين هو الطريق إلى السّلام.

٢ - الملك سعود ينفذ مشاريع حربية بالمملكة:

من المؤكد أنّ إنفاذ هذه المشاريع كان من باب الإعداد للقوّة التي تحدّث عنها جلالته، وكانت مبعث ابتهاج ومحلّ تنويه عظيم من طرف صحافة الحركة الإصلاحية في الجزائر، التي كانت تتابع تلك المنجزات؛ فقد نشرت جريدة البصائر ما عدته أعظم عمل باشره السعوديون: "وضع خلال الأسبوع الماضي أعظم عمل باشره السعوديون؛ ممّا يبشّر بمستقبل عظيم لهذه الدّولة التي أخذت تخرج لعالم الوجود بفضل جهاد عاهلها العظيم، وأفكاره الجريئة، ألا وهو تدشين معمل عظيم لصنع الذّخيرة الحربيّة في بلاد العرب، بحيث لا يُستورد شيء منها من الخارج، أُسوة بما كان وقع في مصر. وإنّنا لنرجو أن يقع إنجاز العمل بتكوين معامل صنع نفس السلاح، حتى لا تبقى بلاد العرب عالة على الأجانب في ذلك، والعرب يعرفون ماذا كلّفهم من ثمن رهيب"[٩٤].

---

(٩٣) المصدر نفسه، ص٥.

(٩٤) جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٢٧٧، ١٣٧٣/١١/١هـ - ١٩٥٤/٧/٢م، ص٤.

يلاحظ دليل هذا التّفاعل الكبير مع هذا الإنجاز والافتخار به من خلال الأوصاف التي وصف بها الإنجاز (أعظم عمل - معمل عظيم)، والمنجز الملك سعود (العاهل العظيم - أفكاره الجريئة).

وتعود الجريدة نفسها بعد عددين تاليين للعدد السابق، لتبشّر الجزائريين والعرب عموما بما شرع فيه جلالة الملك سعود من "تنفيذ عدّة مشاريع عمرانية وحربية في الجزيرة العربية. وقد أصبح في حكم المقرّر أن تُعبّد طرق عديدة للمواصلات، وأن تنشأ عدة مصانع حربية، بما في ذلك مصانع الأسلحة الثقيلة في أنحاء مختلفة من الجزيرة خلال السنة المقبلة"(٩٥).

وهكذا تأتي متابعة الأحداث والإنجازات بالمملكة العربية السعودية بشعور المصير المشترك، والأمة الواحدة، والمستقبل الواحد.

نخلص في الختام إلى جملة من النتائج:

- تمثل شخصيّة الملك عبدالعزيز واحدة من أهمّ الشخصيات التي عرفها العصر الحديث - مثّلت شخصيّة الملك المؤسس، والدّولة الفتيّة دور الملهم للحركة الإصلاحية الجزائرية - لا يليق أبدا أن تبقى معرفة شخصية وجلائل أعمال الملك عبدالعزيز وقفا - خاصة بالنسبة للأجيال الجديدة - عند حدود بلده، وإنّما الواجب تشجيع الجهود

---

(٩٥) جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد ٢٧٩، ١٣٧٣/١١/١٦هـ - ١٩٥٤/٧/١٦م، ص٤.

التي يسعى أصحابها للتعريف بالملك، وتاريخه ومنجزاته، خارج المملكة في العالمين العربي والإسلامي أولا، ثمّ في العالم أجمع بعدئذ.

- مما يُستفاد من البحث، ذاك الاستعداد الهائل الذي كان لدى القادة الروحيين (المصلحين) الجزائريين، لإنجاز مشروع الأمة في حلمها الكبير (الوحدة)، التكامل على أهم الأصعدة، وأقدر أن إعادة قراءة ذاك بتأنٍّ وروح متفائلة، قد يحيي الأمل مجدّدا في النفوس.
- أثبتت المملكة - عمليا - إيمانها بمبدأ نصرة المسلم لأخيه المسلم المظلوم، من خلال وجوه الدعم المادي والأدبي للقضية الجزائرية، واحتضان طلبة العلم في معاهدها العلمية.
- اتّسم الطّرح السياسي السعودي حول قضية فلسطين بوضوح ودقة ما ينبغي أن يأتي عليه الحل، فالتقى مع خط الحركة الإصلاحية الجزائرية المتمثل في ضرورة مقاومة كل استعمار.
- أحب أن أؤكد في ختام هذا البحث ضرورة توسّعه ليشمل - بالعرض والتحليل - نصوصا، ووثائق أخرى نستوفي بها الصورة الكاملة لشخصية الملك عبدالعزيز، والمملكة في الصحافة والمؤلفات الجزائرية حتى استقلال الجزائر سنة ١٩٦٢م (١٣٨٢هـ)، نسأل المولى تعالى التوفيق والسداد.

اتفاقية البريمي
بين الدولة السعودية الثانية وسلطنة مسقط وعمان
(١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م)(*)

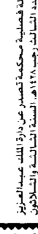
حمد بن عبدالله العنقري

دارة الملك عبدالعزيز

تناقش هذه الدراسة العلاقات السعودية العمانية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وذلك من خلال اتفاقية البريمي المبرمة بينهما. وتسعى هذه الدراسة إلى نشر نص الاتفاقية عن أصلها العربي، لا سيما أن هذا الأصل لم يسبق أن نشر من قبل.

وتكمن أهمية هذه الاتفاقية من أنها اتفاقية سياسية تعود لعهد الدولة السعودية الثانية، التي يندر أن يجد الباحث

(*) يعبر الباحث عن شكره وتقديره لأساتذته الأفاضل الذين تكرموا بقراءة مسودة البحث وأبدوا ملاحظات وتوجيهات سديدة عليه، وهم: د. عبدالرحمن الشملان، د. عبداللطيف الحميدان، د. عبدالله المطوع، د. عويضة الجهني، د. محمد الفريح، كما يشكر الباحث الدكتورة دلال السعيد على تكرمها بتقديم نسخة من سجلات بومباي والتي أسهمت في إثراء هذه الدراسة، والأخ الزميل د. عبدالله المنيف على مساعدته في وصف الوثيقة، وأخيرًا جزيل الشكر والتقدير لمعالي الدكتور فهد السماري على دعمه وملاحظاته.





وثائق سياسية أو دبلوماسية لها، ناهيك عن الدولة السعودية الأولى؛ نظرًا للأحداث التي حصلت في نهاية كل فترة منهما؛ إضافة إلى قلة الوثائق العامة العائدة إلى تلك الفترة، ولعل من أسباب قلة الوثائق المحلية اندثار الكثير منها بسبب تعاقب الزمن، وتعرض بعضها للحرق والتلف، ورداءة الحبر والورق المستخدم، ولهذا تبرز أهمية ما يتوافر لدى الأراشيف العالمية من وثائق محلية.

ومع ما سبق ذكره من قلة الوثائق المحلية العائدة لتلك الفترة؛ فإن وجود مثل هذه الاتفاقيات والوثائق يساعد الدارس على معرفة كيفية قيام الدولة السعودية الثانية بعقد اتفاقياتها السياسية، والإجراءات البروتوكولية المتخذة فيها، وطريقة تحريرها، وأسماء ممثلي الدولة عند عقد تلك الاتفاقيات، والأختام الموضوعة عليها، وغير ذلك مما يفيد في الدراسات الدبلوماتية للوثائق، كما يمكن من خلال هذه الاتفاقيات التعرف على طبيعة تكوين سجلات الدولة السعودية الثانية.

ولهذا فإن هذه الدراسة ستستعرض الأحداث التاريخية للعلاقات بين الدولة السعودية الثانية وسلطنة مسقط وعمان، مع إيجاز عن هذه العلاقات في عهد الدولة السعودية الأولى، وتتناول فيها مدى اتساع النفوذ السعودي نتيجة استقرار الأوضاع العامة للدولة، والأثر العكسي لعدم الاستقرار على تقلص ذلك النفوذ، وستركز بشكل كبير على عهد الإمام فيصل بن تركي خلال فترة حكمه الثانية (١٢٥٩-١٢٨٢هـ/

١٨٤٣-١٨٦٥م)، والنفوذ السعودي في منطقة البريمي[١]، والذي ظهر جليًا من خلال حملة الأمير عبدالله بن فيصل على البريمي، وما صاحبها من أحداث نتج عنها عقد هذه الاتفاقية محل الدراسة، وأهمية ذلك لمعرفة الخلفيات السياسية والتاريخية للنفوذ السعودي. وبناءً على ذلك رئي ضرورة التعريف بهذه الاتفاقية ومصدرها، وكيفية وصولها إلى إسطنبول، وأهميتها، ووصفها، ثم نصوص الاتفاقية وملاحقها.

العلاقات السعودية العمانية:

أ - الدولة السعودية الأولى:

تعود العلاقة السعودية العمانية الحديثة إلى عهد الدولة السعودية الأولى، التي حرصت على مد سلطتها إلى جنوب شرق الجزيرة العربية وساحل عمان، وقد بدأ التوسع السعودي هناك بإرسال الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود

(١) تحتل واحة البريمي دائرة تشمل حوالي ٢٠٠٠كم٢، ويقع مركزها في قرية البريمي على خط العرض ١٤ درجة ٢٤ دقيقة، وخط الطول الشرقي ٤٦ درجة ٥٣ دقيقة، ويبلغ نصف قطر هذه الدائرة ٢٥كم، في هذه الدائرة تلتقي أطراف الطمي المتناثرة والمكونة على شكل مراوح بفعل عدة أودية متجهة غرباً من سلسلة جبال حجر وتلتقي بالرمال شمالاً على شكل لسان من أطراف الربع الخالي إلى رأس الخيمة على الخليج العربي، وهي تبعد عن أبو ظبي بحوالي ١٦٠كم، وترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٠٠م، وإلى الجنوب منها يقع جبل حفيت الذي يبلغ ارتفاعه ١١٦٠م. وتضم الواحة تسع قرى هي: البريمي، حماسة، صعرا، الجاهلي، العين، الهيلي، القطارة، القيمي، المعترض، وتتبع القرى الثلاث الأولى سلطنة مسقط بينما تتبع الست الأخرى أبو ظبي. وزارة الخارجية السعودية: التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية؛ عرض حكومة المملكة العربية السعودية، وزارة الخارجية السعودية، جدة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ١/ ٣٠-٤٥.

(١١٧٩-١٢١٨هـ/ ١٧٦٥-١٨٠٣م) قائده مطلق المطيري[٢] إليها في عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م، ورغم انتصاره على قبائل الساحل، لكنه لم يستطع أن يخضع كل المنطقة للسعوديين، لذلك أوكل الإمام عبدالعزيز في عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م أمرها إلى إبراهيم بن عفيصان[٣] الذي استطاع السيطرة

---

(٢) مطلق بن محمد المطيري، قائد عسكري من أبرز قادة الدولة السعودية الأولى، أرسله الإمام عبدالعزيز بن محمد إلى عمان، ثم أرسله مرة أخرى الإمام سعود بن عبدالعزيز في عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م إلى هناك، قتل في عام ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م في معارك مع الحجريين في عمان. ابن بشر، عثمان بن عبدالله: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١/ ٣٠٦، ٣١٧-٣١٩، ٣٣٧، ٣٦٢. المطوع، عبدالله بن صالح: عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان، تحقيق فاضل زكي حنظل، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٩٦-١٠٩، ١٩٩- ٢٠١. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٢٧-١٣٢.

(٣) إبراهيم بن سليمان بن إبراهيم بن عفيصان، أمير وقائد في الدولة السعودية الأولى، تولى قيادة حملات عدة على الأحساء وقطر والكويت وشمال عمان، وتولى إمارة مدن عدة منها الخرج والأحساء وعنيزة والبريمي، وتوفي عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م في عنيزة. ابن بشر، المصدر السابق، ١/ ١٢٨، ١٣٠، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٥، ٢٥٤، ٢٧٨، ٢٨١، ٣٢٠، ٣٦٢، ٣٦٥. الريكي، حسن بن جمال بن أحمد: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٣٢- ١٤٢. المطوع، المصدر السابق، ص ٧١-٧٢، ١٩٨. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١١١. عبدالله، محمد مرسي: إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣-١٨١٨م، المكتب المصري الحديث، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٤٤. الحصين، عبدالرحمن بن عبدالعزيز: إبراهيم بن عفيصان القائد والأمير والداعية في الدولة السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

على المنطقة، وجعل من واحة البريمي قاعدة للقوات السعودية[٤]. وبعد ذلك توالى إرسال القوات السعودية بقيادة سالم بن بلال الحرق[٥] في عام ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م[٦]، ثم أرسله الأمير سعود بن عبدالعزيز في حملة أخرى في ربيع الثاني عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م وأرسل معه أهالي الأحساء، وانضمت إليه قبائل بني ياس والنعيم وبني قتب والقواسم[٧]، ثم أرسل مطلق المطيري في عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، واستمر الحكم السعودي حتى سقوط الدولة السعودية الأولى[٨].

---

(٤) وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١١١، عبدالله، إمارات الساحل وعمان، ص ١٤٣- ١٤٤.

(٥) سالم بن بلال الحرق، مملوك من مماليك الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، أرسله في حملة إلى عمان في عام ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م، وبعد أن أخضع أجزاء منها عاد إلى الدرعية. ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط ٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٣٨٠-٣٨١. المطوع، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥، ٤٧-٤٩، ١٩٨. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١١٤.

(٦) ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٣٨٠-٣٨١. المطوع، المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١١٧-١١٨.

(٧) الأرشيف العثماني تصنيف HAT 3777-D، يتضمن رسالة من أحمد بن محمد بن رزق إلى علي باشا والي بغداد في ٦ جمادى الأولى ١٢١٨هـ. المطوع، المصدر السابق، ص ٤٧-٤٩.

(٨) للاستزادة حول النفوذ السعودي في عمان وساحل عمان في عهد الدولة السعودية الأولى انظر: الحازمي، علي بن دخيل: الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج وجنوبه، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. الجهني، عويضة بن متيريك: "التنافس السعودي البوسعيدي في =

ب - الدولة السعودية الثانية:

تركت السلطة السعودية وتجربتها أثرًا في سكان تلك المنطقة استمر حتى بعد سقوط الدولة السعودية الأولى، ومما يؤكد ذلك أنه بعد نجاح الإمام تركي بن عبدالله (١٢٤٠-١٢٤٩هـ/ ١٨٢٤-١٨٣٤م) في تأسيس الدولة السعودية الثانية طلب وفد من تلك القبائل من الإمام تركي أن يرسل لهم معلما وسرية تقاتل معهم، فاستجاب الإمام لطلبهم، وأرسل إليهم عمر بن عفيصان(٩) أميرًا،

= جنوب غرب الخليج العربي ١٢١١-١٢٢٠هـ/ ١٧٩٧-١٨٠٥م"، مجلة الدارة، س ٢٣، ع ٢، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٢٥-٧٩. الجهني، عويضة بن متيريك: "نفوذ الإمام سعود بن عبد العزيز في عمان وموقف حكومة الهند البريطانية منه ١٢١٨-١٢٢٦هـ/ ١٨٠٣-١٨١١م"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س ٢٣، ع ٩٠، (ربيع الأول ١٤١٩هـ/ يوليو ١٩٩٨م)، ص ١٨١-٢٤٠. الجهني، عويضة بن متيريك: "أثر الحملات العثمانية المصرية على نفوذ الدولة السعودية الأولى في عمان ١٢٢٦-١٢٣٣هـ/ ١٨١١-١٨١٨م"، مجلة الدارة، س ٣٠، ع ٤، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٩-٥٦.

(٩) عمر بن محمد بن سليمان بن إبراهيم بن عفيصان، قائد وأمير في الدولة السعودية الثانية، قاد حملات عدة في شرق الجزيرة العربية، وتولى إمارة عرقة والخرج والبريمي والأحساء، كما كان من أعيان نجد الذين بايعوا الأمير خالد بن سعود ثم الأمير عبدالله بن ثنيان. الأرشيف العثماني تصنيف I.MES.MUH 2431، يتضمن مبايعة أهالي نجد للأمير خالد بن سعود في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٥٧هـ. وتصنيف I.MES.MUH 1798، يتضمن مبايعة أهالي نجد للأمير عبدالله بن ثنيان في غرة جمادى الأولى ١٢٥٨هـ. ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٨، ٤١، ٦٥، ٦٩-٧٠، ٧٥، ٨٦، ١٠١، ١٢٢، ١٤٥، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠-١٧٦، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٠-٢٠٢. المطوع، المصدر السابق، ص ٢٠٢. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٥٤-١٥٥، ١٥٧-١٥٨.

والشيخ محمد بن عبدالعزيز العوسجي[١٠] قاضيًا في عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م[١١].

وحينما تولى الإمام فيصل بن تركي الحكم للمرة الأولى (١٢٥٠-١٢٥٤هـ/ ١٨٣٤-١٨٣٨م) شغل بتأمين الدولة ضد حملات محمد علي باشا، ومع ذلك لم يغفل في أواخر حكمه الأول عن توجيه اهتماماته وتقصي أحوال الأهالي والسكان في عمان، فبعث حمد بن غيهب أميرا على البريمي[١٢]،

(١٠) الشيخ محمد بن عبدالعزيز العوسجي البدراني الدوسري، ولد في ثادق وبها تعلم، ثم انتقل للدرعية ودرس على علمائها، عينه الإمام سعود بن عبدالعزيز قاضيًا على بلدان المحمل، ثم عينه الإمام تركي بن عبدالله قاضيًا في البريمي. البسام، عبدالله بن عبدالرحمن: علماء نجد خلال ثمانية قرون، دار العاصمة، الرياض، ط.٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٦/٦٦-٦٧. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٥٤.

(١١) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٦٥. المطوع، المصدر السابق، ص ١٢٢. وحول التوسع السعودي في فترة الإمام تركي انظر شكوى السيد سعيد بن سلطان لمحمد علي باشا في: "والي جدة والمورة"، مجلة المقتطف، مج ٥١، (ديسمبر ١٩١٧م)، ص ٦٠٧-٦٠٨.

(١٢) حمد بن حمد بن يحيى بن غيهب، أمير من أمراء الدولة السعودية الأولى والثانية، كان أميرًا لتربة، ثم عينه الإمام سعود بن عبدالعزيز على مالية المدينة المنورة، ثم عينه الإمام عبدالله بن سعود أميرًا على الوشم، وشارك في صد إبراهيم باشا في حصار شقراء حيث كان أميرًا عليها، وقد استمر أميرًا على شقراء إلى وقت الإمام تركي بن عبدالله الذي عينه أميرًا على الوشم، ثم عينه أميرًا على سدير، ثم أرسله الإمام فيصل بن تركي أميرًا على البريمي، فأميرًا مرة أخرى على شقراء. ابن بشر، المصدر السابق، ١/ ٢٥٩، ٢٩٥، ٣٨٩-٣٩٣، ٤٢٣، ٢/ ٢٥، ٣٦، ٨٥، ١٠١، ١٢٢، ١٥٨. المطوع، المصدر السابق، ص ١٢٣، ٢٠٣. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٧١. أبو معطي، زكي بن سعد: "حمد بن يحيى آل غيهب أمير الوشم في =

وحثه على النظر في القصور والثغور وتأمينها، وذلك في عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٨م[١٣].

وحينما تولى الأمير خالد بن سعود الحكم في نجد (١٢٥٤-١٢٥٧هـ/ ١٨٣٨-١٨٤١م) سارع بإرسال سعد المطيري[١٤] إلى عمان في عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م[١٥]، وأرسل

= الدولة السعودية الأولى والثانية"، مجلة الدرعية، س ٨، ع ٣٠-٣١، (جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ/ يوليو ٢٠٠٥م)، ص ٥٧-٨٦. المهنا، يوسف بن عبدالعزيز: "أمير الوشم محمد بن إبراهيم الجميح في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز"، مجلة الدرعية، س ٩، ع ٣٦، (ذو الحجة ١٤٢٧هـ/ يناير ٢٠٠٧م)، ص ٨٦.

(١٣) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE. 35/10، يتضمن تقريرًا عن أحوال الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي أعده السيد فضل العلوي إلى الصدر الأعظم في ١٨ رمضان ١٢٩٦هـ. ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ١٥٨.

(١٤) سعد بن مطلق بن محمد المطيري، قائد من قادة الدولة السعودية الثانية، اتسم بالقوة والحزم، عينه الإمام فيصل بن تركي قائدًا للبريمي في عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، واستمر واليًا عليها تخللتها فترات انقطاع إلى عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م عندما استدعاه الإمام فيصل، ليعود إليها مرة أخرى في عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م، وبعد أحداث العانكة عزله الإمام فيصل بن تركي عنها في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م. ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٨-٢٤٩، ٢٧٦. المطوع، المصدر السابق، ص ٩٨، ١٢٤-١٢٩، ٢٠٣-٢٠٤. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٦٧-١٦٨، ١٧٣-١٧٥، ١٨١، ١٨٤-١٩٤.

(١٥) حول نفوذ الأمير خالد بن سعود في البريمي والساحل يمكن الرجوع إلى الوثائق الآتية: دار الوثائق القومية بالقاهرة تصنيف: عابدين، محفظة ٢٧٠، وثيقة رقم ١٩٤ حمراء والمرفقات العربية معها، رسالة من خورشيد باشا إلى رئيس ديوان والي مصر في ١٢ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ. وتصنيف: عابدين، محفظة ٢٦٧، وثيقة رقم ٣٩ أصلية، ٦ حمراء، رسالة من المقيم البريطاني هينل إلى خورشيد باشا حول وصول سعد المطيري إلى جزيرة قيس بالخليج العربي في ١٧ جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ.

معه خطابًا شديد اللهجة إلى السيدين هلال[١٦] وثويني[١٧] ابني سعيد بن سلطان (سلطان مسقط وعمان في الفترة ١٢١٩-١٢٧٣هـ/ ١٧٩١-١٨٥٦م) يطلب منهما تقديم المساعدة والتعاون مع ممثله بمثل ما جرى مع أسلافه، وأشار عليهما بـ"المشا الطيب مع طارفتنا سعد ابن مطلق... والمراد طارفتنا

---

(١٦) السيد هلال بن سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي، أكبر أبناء السيد سعيد، ولد عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م، كان واليًا على عمان نيابة عن والده، ثم عينه على شرق إفريقية إلى أن حدث بينهما نزاع أدى إلى عزله، وتوفي في عدن عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م. الأرشيف العثماني تصنيف I.DH 14646، يتضمن تقريرًا لمعشوق باشا متصرف البصرة إلى الصدر الأعظم في ١٥ شوال ١٢٦٧هـ. البوسعيدي، سالمة بنت سعيد: مذكرات أميرة عربية، ترجمة سالمة صالح، دار الجمل، ألمانيا، ٢٠٠٢م، ص ١٦٨-١٧١. مجهول المؤلف: مرآة أحوال العصر الجديد في سيرة السلطان حمد بن ثويني بن سعيد، مخطوط، وزارة التراث القومي والثقافة بمسقط، برقم ٢٢٩٢، ق١. لوريمر، ج.ج: دليل الخليج؛ القسم التاريخي، ديوان أمير دولة قطر، الدوحة، ط.٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢/ ١١٠، الملاحق، ملحق رقم ١. الفارسي، عبدالله بن صالح: البوسعيديون حكام زنجبار، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ط. ٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٦-١٧. ابن الزبير، محمد وآخرون: دليل أعلام عمان، جامعة السلطان قابوس، مسقط، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ١٦٦.

(١٧) السيد ثويني بن سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي، سلطان عمان ومسقط، ولد في عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م، وتوفي في صحار مقتولاً على يد ابنه سالم في عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م. مجهول المؤلف، مرآة أحوال العصر الجديد، ق ١. لوريمر، المصدر السابق، الملاحق، ملحق رقم ١. الزركلي، خير الدين: الأعلام معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م، ٢/١٠٢. ابن الزبير، المرجع السابق، ص ٤١.

سعد واصل إلى طرفكم على حاله الأوله وعلى حال أبوه إلّي هو عليها مع أبوي الله يرحمه، فيصير عندكم معلوم أنا مقلطينه في عمان كافه على البر والبحر، والمطلوب منكم السمع والطاعة كذالك من قبل الشي الذي عاونتوه به على وقة فيصل على الغزو والقصور لا تقصرونه عنه من قبل زاد وخرج وزهبه"(١٨).

ويدل هذا الخطاب على أن الأمير خالد بن سعود لم يتوان بعد توليه الحكم في النظر إلى مناطق نفوذ دولته، ولذا سارع إلى تدارك ضعف النفوذ السعودي في تلك المنطقة بإرسال سعد المطيري إلى هناك، مصحوبًا بخطابات من الأمير خالد بن سعود إلى شيوخ القبائل، وإلى نائبي سلطان مسقط، لتأكيد النفوذ السعودي، وطلب دفع الزكاة، والمقررات المعتاد دفعها إلى القائد السعودي المقيم في تلك المنطقة.

كما يلحظ في هذا الخطاب أنه كان موجهًا من الأمير خالد بن سعود إلى السيدين هلال وثويني ابني سعيد بن سلطان، على اعتبار أن السيد هلال أحد نائبي سلطان مسقط في ذلك الوقت، مع أن الصحيح أن السيد هلالاً في ذلك الوقت لم يكن نائبًا عليها، ولهذا أهمل السيد سعيد بن سلطان ذكره في خطابه المرسل إلى أحمد شكري باشا والي الحجاز احتجاجًا على خطاب الأمير خالد بن سعود، وذكر

---

(١٨) دار الوثائق القومية بالقاهرة تصنيف: عابدين، محفظة ٢٦٦، وثيقة رقم ٤٣ أصلية، ١٨١ حمراء، رسالة من الأمير خالد بن سعود إلى ثويني وهلال بن سعيد بدون تاريخ، وهي عمومًا مرسلة خلال عام ١٢٥٥هـ. وتصنيف: عابدين، محفظة ٢٦٦، وثيقة رقم ١٠٤ حمراء، خطاب من محمد علي باشا إلى الأمير خالد بن سعود ٣ ذي القعدة ١٢٥٥هـ.

أن نائبيه في مسقط هما ابنيه السيدان محمد وثويني، أثناء وجوده في هذا التاريخ في زنجبار، حيث قال: "وصلنا هذا التعريف من الأولاد محمد وثويني"(١٩).

أما الأمير عبدالله بن ثنيان (١٢٥٧-١٢٥٩هـ/ ١٨٤٢-١٨٤٣م) فإنه بعد توليه الحكم في الرياض نهاية عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤٢م بادر في السنة التالية لحكمه إلى إرسال رسله ومعهم رسائل إلى شيوخ ساحل عمان يخبرهم بعزمه على إرسال سعد المطيري ليكون ممثلاً له عندهم، وطالباً منهم تقديم كافة المساعدة له

---

(١٩) دار الوثائق القومية بالقاهرة تصنيف: عابدين، محفظة ٢٦٦، وثيقة رقم ٤٣ أصلية، ١٨١ حمراء، رسالة من السيد سعيد بن سلطان إلى أحمد شكري باشا والي الحجاز في ١٥ جمادى الاولى ١٢٥٥هـ. وحول نيابة السيد هلال بن سعيد عن والده السيد سعيد بن سلطان ثم الخلاف بينهما أشار معشوق باشا متصرف البصرة في تقرير أعده للباب العالي حول أوضاع الخليج العربي معلومات مهمة عن أحوال الأسرة الحاكمة في عمان، منها أن السيد سعيد كان يميل إلى إشراك ابنه السيد ثويني في تدبير شؤون الإدارة في مسقط أثناء غيابه، فجعله وكيلا عنه مما أثار حفيظة ابنه الكبير السيد هلال وأوغر صدره، فهرب إلى مصر، ومكث هناك مدة من الزمن بأمل تحقيق مطالبه الشخصية ولكن دون جدوى، إذ إنه لم يجد أذنًا صاغية لمطالبه، فشد الرحال إلى إنجلترا، وبعد مرور سنتين على مكوثه في إنجلترا عاد إلى مسقط بوساطة الحكومة البريطانية، بيد أن والده لم يغير موقفه منه ولم يسند إليه أي عمل إداري أو رسمي. وللاستزادة حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: الأرشيف العثماني تصنيف I.DH 14646، يتضمن تقريراً لمعشوق باشا متصرف البصرة إلى الصدر الأعظم في ١٥ شوال ١٢٦٧هـ. البوسعيدي، المرجع السابق، ص ١٦٨-١٧١. لوريمر، المصدر السابق، ٢/ ١١٠. الفارسي، المرجع السابق، ص ١٦-١٧. القاسمي، سلطان بن محمد: تقسيم الإمبراطورية العمانية، مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر، دبي، ط.٢، ١٩٨٩م، ص٦١-٦٥.

مع الاتحاد والمعاونة معه[٢٠]، لكن فقدان سلطته حال دون تنفيذ ما عزم عليه، إذ عاد الإمام فيصل بن تركي إلى الرياض في عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م ليتولى الحكم مرة أخرى، بادئًا بذلك فترة حكمه الثانية (١٢٥٩-١٢٨٢هـ/ ١٨٤٣-١٨٦٥م).

ج - عهد الإمام فيصل بن تركي:

في شهر رجب ١٢٥٩هـ/ يوليو ١٨٤٣م أرسل الإمام فيصل رسائل إلى شيوخ الساحل في عمان يبلغهم برغبته إرسال قائده سعد المطيري ليكون نائبا عنه في تلك الأقاليم[٢١]. وعندما قدم الإمام فيصل إلى منطقة الأحساء ونزل الهفوف عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م، أقام فيها أربعين يوماً، وفد عليه فيها رؤساء القبائل، كما وفد عليه مشايخ ساحل عمان لتهنئته وتقديم البيعة له بالطاعة والولاء[٢٢].

وبالفعل أرسل الإمام فيصل في عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م سعد المطيري ومعه الشيخ ناصر بن علي العريني[٢٣]؛ ليتولى

---

(20) Bombay Government, Selections from the Records of Bombay Government, new series, No: XXIV, Bombay, 1856, p. 453.

(٢١) وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٨٠-١٨١.

(٢٢) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٩. وللاستزادة حول علاقات الإمام فيصل بن تركي بسواحل الخليج خلال فترة حكمه الثانية يمكن الرجوع لـ: السعيد، دلال بنت محمد: علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي ١٢٥٩-١٢٨٢هـ/١٨٤٣-١٨٦٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢٣) الشيخ ناصر بن علي العريني قاضي البريمي بين عامي ١٢٦١-١٢٧٠هـ/ ١٨٤٥-١٨٥٤م. ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٣٠. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ٢٠٦.

شؤون القضاء في تلك الأقاليم، ومعهما مجموعة من المقاتلين، بلغ عددهم سبعمئة جندي[٢٤]، وقد رحبت معظم قبائل البريمي بالممثل السعودي، وأعلنت ولاءها وخضوعها من جديد للإمام فيصل بن تركي[٢٥].

وعند دخوله إلى عمان طالب سعد المطيري بدفع الزكاة، التي كانت تدفع من قبل للأئمة السعوديين، حيث طلب من السيد ثويني بن سعيد، النائب عن والده في السلطنة، دفع مبلغ عشرين ألف روبية عن مسقط، ومبلغ خمسة آلاف روبية عن إقليم صحار[٢٦].

ونظراً لوجود السيد سعيد بن سلطان في زنجبار، فقد طلب ابنه السيد ثويني من المطيري مهلة لبعض الوقت حتى يستشير والده، فوافق المطيري على ذلك، لكن تأخر السيد ثويني في الرد، جعل المطيري يقوم بمهاجمة ساحل الباطنة[٢٧]؛ حيث ظن المطيري أن السيد ثويني يستغل الوقت لأجل حشد قواته للهجوم على السعوديين، أو لانتظار المدد الذي قد يرسله والده السيد سعيد بن سلطان.

ونتيجة لهذا الهجوم على الساحل، سارعت السلطات البريطانية إلى التدخل، حيث نصحت السيد ثويني بإجابة

---

(٢٤) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٣٠. كيلي، جي. بي: الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ترجمة خيري حماد، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١م، ص ٧٤.

(25) Selections from the Records of Bombay Govermment, p.229.

(٢٦) لوريمر، المصدر السابق، ٢/ ٩٤.

(٢٧) نخلة، محمد عرابي: تاريخ الإحساء السياسي (١٨١٨-١٩١٣م)، ذات السلاسل، الكويت، د.ت، ص١١٦.

مطالب السعوديين، أو التلويح لهم بتدخل الحكومة البريطانية إذا كانت طلباتهم مستحيلة[٢٨].

ومن جهة أخرى جرت اتصالات بين الحكومة البريطانية والإمام فيصل وتم التوصل في عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م إلى قيام السيد حمود بن عزان حاكم صحار[٢٩] بدفع مبلغ خمسة آلاف ريال فرانسي عن إقليم صحار، وقيام السيد ثويني بن سعيد بدفع خمسة آلاف ريال فرانسي زكاة سنوية تدفع للرياض، كما أشارت الوثائق البريطانية إلى أن السيد ثويني دفع مبلغ ألفي ريال فرانسي للقائد السعودي سعد المطيري على سبيل الهدية[٣٠]، ولم تشر المصادر المحلية إلى هذا الأمر!!.

---

(٢٨) لوريمر، المصدر السابق، ٢/ ٩٤. روث، رودولف سعيد: السيد سعيد بن سلطان سيرته ودوره في تاريخ عمان وزنجبار، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط. ٢، ١٩٨٨م، ص١٣٠. إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني: صراع الأمراء علاقة نجد بالقوى السياسية في الخليج العربي ١٨٠٠-١٨٧٠م دراسة وثائقية، دار الساقي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ١٩٠-١٩١. إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني: علاقة ساحل عمان ببريطانيا دراسة وثائقية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٨٤. كيلي، الحدود الشرقية، ص ٧٥.

(٢٩) السيد حمود بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي، حاكم صحار عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م، تمرد على السيد سعيد بن سلطان خلال عامي ١٢٤٧-١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢-١٨٣٣م، واستولى خلالها على الرستاق، واعترف السيد سعيد باستقلاله عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م، لكن السيد ثويني أسره وسجنه في مسقط وبها توفي عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م. ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٤٧٥-٤٧٦، ٤٨٢-٤٨٣. مجهول المؤلف، مرآة أحوال العصر الجديد، ق ١. لوريمر، المصدر السابق، الملاحق، ملحق رقم ١.

(٣٠) لوريمر، المصدر السابق، ٢/ ٩٤. روث، المرجع السابق، ص١٣٠. كيلي، الحدود الشرقية، ص ١٠٦-١٠٧. إبراهيم، صراع الأمراء، ص ١٩٠-١٩١. إبراهيم، علاقة ساحل عمان ببريطانيا، ص ٢٨٤.

وبالرغم من استتباب الأوضاع للسعوديين في المنطقة، فإن الإمام فيصل بن تركي قد غضب على المطيري وعزله عن الإمارة. وأسباب عزله غير واضحة، إذ إن المصادر المحلية لم تذكر سببًا لهذا العزل، بينما تشير الوثائق البريطانية إلى أن سبب تحول ولاء قبائل المنطقة والساحل، يعود إلى طريقة تعامل المطيري وسلوكه معها، ولذا أصبح مع الوقت يفقد هذا الولاء، وتحول الجميع إلى عداء معه سوى شيخ أم القوين(٣١)، والذي يبدو أن المطيري -كما يظهر- تجاوز صلاحياته، وبدأ يتصرف بطريقة شخصية دون الرجوع إلى الإمام فيصل بن تركي، ورأى الإمام أن تصرفات المطيري هي تصرفات شخصية لا يرضى السعوديون عنها(٣٢)، ولذا قام الإمام فيصل بن تركي بعزله، وعين بدلاً عنه عبدالرحمن بن إبراهيم(٣٣)، وذلك في

---

(٣١) كيلي، الحدود الشرقية، ص ١٠٧-١٠٨. إبراهيم، صراع الأمراء، ص ١٨٠. إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني: أبو ظبي توحيد الإمارة وقيام الاتحاد، مركز الوثائق والبحوث، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٨٧. نخلة، المرجع السابق، ص١١٦-١١٧. مايترا، جوينتي وعفراء الحجي: قصر الحصن تاريخ حكام أبو ظبي (١٧٩٣-١٩٦٦م)، مركز الوثائق والبحوث، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص ١٠٠.

Selections from the Records of Bombay Govermment, p.337.

(32) Ibid, p.339.

(٣٣) عبدالرحمن بن إبراهيم بن حمد آل يحيى، قائد من قادة الدولة السعودية الثانية، عينه الإمام فيصل قائدًا في البريمي في ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م، وشارك في حرب عنيزة الأولى عام١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م، ثم في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م أمره الإمام فيصل بن تركي على بريدة، وفي عام ١٢٧٨هـ/ ١٩٦٢م حصل بينه وبين أهالي عنيزة وقعة رواق هزم فيها، ولذا غضب عليه الإمام فيصل وعزله عن الإمارة، وعاد بعدها إلى أبا الكباش. ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٦. ابن عيسى، =

عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م[٣٤]، لكن الأخير لم يمكث سوى فترة قصيرة، عاد بعدها إلى نجد، وأقام مكانه محمد بن سيف العجاجي[٣٥] أميراً على البريمي في عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م[٣٦].

وخلال تلك الفترة ضعف النفوذ السعودي في البريمي نتيجة انشغال الإمام فيصل بن تركي بمواجهة الشريف محمد بن عون[٣٧]، حيث قاد الشريف حملة عسكرية إلى

= إبراهيم بن صالح: عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢٠، ٤٣، ٤٧-٤٨. الجاسر، حمد بن محمد: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ١/ ١٥-١٦.

(٣٤) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٦.

(٣٥) محمد بن سيف العجاجي، من أمراء وقادة الدولة السعودية الثانية، عينه الإمام فيصل بن تركي أميرًا على دارين عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م، ثم عينه أميرًا على البريمي بدلاً عن عبدالرحمن بن إبراهيم عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م، واستمر بها إلى قيام الشيخ سعيد بن طحنون بالاستيلاء على البريمي عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م. ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٩٦. المطوع، المصدر السابق، ص ٢٠٤. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٩١. نخلة، المرجع السابق، ص ١١٧. حنظل، فاضل زكي: المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة، لجنة التراث والتاريخ، أبو ظبي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٥٣٥. مايترا، المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠٤.

(٣٦) المطوع، المصدر السابق، ص ٢٠٤. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٩١. نخلة، المرجع السابق، ص ١١٧. حنظل، المرجع السابق، ص ٥٣٥. مايترا، المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠٤.

(٣٧) الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون، ولد في مكة المكرمة عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، وبها نشأ، عينه محمد علي باشا أميرًا لمكة المكرمة في عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، وبقي أميرًا عليها إلى عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، وأعيد إليها في عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، إلى وفاته في عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م. الزركلي، المرجع السابق، ٦/ ٢٤٧-٢٤٨.

نجد، وبصحبته الأمير خالد بن سعود[٣٨]، وتوجها إلى المدينة المنورة ثم إلى القصيم في شهر ربيع الآخر عام ١٢٦٣هـ/ أبريل ١٨٤٧م وأقاما فيه، وقد أطاعهما أغلب أهالي القصيم، وبعض شيوخ القبائل الذين وفدوا جميعًا إلى معسكر الشريف، كما راسل الشريف بعضهم الآخر[٣٩]، ومنهم عبيد بن رشيد[٤٠] الذي أهدى الشريف فرسين[٤١].

وحين بلغ الإمام فيصل قدوم حملة الشريف استنفر رعيته وجهز جنده بقيادة ابنه الأمير عبدالله، الذي خرج من الرياض في أول شهر جمادى الأولى، ونزل المجمعة بانتظار

(٣٨) سعى الأمير خالد بن سعود إلى العودة إلى حكم نجد، وبذل في سبيل ذلك طرقًا عدة، منها الاستعانة بالأشراف، وولاة الحجاز، والدولة العثمانية، وقد كتب في ذلك تقارير عدة، وهي ستكون محل دراسة أخرى بإذن الله تعالى.

(٣٩) الأرشيف العثماني تصنيف I.MES.MUH 2067، يتضمن خطابًا من عبدالجليل الطباطبائي إلى خورشيد أغا متسلم البصرة في ١٧ جمادى الثانية ١٢٦٣هـ. البسام، عبدالله بن محمد: تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تحقيق إبراهيم الخالدي، شركة المختلف، الكويت، ٢٠٠٠م، ص ٣٢٦.

(٤٠) الأمير عبيد بن علي بن رشيد، من عبدة من شمر، كان من أعوان أخيه الأمير عبدالله بن رشيد، توفي في ١٧ ذي القعدة ١٢٨٦هـ/ ١٧ فبراير ١٨٧٠م حسب ما دون على شاهد قبره. ودفن في مقبرة عبيد المعروفة الآن بالبويضا في حائل. مشاهدات الباحث في مدينة حائل في يوم الأربعاء ١٤٢٣/١/١٣هـ. وحول دوره في تأسيس إمارة آل رشيد انظر: العثيمين، عبدالله الصالح: نشأة إمارة آل رشيد، مطابع الشريف، الرياض، ط. ٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١١٥-١٥٦.

(٤١) الأرشيف العثماني تصنيف I.MES.MUH 2067، يتضمن خطابًا من عبدالجليل الطباطبائي إلى خورشيد أغا متسلم البصرة في ١٧ جمادى الثانية ١٢٦٣هـ.

تكامل وصول قواته(٤٢). وحين علم الشريف محمد بن عون بذلك، أرسل ابن عمه الشريف عبدالله بن لؤي إلى الإمام فيصل في الرياض للتفاهم معه حول شروط الصلح، وقد استطاع الشريف عبدالله بن لؤي بعد مباحثات بينهما الوصول إلى اتفاق كان من نتيجته انسحاب الشريف إلى الحجاز، مقابل موافقة الإمام فيصل على دفع مبلغ عشرة آلاف ريال فرانسي لخزانة الشريف(٤٣).

ونتيجة لانشغال الإمام فيصل بتلك الأحداث مع الشريف محمد بن عون، وغياب القائد السعودي القوي سعد المطيري عن المنطقة من ناحية، وعدم تمكن خلفه محمد بن سيف العجاجي من السيطرة على البريمي من ناحية أخرى، أدى ذلك كله إلى ضعف النفوذ السعودي، وقد شجع ذلك على

---

(٤٢) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٠.

(٤٣) الأرشيف العثماني تصنيف I.DH 33349، يتضمن خطابًا من نامق باشا إلى الباب العالي في عام ١٢٧٨هـ. وتصنيف I.DH 34428، يتضمن خطابًا من الأمير عبدالله بن فيصل إلى الشريف عبدالله بن عون في ٢٩ رمضان ١٢٧٩هـ. وتصنيف I.MEC.MAH 1381، يتضمن خطابًا من الإمام عبدالله بن فيصل إلى والي الحجاز محمد وجيهي باشا في عام ١٢٨٣هـ. وتصنيف ADV. NMH 17/7، يتضمن فرمان تعيين الإمام عبدالله بن فيصل على نجد في ١٩ شوال ١٢٨٣هـ. وانظر أيضًا تقرير الأمير خالد بن سعود لوالي الحجاز في ٣ رمضان ١٢٧١هـ/ ١٩ مايو ١٨٥٥م حول هذه الحادثة وما جرى بعدها حول التزام الإمام فيصل بن تركي بدفع المبلغ المذكور عند: جودت باشا، أحمد: "أحداث مكة المكرمة أيام الشريف عبدالمطلب بن غالب"، ترجمة صالح سعداوي، مجلة دراسات، مج ١٦، ع ٣، (شعبان ١٤٠٩هـ/ آذار ١٩٨٩م)، ص ١٤٤-١٤٥. وسيشار إلى هذا المصدر الأخير اختصارًا فيما بعد بـ (تقرير الأمير خالد بن سعود).

قيام تحالف بين أطراف عدة، منهم شيخ أبو ظبي سعيد بن طحنون[٤٤] وحاكم صحار وشيخا قبيلتي النعيم والظواهر على مهاجمة الحامية السعودية في البريمي[٤٥]، حيث فرضوا الحصار عليها، وأرغموها على الاستسلام بعد أن أمنهم شيخ أبو ظبي على أرواحهم وأموالهم وسلاحهم، حينها غادر العجاجي ومن معه البريمي إلى الشارقة. ونتيجة لذلك قام شيخ أبو ظبي الشيخ سعيد بن طحنون بضم البريمي إلى مشيخته في ١٥ رجب ١٢٦٤هـ/ ١٦ يونيو ١٨٤٨م[٤٦]. فكان مما ترتب على هذا التصرف عدم تأييد شيوخ الساحل جميعهم له وتحالفهم ضده[٤٧].

وفي الوقت الذي انتهت فيه تسوية مشكلة القصيم، وصلت أخبار البريمي إلى الإمام فيصل الذي بادر في الحال بإرسال

(٤٤) الشيخ سعيد بن طحنون بن شخبوط بن ذياب بن عيسى آل نهيان، ولد في أبو ظبي وعاش بها إلى وفاة والده، ثم انتقل مع إخوته إلى ليوا، وبعد وفاة عمه الشيخ خليفة بن شخبوط، تولى الحكم في أبو ظبي في عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م، قتل أثناء صراعه مع ابن عمه الشيخ زايد بن خليفة على السلطة في عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م. مايترا، المرجع السابق، ص ٩٣-١٣٥. إبراهيم، أبو ظبي، ص ٨٣-١٠٢.

(٤٥) لوريمر، المصدر السابق، ٢/ ٥١٣، ٣/ ٥٤١.

(٤٦) المصدر نفسه، ٣/ ٥٤١. كيلي، الحدود الشرقية، ص ١١٠-١١١. إبراهيم، صراع الأمراء، ص ١٨١. إبراهيم، أبو ظبي، ص ٨٧-٨٩. مايترا، المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٣. حنظل، المرجع السابق، ص ٥٣٩ - ٥٤٠.

(٤٧) لوريمر، المصدر السابق، ٣/ ٥٤١. مايترا، المرجع السابق، ص ١٠٣-١٠٤. السعدي، حصة بنت أحمد: الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه ١٢٥٦-١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠-١٨٩١م، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٦١.

حملة عسكرية جديدة بقيادة سعد المطيري لاستعادتها[٤٨].

وما أن بلغت أخبار هذه الحملة الشيخ سعيد بن طحنون، حتى بث عيونه على طول الطريق لمعرفة حجمها والطريق الذي سوف تسلكه؛ فكمن لها عند مياه العانكة[٤٩]، وفي يوم ٢٣ ذي الحجة ١٢٦٤هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨٤٨م جرت معركة بين الطرفين، انتهت بانتصار الشيخ سعيد بن طحنون وتراجع السعوديين إلى دبي ثم الشارقة[٥٠].

وفي الحقيقة لم يكن الإمام فيصل بن تركي غافلاً عما جرى، وعلى الرغم من حرصه على تأكيد نفوذه هناك وتعزيزه لهيبة دولته فيها؛ إلا أنه لم يستطع في حينها بسبب تجدد المشاكل في منطقة القصيم في عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، إثر تخوف أهالي القصيم من غضب الإمام فيصل بن تركي عليهم لموالاتهم للشريف محمد بن عون عندما قدم نجد عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م، وما جرى خلالها من تضامنهم معه[٥١]، فاضطر الإمام فيصل بن تركي إلى توجيه تلك الحملة بدلاً من البريمي إلى منطقة القصيم لإعادة الاستقرار فيها، وقد انتهت أحداثها بموقعة اليتيمة في جمادى الأولى ١٢٦٥هـ/ أبريل ١٨٤٩م[٥٢].

---

(٤٨) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٨. مايترا، المرجع السابق، ص ١٠٣-١٠٤.

(٤٩) العانكة مورد ماء يقع على الطريق بين أبو ظبي ومدينة العين.

(٥٠) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٨-٢٤٩. مايترا، المرجع السابق، ص ١٠٦-١٠٩.

(٥١) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٠.

(٥٢) المصدر نفسه، ٢/ ٢٥٠-٢٧٣.

وأعقب الانتهاء من مشكلة القصيم تفرغ الإمام فيصل لمعالجة قضية البريمي مع شيخ أبو ظبي، وفي البداية رأى الإمام فيصل أنه ربما يستطيع حلها بالوسائل الدبلوماسية دون أن يكلف نفسه عناء الذهاب إليها، ولذلك طلب من الشريف محمد بن عون - الذي تحسنت علاقات الإمام فيصل به - أن يكون وسيطًا بينه وبين الشيخ سعيد بن طحنون، وبالفعل قام الشريف محمد بإرسال الشريف علي[٥٣] للوساطة ومقابلة شيوخ المنطقة والساحل، ومما زاد من نجاح هذا المسعى تحالف شيخي الشارقة ودبي مع سعد المطيري ضد ابن طحنون، مما أدى في النهاية إلى عقد اتفاق في عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م تم بموجبه إعادة حصون البريمي إلى السعوديين، واعتبار ما جرى في طي النسيان[٥٤].

لكن يبدو أن ذلك الاتفاق لم يكن سوى صلحًا مؤقتًا بين الطرفين، إذ لم يلبث شيخ أبو ظبي أن تحالف مع السيد ثويني بن سعيد الذي توقف عن دفع الزكاة للسعوديين مرة أخرى بدءًا من عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م، وتحالفا معًا على مهاجمة الحامية السعودية المرابطة في البريمي في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م[٥٥]، كما سعى الاثنان إلى ضم السيد حمود

(٥٣) لم يتضح لي من هو الشريف علي، إذ إن الوثائق البريطانية لا تفصح عن أكثر من اسمه الأول، ويبدو لي أنه الشريف علي بن محمد بن عون، والد الشريف الحسين بن علي.

(٥٤) IOR) R 15/1/117) خطاب من المقيم البريطاني في الخليج هنيل إلى حكومة الهند البريطانية في بومباي، في ١٢٦٥/٣/٢٣هـ الموافق ١٨٤٩/٢/١٥م.

(55) Selections from the Records of Bombay Government, p. 232.

بن عزان حاكم صحار إلى هذا التحالف، إلا أن الأخير رفض التعاون معهما نتيجة ارتباطه بحلف مع آل بو خريبات من قبيلة النعيم الموالية لآل سعود، مما جعل هذا التحالف ينتهي بالفشل، ويضطر معه السيد ثويني بن سعيد إلى العودة إلى مسقط(٥٦).

ورغم هذا الفشل الذي لف الاتفاق السابق، إلاّ أن السيد ثويني كان محكومًا بعقدة الثأر، حيث شنَّ حملة على السيد حمود بن عزان، وقبض عليه، وأودعه السجن في مسقط(٥٧)، وفي الوقت نفسه كرر ابن طحنون المحاولة من جديد بالهجوم على واحة البريمي في جمادى الأولى ١٢٦٦هـ/ مارس ١٨٥٠م في حملة تضم أربعمئة رجل انضموا إليه من قبائل بني ياس والمناصير، حيث قامت تلك الحملة بأعمال تخريبية بجوار الواحة، وألحقوا الضرر بمزارعها(٥٨). كما كرر هجومه مرة أخرى بمساعدة من الشيخ سلطان بن صقر القاسمي(٥٩) شيخ رأس الخيمة الذي تخلى عن تحالفه مع

(56) Ibid, p.229.

(57) Ibid.

ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٤٨٣. بادجر، جورج بيرسي: مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عمان، ترجمة محمد علي الداود، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٩٣.

(٥٨) وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ١٩٤-١٩٥.

Selections from the Records of Bombay Govermment, p.493-494.

(٥٩) الشيخ سلطان بن صقر بن راشد بن رحمة القاسمي، ولد في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، تولى المشيخة في رأس الخيمة في عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٣م، واستمر في الحكم إلى أن عزله الإمام سعود بن عبدالعزيز =

السعوديين، وانضم إلى شيخ أبو ظبي حيث قاما بهجوم فاشل على البريمي(٦٠)، ثم لم يلبث الشيخ سعيد بن طحنون أن قام بمهاجمة حصون البريمي في المحرم عام ١٢٦٧هـ/ نوفمبر ١٨٥٠م والاستيلاء عليها، فاضطرت الحامية السعودية إلى الخروج من البريمي والعودة إلى نجد(٦١).

ومما يظهر أن خصوم الإمام فيصل بن تركي وخاصة شيخ أبو ظبي استغلوا بعض الفرص في الوقت الذي كان الإمام فيصل بن تركي منشغلاً فيه بتأمين الجهات الشمالية من دولته في عام ١٢٦٦هـ/

خصوم الإمام فيصل استغلوا انشغاله بتأمين الجهات الشمالية من دولته

١٨٥٠م، حيث شن الإمام حملاته على بعض القبائل الخارجة عن طاعته، كما قام بإرسال ابنه الأمير عبدالله أيضاً في حملات تأديبية أخرى في شمال نجد(٦٢). ومما زاد الأمر سوءًا أن سعد المطيري منذ معركة العانكة لم يتصرف بالطريقة التي كان يرغب بها الإمام فيصل، حيث لم يقدم المطيري

= في عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، وحدد إقامته بالدرعية، وفي عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م هرب منها إلى مسقط، وفي عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م عاد إلى المشيخة في رأس الخيمة واستمر بها إلى وفاته في ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م. الفلاح، عيسى بن راشد: سلطان بن صقر بن راشد القاسمي ودوره السياسي في الخليج العربي ١٨٠٣-١٨٦٦م، مراجعة أحمد التدمري، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

(٦٠) لوريمر، المصدر السابق، ٢/ ٥١٤.

(٦١) كيلي، الحدود الشرقية، ص١١٤. مايترا، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٦٢) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٧٤-٢٧٥.

المساعدة اللازمة للشيخ سلطان بن صقر القاسمي في استعادة خور فكان، مما أغضب الأخير الذي يعد الحليف للسعوديين في المنطقة، ويجعله يتحالف مع الشيخ سعيد بن طحنون ضد السعوديين(٦٣)؛ ولذا قرر الإمام عزل المطيري في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م عن إمارة البريمي، وعين خلفًا جديدًا له(٦٤).

ومع تفاقم الموقف، قرر الإمام فيصل بن تركي في عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م إعلان النفير العام من أجل استرداد تلك المناطق المذكورة. وفي البداية رأى الإمام الخروج بقواته إلى قطر؛ نظرًا لامتناع حكام البحرين عن دفع الزكاة المستوجبة عليها، بعدها يتجه إلى البريمي لأجل استعادة السلطة السعودية فيها. وعند وصوله إلى قطر علم شيوخ البحرين بقدوم الإمام، فاستنجدوا بالشيخ سعيد بن طحنون الذي سارع إلى نجدتهم، إلا أن هذا التعاون بين شيوخ البحرين والشيخ سعيد سرعان ما تهاوى نتيجة لإدراك الشيخ سعيد حجم القوة السعودية الكبيرة التي كانت مع الإمام فيصل بن تركي، ولخوفه من نقمة الإمام فيصل عليه نتيجة لما قام به من تحدي للقوات السعودية ومهاجمتها في البريمي.

ولهذا بدلاً من أن يقوم الشيخ سعيد بن طحنون بمساعدة شيوخ البحرين؛ قدم على الإمام فيصل بن تركي بعد أن

---

(٦٣) مايترا، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٦٤) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٧٦. يسمي كيلي هذا الأمير ابن بتال، بينما تذكر مايترا أن اسمه بتال، دون أي معلومات أخرى عنه. كيلي، الحدود الشرقية، ص١١٤. مايترا، المرجع السابق، ص ١١٨.

توسط في حضوره الأمير أحمد السديري[٦٥]، ونظرًا لحفاوة الإمام به؛ فقد لجأ شيخ أبو ظبي إلى التوسط في الصلح بين الإمام فيصل وشيوخ البحرين، حيث جرى الصلح على أن تقوم البحرين بدفع الزكوات السابقة ودفع الزكاة اللاحقة[٦٦]. وقد عامل الإمام فيصل الشيخ سعيد بن طحنون معاملة جيدة وأكرمه، حيث قدم له أعطية (شرهة) قيمتها ألف ومئة ريال فرانسي، ومئة عباس[٦٧]، وسبعة خيول إضافة إلى منحة قدرها (٥٠٠٠) كيس من التمور سنويًا من الأحساء[٦٨]. ويبدو أن هذه الحفاوة والإكرام من

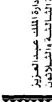
(٦٥) الأمير أحمد بن محمد بن سليمان السديري، أمير وقائد عسكري من أبرز أمراء وقادة الدولة السعودية الثانية، تولى إمارة مناطق عدة، منها الغاط وسدير والأحساء والبريمي، وكان محل ثقة الإمام فيصل بن تركي، توفي في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م. انظر ترجمته وأخباره عند: الظاهري، أبو عبدالرحمن بن عقيل: "أحمد السديري الأول"، مجلة الدرعية، س١، ع ١، (محرم ١٤١٩هـ/مايو ١٩٩٨م)، ص٤٧-١٢٣.

(٦٦) ابن بشر، المصدر السابق، ٢/ ٢٧٧-٢٨٤.

(٦٧) العباس عملة فضية فارسية، نسبة إلى الشاه عباس من ملوك الدولة الصفوية. العزاوي، عباس: تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، شركة التجارة والطباعة، بغداد، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ص ١٧٣. وفي ظني أن العباس الوارد هنا ليس عملة، لأن هذه العملة غير مستخدمة في نجد، إضافة إلى أن الإمام فيصل أكرم الشيخ سعيد وأعطاه بالريال الفرانسي، وما معنى أن يعطيه بهذه العملة، وبهذا المبلغ الزهيد، والذي يظهر لي أنها نوع من أنواع الأقمشة الواردة من بندر عباس، انظر:

Administrative Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency for The Year 1878-79, p. 94.

(٦٨) (IOR) R 15/1/125 رسالة من هنيل المقيم البريطاني في الخليج العربي إلى ماليت كبير سكرتارية الحكومة البريطانية في الهند في ٥ شوال ١٢٦٧هـ الموافق ٢ أغسطس ١٨٥١م. مايترا، المرجع السابق، ص ١٢١.



قبل الإمام فيصل بالشيخ سعيد بن طحنون والقبول بوساطته، لم تكن عن عدم معرفة بنشاط الشيخ سعيد في المنطقة، بقدر ما كان دهاءً وذكاءً من الإمام؛ لأن الظروف كانت تستدعي منه التعامل بصبر وحكمة، حيث رأى الإمام أن من الأفضل كسب الشيخ سعيد بن طحنون إلى صف السعوديين، وإنهاء التحالف الجديد بين الشيخ سعيد بن طحنون والشيخ سلطان بن صقر القاسمي شيخ رأس الخيمة.

ومن باب تقدير الإمام فيصل بن تركي دور الوساطة الذي قام به شريف مكة المكرمة، وردًا للمعروف وللمجاملة السياسية، فقد خاطب الإمام فيصل عبدالعزيز آكاه باشا والي جدة حول حملاته على البحرين وقطر، وذكر للأخير أنه توجه إلى هناك من "أجل تصليح الرعية وأدب أهل الجنايات... من أهل الساحل الشرقي"، وأنه بعد انتهاء الأمور هناك عاد إلى الرياض التي وصلها في يوم ٢٥ من شهر رمضان من العام نفسه[٦٩].

ومع ما سبق فإن الإمام فيصل كان يبيِّت أمرًا آخر، إذ أنه لم يكتف بنتائج حملته على قطر، لذلك عزم على قيادة حملة جديدة على المنطقة لأجل تأكيد النفوذ السعودي هناك[٧٠]، إلا أن هذه الرغبة لم تتحقق نتيجة مجيء الحملة المصرية التي

---

(٦٩) الأرشيف العثماني تصنيف I. DH 14790، يتضمن رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى عبدالعزيز آكاه باشا والي جدة في ٧ شوال عام ١٢٦٧هـ.

(٧٠) الأرشيف العثماني تصنيف I. DH 14790، يتضمن رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى عبدالعزيز آكاه باشا والي ولاية جدة في ١٤ ذي القعدة ١٢٦٧هـ.

أرسلها عباس باشا إلى المدينة المنورة في عام ١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م، مما جعل الإمام فيصل يتخوف من توجه هذه الحملة إلى منطقة القصيم، ولذلك خرج الإمام فيصل بقواته إلى المجمعة منتظرًا لما يسفر عنه الوقت، وحينما اتضح للإمام فيصل أنها لم تكن موجهة ضده، بل كانت موجهة إلى عسير، استثمر الفرصة، وقام بتأديب بعض القبائل التي قطعت طريق الحاج(٧١).

وبعد عودة الإمام فيصل بن تركي إلى الرياض، وصل الشيخ حمدان بن طحنون، أخو الشيخ سعيد شيخ أبو ظبي، ومعه ابنان للشيخ سلطان بن صقر القاسمي شيخ الشارقة إلى الرياض في شهر جمادى الآخرة عام ١٢٦٨هـ/ أبريل ١٨٥٢م، حيث رحب بهم الإمام فيصل وأكرمهم ورفدهم(٧٢). ويبدو أن غرض الزيارة تخوف الشيخ سعيد من حصول أي توجه لدى الإمام فيصل بن تركي ضده، لذا رأى تقديم الولاء والطاعة عن طريق إرسال أخيه إلى الرياض.

أما الإمام فيصل فإنه بعد انتهائه من حملاته التأديبية واستتباب الأوضاع أرسل خطابات إلى جميع المدن والقرى والمناطق التابعة له ومن ضمنها ساحل عمان دعاهم فيها إلى القيام بالحج، وأن الطرق سالكة والأحكام الشرعية قائمة(٧٣).

---

(٧١) الأرشيف العثماني تصنيف I.DH 16102، يتضمن رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى عبدالعزيز آكاه باشا والي جدة في غرة رمضان ١٢٦٨هـ. ابن عيسى، المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(٧٢) إبراهيم، أبو ظبي، ص٩٧. السعدي، المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٧٣) الأرشيف العثماني تصنيف I.DH 16102، يتضمن رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى عبدالعزيز آكاه باشا والي جدة في غرة رمضان ١٢٦٨هـ.

د - حملة الأمير عبدالله بن فيصل:

في عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م قام الإمام فيصل بن تركي بتأديب القبائل التي كانت خارجة عن طاعته في الوفرة، ثم أرسل ابنه الأمير عبدالله لفرض الأمن في الأحساء وسلوى ضد القبائل التي هاجمت القوافل التجارية فيها(٧٤).

وبعد استقرار الأوضاع الداخلية وانتهاء الحملات التأديبية توجه الأمير عبدالله بن فيصل بقواته المكونة ما بين ثلاثة إلى خمسة آلاف من الهجانة إلى البريمي(٧٥) في شهر ربيع الثاني ١٢٦٩هـ/ يناير ١٨٥٣م، ومعه أمير الأحساء أحمد السديري، وأرسل رسائل إلى شيوخ الساحل يبين لهم أنه لم يحضر إلى هذه المنطقة إلا لإصلاح الأمور فيها، وتحقيق المصالحة بين شيوخها وجمع الكلمة بين قبائلها، وطلب من شيوخ المنطقة والساحل الحضور لديه والاجتماع به في البريمي(٧٦).

وبعد وصوله إلى المنطقة بنى الأمير عبدالله قصر الخندق(٧٧)، وكذلك عقد اجتماعاته مع شيوخ الساحل الذين توافدوا جميعًا لديه، عدا شيخ دبي الذي أرسل أخاه نيابة

---

(٧٤) ابن عيسى، المصدر السابق، ص ١٨.

(٧٥) مايترا، المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٧٦) (IOR) R 15/1/138 رسالة من الأمير عبدالله بن فيصل إلى المقيم البريطاني في الخليج كامبل في ١٤ جمادى الثاني ١٢٦٩هـ/ ٢٤ مارس ١٨٥٣م.

(٧٧) المطوع، المصدر السابق، ص ١٣٤، ٢٠٧. وزارة الخارجية السعودية، المرجع السابق، ١/ ٢٠١. ولا زال هذا القصر موجودًا إلى اليوم.

عنه، كما قدم عليه السيد قيس بن عزان حاكم صحار(٧٨)، وقد استنجد الأخير بالأمير عبدالله، وروى له ما جرى على أخيه السيد حمود من السجن والإهانة(٧٩)، وقد قدم الجميع فروض الطاعة والولاء للأمير عبدالله بن فيصل(٨٠).

بعد ذلك أرسل الأمير إلى السيد ثويني يطالبه بدفع الزكوات السابقة، والتأكيد على دفع الزكاة اللاحقة، وإعادة النفوذ السعودي إلى وضعه السابق، وتعيين الحدود بينهما، وعدم التعرض إلى والي صحار السابق السيد قيس بن عزان وإعادة صحار إليه(٨١).

وقد صادف قدوم هذه الحملة مغادرة السيد سعيد بن سلطان مسقط إلى زنجبار في شهر صفر عام ١٢٦٩هـ/ نوفمبر ١٨٥٢م(٨٢)، وأدى سفره إلى ظهور اضطرابات جديدة في عمان، حيث عبرت قبائل منطقة الباطنة عن استيائها وسخطها من السيد ثويني، واندلعت الخلافات والنزاعات

---

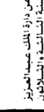
(٧٨) السيد قيس بن عزان بن قيس بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي، حاكم صحار بعد أخيه السيد حمود، فقد بعض أملاكه في عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م، نتيجة صراعه مع السيد ثويني، حيث فقد حكم صحار، لكنه احتفظ بالرستاق، قتل أثناء خلاف بينه وبين ابن عمه السيد هلال بن محمد البوسعيدي عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م. ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٤٨٣-٤٨٥. مجهول المؤلف، مرآة أحوال العصر الجديد، ق ١. لوريمر، المصدر السابق، الملاحق، ملحق رقم ١. السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، السيب، ٢٠٠٠م، ٢/ ٢٤٣-٢٤٥.

(79) Selections from the Records of Bombay Government, p. 232.

(80) Ibid.

(81) Ibid.

(82) Ibid.



في معظم المناطق التابعة لحكمه[٨٣]، حيث ثار السيد قيس بن عزان على سلطة سلطان مسقط، وطالب بدم أخيه السيد حمود، واستعان بالشيخ سلطان بن صقر القاسمي شيخ رأس الخيمة[٨٤]. كما قام أحد أنجال السيد حمود بن عزان بزيارة الرياض، وقابل الإمام فيصل بن تركي طالبًا مساعدته في الثأر لسجن والده السيد حمود واسترداد أملاكه في صحار من سلطان مسقط، وقد وعده الإمام فيصل بن تركي بمساعدته[٨٥]، أما منطقة الباطنة فقد افتقرت إلى وجود أي قوات فيها نتيجة الثورات ضد السيد ثويني[٨٦]، كل ذلك أسهم في تعقيد المشكلة لدى السيد ثويني، الذي راسل والده فيما يعمل حيال المطالب السعودية، وقد نصحه والده بمعالجة الموضوع بما يراه مناسبًا[٨٧].

في هذه الأثناء حضر الكابتن كامبل المقيم البريطاني في الخليج إلى المنطقة لأجل توقيع المعاهدة الدائمة للسلام البحري، وتفاجأ بعدم وجود أي من شيوخ الساحل، الذين كانوا موجودين عند الأمير عبدالله بن فيصل، فأرسل خطابات تستدعي حضورهم، لكن لم يهتم أحدٌ بالرد عليه إلا

---

(83) Ibid.

(٨٤) بادجر، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٨٥) كيلي، جون: بريطانيا والخليج العربي (١٧٩٥-١٨٧٠م)، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان، د.ت، ١/ ٦٩٩.

(٨٦) IOR) R 15/1/138) رسالة من كامبل المقيم البريطاني في الخليج العربي إلى ماليت كبير سكرتارية الحكومة البريطانية في الهند في ٣ رجب ١٢٦٩هـ/ ١١ مايو ١٨٥٣م.

(٨٧) حنظل، المرجع السابق، ص ٥٥٨.

شيخا رأس الخيمة وعجمان، مما أغضب المقيم البريطاني، وأشعره بخطورة الموقف، إذ رأى في اجتماع هؤلاء الشيوخ عند الأمير عبدالله بن فيصل حطًا من كرامة بريطانيا وذهاب هيبتها، وأن النفوذ السعودي في المنطقة والساحل هو الخطر الذي يواجه بريطانيا مستقبلاً[٨٨].

وبدلاً من هذا، قام الأمير عبدالله بن فيصل بالرد على خطابات المقيم البريطاني نيابة عن شيوخ المنطقة والساحل برسالة مؤرخة في ١٤ جمادى الآخرة ١٢٦٩هـ/ ٢٤ مارس ١٨٥٣م يبلغه بأن الشيوخ موجودون لديه، وأنهم لن يغادروا البريمي؛ لأنهم في ضيافته[٨٩].

لذلك قام المقيم البريطاني بإرسال خطاب شديد اللهجة إلى الشيخ سلطان بن صقر القاسمي حول دعمه للسعوديين، كما وعد في خطاب آخر السيد ثويني بن سعيد بالدعم والمساندة ضد السعوديين، حيث أرسل إليه سفينتين حربيتين لمراقبة الأوضاع[٩٠]، ومن الواضح أن مخاوف البريطانيين كانت ناتجة عن مدى اتساع النفوذ السعودي في المنطقة، إضافة إلى مخاوفها من ضغط السعوديين على شيوخ

---

(٨٨) (IOR) R 15/1/138 رسالة من كامبل المقيم البريطاني في الخليج العربي إلى ماليت كبير سكرتارية الحكومة البريطانية في الهند في ٣ رجب ١٢٦٩هـ/ ١١ مايو ١٨٥٣م. إبراهيم، أبو ظبي، ص ٩٨.

(٨٩) (IOR) R 15/1/138 رسالة من الأمير عبدالله بن فيصل إلى المقيم البريطاني في الخليج كامبل في ١٤ جمادى الثاني ١٢٦٩هـ/ ٢٤ مارس ١٨٥٣م.

(٩٠) مايترا، المرجع السابق، ص ١٢٤.

الساحل بعدم تجديد الهدنة البحرية التي كانت على وشك الانتهاء[٩١].

وكان الشيخ سلطان بن صقر القاسمي قد رأى أنه قد خسر في السابق مكانته لدى السعوديين نتيجة تحالفه السابق مع الشيخ سعيد بن طحنون ضدهم، لذا فقد سعى عند حضور الأمير عبدالله بن فيصل إلى تجديد التحالف السابق ما بين السعوديين والقواسم، ولذا أيد مطالب السعوديين وحرص على إعادة صحار إلى حكم السيد قيس بن عزان، وتأكيد السلطة القاسمية على عجمان وأم القيوين[٩٢]، أما الشيخ سعيد بن طحنون فقد رأى في حضور السعوديين إلى المنطقة خطرًا قد يهدد وجوده؛ لذا رأى عدم الانحياز الكامل معهم، وفضّل الانسحاب إلى أبو ظبي، وشكل ذلك خطرًا على السعوديين نتيجة وقوع طريق التموين من الأحساء إلى البريمي في أراضيه في حالة وقوع الحرب بين السعوديين والعمانيين[٩٣]. وشجع موقف ابن طحنون ودعم البريطانيين السيد ثويني على الخروج من مسقط إلى صحار[٩٤]، رغم تيقنه من عدم قدرته على مواجهة السعوديين، نتيجة ضعف القوات الموالية له[٩٥].

---

(91) Selections from the Records of Bombay Government, p. 233.

(٩٢) إبراهيم، أبو ظبي، ص ٩٩.

(٩٣) المرجع نفسه، ص ٩٩.

(٩٤) مايترا، المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٩٥) IOR) R 15/1/138) رسالة من كامبل المقيم البريطاني في الخليج العربي إلى ماليت كبير سكرتارية الحكومة البريطانية في الهند في ٣ رجب ١٢٦٩هـ/ ١١ مايو ١٨٥٣م.

أسهمت تلك الظروف في توليد أجواء للصلح، خصوصًا وأن الشيخ سعيد بن طحنون عرض قيامه بذلك، ففوض الأمير عبدالله بن فيصل الأمير أحمد بن محمد السديري والشيخ سعيد بن طحنون في نقل مطالب الدولة السعودية إلى السيد ثويني بن سعيد الموجود في صحار(٩٦)، كما رأى الأخير إرسال وفد من كبار أعيان الأسرة الحاكمة في مسقط لمقابلة الأمير عبدالله بن فيصل، تكون من السيد هلال بن محمد البوسعيدي(٩٧)، ومعه السيد سيف بن علي البوسعيدي(٩٨)، والسيد ناصر بن علي البوسعيدي(٩٩)، والشيخ علي بن صالح

---

(٩٦) الوثيقة نفسها. إبراهيم، أبو ظبي، ص ٩٨.

(٩٧) السيد هلال بن محمد بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي، أكبر أفراد العائلة البوسعيدية سنًا في ذلك الوقت، ولد عام ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م، كان واليًا على السويق، وثار على ابن عمه السيد سعيد بن سلطان عام ١٢٤٤-١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩-١٨٣٠م، وقتل أثناء خلاف بينه وبين ابن عمه السيد قيس بن عزان بن قيس البوسعيدي عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م، كان بطلاً شجاعًا، وذو معرفة بتاريخ أسرته وعاداتها وتقاليدها. ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٤٣٢، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٦. مجهول المؤلف، مرآة أحوال العصر الجديد، ق ١. لوريمر، المصدر السابق، ٢/ ١١٨-١١٩، الملاحق، ملحق رقم ١. السالمي، المصدر السابق، ٢/ ٢٣٨، ٢٤٣-٢٤٥. القاسمي، المرجع السابق، ص ١٩٦، ٣٢٠.

(٩٨) السيد سيف بن علي بن محمد البوسعيدي، تولى على البحرين، ثم عزله الإمام سلطان بن أحمد، كان من كبار آل البوسعيدي، وتزوج الإمام أحمد أخته وأنجب منها ابنه سالم. ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٤-٣٨٥، ٤٠٨، ٤٢١-٤٢٣.

(٩٩) السيد ناصر بن علي بن طالب بن مهنا البوسعيدي، كان والده واليًا على نزوى، شارك في اتفاقية البريمي، وكان مندوب السيد ثويني إلى زنجبار أثناء مشكلة التقسيم. ابن رزيق، المصدر السابق، ص ٣٨١، ٤٠٨، ٤٨٦. القاسمي، المرجع السابق، ص ١٨٥-١٨٦. الهاشمي، =

الحارثي(١٠٠)، ونتيجة للمباحثات التي أجراها السديري وابن طحنون مع السيد ثويني في صحار أولاً، ثم استكملت في البريمي مع الأمير عبدالله بن فيصل ثانيًا، فقد تم خلالها عقد اتفاقية صلح بين الأمير عبدالله بن فيصل آل سعود الذي ينوب عن والده الإمام فيصل بن تركي، والسيد هلال بن محمد البوسعيدي نيابة عن السيد ثويني بن سعيد نائب سلطان مسقط، المفوض من قبل والده سلطان مسقط السيد سعيد بن سلطان الموجود في زنجبار في تلك الفترة.

وقد عقدت الاتفاقية في البريمي في نهاية شهر رجب ١٢٦٩هـ/ مايو ١٨٥٣م، ويتلخص مضمون الاتفاقية في عقد تحالف دفاعي بين الطرفين يتمثل في مناصرتهما لبعضهما في حالة تعرض أحد أراضي الطرفين للهجوم من أي خصم أو عدو أو تمرد مضاد، وتحديد الحدود بينهما وفق ما جرى في الاتفاقيات السابقة، وقيام مسقط بدفع مبلغ اثني عشر ألف ريال فرانسي سنويًا بوصفها زكاة للرياض(١٠١)، إضافة إلى قيامها بدفع خمسمئة كيس من المواد الغذائية سنويًا، ودفع

= سعيد بن محمد: "مصداقية السيد ماجد بن سعيد تجاه الإمبراطورية العمانية (١٨٥٦-١٨٦١)"، دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عبر العصور، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١/ ١٢١.

(١٠٠) الشيخ علي بن صالح الحارثي، كان من المقربين إلى السيد ثويني بن سعيد، وعينه مستشارًا لابنه السيد سالم بن ثويني حين ولاه على صحار، وقد تميز بالخبرة والحكمة. القاسمي، المرجع السابق، ص ٣٠٦.

(١٠١) يذكر الأمير خالد بن سعود أن هذه الاتفاقية قد تم التوافق فيها على قيام مسقط بدفع ثمانية آلاف ريال، وهو أمر مجانب للصواب؛ إذ نصت الاتفاقية على دفع مبلغ اثني عشر ألف ريال. تقرير الأمير خالد بن سعود، ص ١٤٥.

خمسة براميل من البارود سنويًا، وعشرة صناديق من الرصاص سنويًا. وقد ألحق بالاتفاقية ملحقان: نص أولهما على دفع الزكوات السابقة المستحقة على مسقط والبالغة ستين ألف ريال فرانسي، أما ثانيهما فنص على دفع مبلغ ألفي قرش سنويًا للأمير عبدالله بن فيصل من قبل السيد ثويني بن سعيد.

ومما يلحظ في هذه الاتفاقية الجديدة أن اتفاق عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م نص على قيام مسقط بدفع خمسة آلاف ريال فرانسي بوصفها زكاة سنوية للرياض، لكن مسقط توقفت عن دفعها في عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م؛ بعد أحداث معركة العانكة، ولهذا فإن السعوديين عند إبرام الاتفاقية الجديدة في عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م طالبوا بدفع الزكوات المتأخرة، والتي بلغت خمس سنوات قيمتها حسب اتفاقية عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م خمسة وعشرين ألف ريال فرانسي، ونظرًا لإخلال مسقط بالاتفاقية؛ فقد قرر السعوديون رفع قيمة الزكاة لتصبح اثني عشر ألف ريال فرانسي، وتكون قيمة زكاة السنوات الخمس ستين ألف ريال فرانسي.

أما ما يتعلق بالحدود في هذه الاتفاقية فقد ذكر أن المناطق السعودية تمتد من خطمة ملاحة وتضم الأراضي التي يمر بها وادي الجزي ووادي حتى وما تشمله من مناطق في الباطنة والحجر إلى رأس الحد، وهي المناطق المعروفة بعمان الداخلية، أما حدود مسقط فقد جاءت في الاتفاقية على أنها تشتمل على المناطق التي تسكنها قبائل بني علي وبني زيد وبني كلبان، والتي تشكل مناطقهم في جبال الحجر، كما أن حدود مسقط من الجنوب تبتدئ من مدينة

بهلا إلى مدينة جعلان على ساحل بحر العرب، وبذلك تشتمل أملاك مسقط في المنطقة التي تعرف بعمان الأصلية.

هذا وقد شكلت هذه الاتفاقية محور العلاقات بين الطرفين خلال الفترة الباقية من حكم الإمام فيصل بن تركي، ونظرًا لما حملته هذا الاتفاقية من مضامين مهمة من الناحية السياسية والاقتصادية، فقد أدت إلى طموح الأمير خالد بن سعود في العودة إلى الحكم من جديد، ومحاولاته البحث عن دعم العثمانيين، من خلال إغرائهم باستطاعته دفع مبالغ كبيرة جدًا تصل إلى مئة ألف ريال فرانسي سنويًا مقابل دعم ولاية الحجاز له بقوة عسكرية تقدر بألفين ومئتي جندي ومعها مدفعين(١٠٢)، ونظرًا لأهمية هذا الموضوع فسوف يكون محل دراسة أخرى لاحقة.

ولأهمية اتفاقية البريمي ندرج فيما يأتي نصها والملاحق التابعة لها، مقدمين لها بدراسة حول مصدرها، وكيفية وصولها إلى إسطنبول، وأهميتها ووصفها.

مصدر الاتفاقية وملاحقها:

أصل هذه الاتفاقية وملاحقها ووثائق أخرى مرفقة معها يبلغ عددها تسع وثائق، سبع منها تتعلق بوثائق سياسية واتفاقيات دولية للدولة السعودية الثانية، موجودة جميعها في أرشيف رئاسة مجلس الوزراء بإسطنبول(١٠٣)،

هذه الاتفاقية وملاحقها ووثائق أخرى مرفقة معها يبلغ عددها تسع وثائق

---

(١٠٢) تقرير الأمير خالد بن سعود، ص١٤٥.

(١٠٣) وتصنيفها فيه برقم: (Y.PRK.UM 12/60) .

وتشمل هذه الوثائق رسالة من والي البصرة محمد نافذ باشا إلى الأمير محمد العبدالله بن رشيد (١٢٨٩-١٣١٥هـ/ ١٨٧٣-١٨٩٧م) في ١٢ رجب ١٣٠٥هـ/ ٢٤ مارس ١٨٨٨م يخبره عن حادثة اعتداء البريطانيين في عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م على ميناء الدمام، وما حصل من إرسال محمد بن عبدالله المانع مندوباً عن الإمام فيصل لمقابلة لويس بلي المقيم البريطاني في الخليج حينذاك، وأن الأخير قد أقر بأن مناطق القطيف والبحرين ومسقط وعمان هي تابعة للإمام فيصل بن تركي الذي هو تابع للدولة العثمانية، وأنه نظراً لحاجة الدولة لهذا الإقرار في مباحثاتها الدبلوماسية مع بريطانيا، فعلى ابن رشيد البحث عن ذلك التعهد وسؤال الإمام عبدالله بن فيصل عنه. ورسالة من شعبان باشا والي البصرة إلى الأمير محمد العبدالله بن رشيد في ٢٢ شوال ١٣٠٥هـ/ ١ يوليو ١٨٨٨م في التأكيد على ابن رشيد بالبحث عن هذه الأوراق نظراً لحاجة الدولة الماسة لها.

وقد أرفق مع هذين الخطابين الوثائق الآتية المتمثلة في الاتفاقيات التي عقدتها الدولة السعودية الثانية، وهي تتضمن خطاباً من الإمام فيصل بن تركي بالموافقة على الاتفاقية التي جرت بينه وبين الشيخ محمد بن خليفة آل خليفة شيخ البحرين وأخيه علي بن خليفة آل خليفة، وتعهد الشيخ أحمد بن خليفة آل خليفة عن أبناء عمه الشيخ محمد آل خليفة في عقد الاتفاقية مع الإمام فيصل بن تركي في ٧ شوال ١٢٦٨هـ/ ٢٤ يوليو ١٨٥٢م، وأيضاً تعهد الشيخ محمد بن عبدالله آل خليفة للإمام فيصل بدفع الزكاة في ٨ صفر

١٢٦٩هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٨٥٢م، إضافة إلى تعهد الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة بالنيابة عن والده بدفع الزكاة في ١٦ ذي الحجة ١٢٧١هـ/ ٢٩ أغسطس ١٨٥٥م(١٠٤). كما ضمت أيضاً الاتفاقية التي عقدت بين الأمير عبدالله بن فيصل آل سعود والسيد هلال بن محمد البوسعيدي بالنيابة عن السيد ثويني بن سعيد آل سعيد نائب سلطان مسقط وذلك في ٣٠ رجب ١٢٦٩هـ/ ٨ مايو ١٨٥٣م، والملاحق التي تتعلق بها وهي إقرار السيد هلال بن محمد البوسعيدي بدفع ٦٠ ألف ريال فرانسي زكاة السنوات الماضية، وإقرار آخر من السيد هلال بن محمد البوسعيدي بدفع ألفين للأمير عبدالله بن فيصل.

كيفية وصولها إلى إسطنبول:

وصلت هذه الاتفاقيات ومن ضمنها الاتفاقية وملاحقها محل الدراسة إلى إسطنبول عن طريق قيام الأمير محمد العبدالله بن رشيد بإرسالها إلى إسطنبول، وذلك لحصول حادثة أدت إلى قيامه بذلك، وملخصها أنه في عام ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م أرسل ابن رشيد وفداً كبيراً برئاسة عبدالعزيز بن يحيى العتيق إلى إسطنبول ومعه أربعة خطابات للسلطان، وخطاب إلى أحمد باشا عزت العابد(١٠٥) القرين (السكرتير)

---

(١٠٤) يعد سعادة الدكتور محمد بن عبدالله الفريح دراسة عن اتفاقيات الدولة السعودية الثانية مع البحرين، وستنشر قريباً بإذن الله.

(١٠٥) أحمد باشا عزت بن محيي الدين أبي الهول العابد، من أمراء المشارفة في بادية الشام، ولد عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، وتعلم في دمشق وبيروت، وتعين في الوظائف الحكومية، واتصل بالسلطان عبدالحميد الثاني فجعله سكرتيراً وكاتباً خاصاً له، واستمر على ذلك إلى قيام =

الثاني للسلطان[١٠٦]، وهدية سلطانية هي عبارة عن خمسة عشر رأسًا من الخيل[١٠٧]، وقد استفتح ابن رشيد خطابه الأول بالدعاء للسلطان بالعز والتأييد والنصر والتوفيق مع طول العمر، والتأكيد على خضوعه التام للدولة وأنه من أتباعها المشمولين بخدمة السلطان[١٠٨]. وفي الخطاب الثاني ذكر ابن رشيد أن محمد نافذ باشا والي البصرة السابق وشعبان باشا والي البصرة الحالي، طلبا منه البحث عن الاتفاقية التي جرت بين الإمام فيصل بن تركي وابنه الإمام عبدالله بن فيصل وبين شيوخ البحرين وسلاطين عمان، واستجابة لهذا الطلب، أوضح ابن رشيد أنه وجد بعض

= الانقلاب العثماني في ٢٤ جمادى الآخرة عام ١٣٢٦هـ/ ٢٣ يوليو ١٩٠٨م، فغادر إسطنبول متوجهاً إلى الدول الغربية، وتنقل بينها وبين مصر حتى توفي فيها عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م. طرازي، الفيكونت فيليب: تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣م، ٢/٢١٥-٢٢١. الحكيم، يوسف: سورية والعهد العثماني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، ص٥٧-٥٩، ١٧٠-١٧١. الزركلي، المرجع السابق، ١/١٦٩-١٧٠.

(١٠٦) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 138/24، يتضمن رسالة من محمد بن رشيد إلى القرين الثاني للسلطان في ٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ.

(١٠٧) تضمنت الرسالة الثالثة لابن رشيد إلى السلطان ذكر هذه الخيول وأصولها وألوانها، وذكر عنها ابن رشيد أنه "ما أعلم لهن نظير بناحيتنا". الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 138/25، يتضمن رسالة من محمد بن رشيد إلى السلطان عبدالحميد الثاني في ٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ.

(١٠٨) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 138/23، يتضمن رسالة من محمد بن رشيد إلى السلطان عبدالحميد الثاني في ٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ.

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٠هـ، السنة الثالثة والثلاثون
الدارة

المراسلات والاتفاقيات ذات العلاقة، وهي مرفقة مع خطابه(١٠٩).

وقد قصد ابن رشيد من إرسال هذه الأوراق والاتفاقيات إلى الدولة العثمانية أهدافًا عدة منها: أنه كان يطمح إلى مد نفوذه إلى جميع المناطق التي كانت تابعة للدولة السعودية الثانية، عادًا نفسه وريثًا لأملاك تلك الدولة، ولذلك استجاب لطلب الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني(١١٠) شيخ قطر في عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م في مساعدته في صراعه مع الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان(١١١)

---

(١٠٩) الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE 138/26، يتضمن رسالة من محمد بن رشيد إلى السلطان عبدالحميد الثاني في ٧ ربيع الأول ١٣٠٦هـ. وتصنيف Y. PRK.UM 12/60، يتضمن مجموعة من الاتفاقيات التي عقدتها الدولة السعودية الثانية مع عمان والبحرين.

(١١٠) الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني بن محمد بن ثامر بن علي المعضادي التميمي، قيل أنه ولد في عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، وهو مؤسس إمارة آل ثاني في قطر؛ وكانت قطر تابعة للبحرين فانفصل عنها في ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، ووثق علاقاته بالسلطان عبدالحميد الثاني الذي قدره وأحسن إليه، كان ذا علاقات حسنة بالملك عبدالعزيز آل سعود، قال المؤرخون عنه: كان أمير قطر وخطيبها يوم الجمعة وقاضيها وفقيهها والمحسن فيها، توفي في الدوحة في عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م. الكرملي، انستاس:"وفاة الشيخ قاسم بن ثاني وشيء من ترجمته"، مجلة لغة العرب، س٣، ج٣، (شوال ١٣٣١هـ/سبتمبر ١٩١٣م)، ص١٦١-١٦٢. الكرملي، انستاس: "الشيخ قاسم أمير قطر"، مجلة لغة العرب، س٣، ج٥، (ذي الحجة ١٣٣١هـ/نوفمبر ١٩١٣م)، ص٢٧٤-٢٧٥. البسام، علماء نجد، ٤٠٥/٥-٤٠٨.

(١١١) الشيخ زايد بن خليفة بن شخبوط بن ذياب آل نهيان من آل بو فلاح، شيخ أبو ظبي عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٥م وفي عهده استقرت الأمور وقويت شوكة المشيخة واستطاع توسيع حدودها، امتد حكمه لمدة أربع وخمسين سنة، توفي في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. مايترا، المرجع السابق، ص١٣٦-٢٠٢.

شـيخ أبو ظبي[١١٢]، ولهـذا أرسل ابن رشـيـد هذه الأوراق، لتقوية موقفه عند الدولة العثمانية، وساعيًا لأن تكون استعادة ذلك النفوذ تحت غطاء الدولة العثمانية، مستغلاً حاجة الدولة العثمانية لهذه المستندات المهمة، لتعزيز موقفها في مباحثاتها الدبلوماسية مع بريطانيا حول مناطق نفوذ كل منهما في الجزيرة العربية، وحرص الدولة العثمانية على إعادة نفوذها في منطقة الخليج العربي، والتي بدأت تفكر جديًا في هذه المسألة، ومدى ملاءمة ترشيح ابن رشيد للقيام بهذه المهمة.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الدولة العثمانية قد حرصت كثيرًا على الحصول على جميع اتفاقيات الدولة السعودية الثانية في إطار سعيها إلى إعادة نفوذها في الجزيرة العربية وسواحل البحر الأحمر والخليج العربي، وما يستتبع ذلك من

(١١٢) ويتضح ذلك جليًا في رسالة ابن رشيد إلى الشيخ ناصر بن خليل آل خليل الهاجري شيخ آل شهوان من بني هاجر في ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م، ونص هذه الرسالة هو: "من محمد بن رشيد إلى ناصر بن خليل سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد ذلك من طرف قاسم اليوم صارة حالنا وحاله واحدة، وصار بينه وبين زايد هالحرابه، فلي مشتهي صداقتنا يساعد قاسم على عدوه ويفزع له، وحنا لابد حنا متوجهين لهك الديار إنشاء الله وكلن يجازا على قدر فعله، الي يفعل زين ويساعد قاسم فهو صديق، والي ما يفزع لقاسم فلا هو صديق، يكون لديك معلوم، وسلم لنا على الجماعة، ومن عندنا حمود والرشيد يسلمون والسلام". (IOR) R 15/1/190 رسالة من الأمير محمد بن رشيد إلى الشيخ ناصر بن خليل في ٤ ذي الحجة ١٣٠٥هـ. وللاستزادة انظر: العنقري، حمد بن عبدالله: حكم محمد العبدالله بن رشيد لنجد ١٢٨٩-١٣١٥هـ/١٨٧٣-١٨٩٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ١٨٤-٢٠٦.

منافسة مع البريطانيين في النفوذ على تلك المناطق، ولذا فقد سعى مستشارو السلطان عبدالحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦-١٩٠٩م) للبحث عن هذه الوثائق بجميع السبل والطرق، للاستفادة منها في المباحثات التي ستجرى مع البريطانيين حول مناطق النفوذ[١١٣].

أما كيفية حصول ابن رشيد على هذه المراسلات المتعلقة بالدولة السعودية الثانية، فتعود إلى عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م عندما قام ابن رشيد بحصار الرياض لأجل فك أسر الإمام عبدالله بن فيصل، ونتيجة للاتفاق الذي تم بين الأمير عبدالرحمن بن فيصل والشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ وبين ابن رشيد، دخل ابن رشيد الرياض، واتخذ فيها بعض الإجراءات؛ كان منها نقل الإمام عبدالله إلى حائل ومعه عشرة من آل سعود، كما أخذ ابن رشيد جميع الأسلحة الموجودة في الرياض، وعين الأمير محمد بن فيصل أميراً على الرياض يساعده ناصر الشمري، وكان من ضمن الإجراءات التي اتخذها ابن رشيد الحصول على جميع الأوراق والسجلات المتعلقة بالدولة السعودية والتي وجدها في قصر الحكم[١١٤].

(١١٣) يوجد بالأرشيف العثماني تقارير عدة عن سعي العثمانيين للبحث عن هذه الوثائق، منها تقارير أعدها السيد فضل العلوي، والشيخ عبدالرحمن إلياس باشا، ورشيد بن ناصر بن ليلى، وهي تقارير طريفة وفيها معلومات سياسية واجتماعية واقتصادية عن الجزيرة العربية تستحق الدراسة. انظر مثلاً: الأرشيف العثماني تصنيف Y.EE. 35/10، يتضمن تقريراً عن أحوال الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي أعده السيد فضل العلوي إلى الصدر الأعظم في ١٨ رمضان ١٢٩٦هـ.

(١١٤) لمزيد من المعلومات انظر: العنقري، المرجع السابق، ص ٨٨-٨٩.

أهميتها:

هذه الاتفاقية وثيقة سياسية على درجة عالية من الأهمية، إذ يندر وجود وثائق سياسية للدولة السعودية الثانية، ويشكل وجود مثل هذه الوثائق فرصة مناسبة للدارسين للوقوف على كيفية عقد الاتفاقيات في الدولة السعودية الثانية، كما أنها توفر معلومات لا تتوافر في المصادر المخطوطة أو المطبوعة، قد تكون داعمة لما جاء في تلك المصادر من معلومات مقتضبة تؤيدها هذه الوثائق بمعلومات تفصيلية، أو تكون تصحيحًا لمعلومات مغلوطة أخذت على أنها حقائق من تلك المصادر؛ لتفيدنا هذه الوثائق بالمعلومات الصحيحة.

كما تعود الأهمية لنشر هذه الاتفاقية بنصها العربي الأصلي إلى أنه لم يسبق أن نشرت من قبل، ولم أقف على من أشار إلى وجودها ضمن وثائق الأرشيف العثماني، ولم تستخدم من قبل في أي من الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوعات البحث المذكورة سابقًا، إلا في مرة واحدة، هي قيام الباحث باستخدام هذه الاتفاقية والوثائق الأخرى المصاحبة لها في رسالته للماجستير ونشر صورة عنها.

ولقد كان فقدان هذه الاتفاقية في الرياض، ونقلها وغيرها من الوثائق إلى حائل ثم إلى إسطنبول سببًا في عدم الوصول إلى سجلات الدولة السعودية الثانية ووثائقها السياسية والدبلوماسية، وقد أشار عرض حكومة المملكة العربية السعودية للتحكيم إلى أن تلك الوثائق والسجلات

فقدت أثناء حكم ابن رشيد للرياض، مما أدى إلى عدم تمكن المملكة من عرض نسخ من تلك الاتفاقية خلال التحكيم[(١١٥)]، علمًا أن العرض البريطاني أغفل بالكامل الإشارة إلى هذه الاتفاقية رغم وجود نسخة من تلك الاتفاقية في أرشيفها[(١١٦)].

كما أن نشر نص الاتفاقية بنصوصها الأصلية؛ يعد تصحيحًا لما كتبه جون كيلي من مغالطات في نشره لمجمل بنود الاتفاقية، إذ إنه ذكر فقرات تختلف عما ورد في النص العربي، وما ورد أيضًا في النص المترجم إلى اللغة الإنكليزية، حيث حرف بعض عباراتها، كما أنه لم ينشر النص الأصلي لها المحفوظ في الوثائق البريطانية، ولم يشر إلى رقم تصنيف الاتفاقية في الحاشية رغم أهمية ذلك[(١١٧)].

ولذلك اعتمد كثير من الباحثين على النقل المشوه عن كيلي دون تمحيص، فعلى سبيل المثال أعاد فاضل حنظل نشر ما ذكره كيلي عن الاتفاقية في كتابه عن تاريخ الإمارات[(١١٨)]، ثم نشرها حنظل مرة أخرى عن كيلي عند تحقيقه لكتاب "عقود

(١١٥) وزارة الخارجية، المرجع السابق، ١/ ٢٢٨، ٤٦١، ٢/ ٣١٣-٣١٤.

(116) United Kingdom, Arbitration Concerning Buraima and The Common Frontier Between Abu Dhabi and Saudi Arabia. Memorial Submitted by the Government of the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland (2 vols), Foreign and Commonwealth office, London: HM Stationary office, 1955.

(١١٧) كيلي، بريطانيا والخليج العربي، ١/ ٧٠٢-٧٠٣. كيلي، الحدود الشرقية، ص ١١٧.

(١١٨) حنظل، المرجع السابق، ص ٥٥٩-٥٦٠.

الجمان في أيام آل سعود في عمان" للشيخ عبدالله بن صالح المطوع[١١٩]، ونقلها عن حنظل العيدروس[١٢٠].

كما نشر الرحالة بلجريف معلومات عن الاتفاقية وذكر بعض فقراتها مثل إقامة حامية سعودية في مسقط[١٢١]، ويبدو أن بلجريف كانت لديه معلومات عن الاتفاقية، لكن كان لديه أيضًا خلط واضح في أسماء الأعلام والأماكن والأحداث، إضافة إلى ذكره فقرات للاتفاقية لم ترد في الاتفاقية الأصلية، مما يضعف من مصداقية المعلومات التي ذكرها، وقد أعاد جمال زكريا قاسم فقرات ومعلومات عن الاتفاقية استقاها من رحلة بلجريف[١٢٢].

أما الدراسات التي تعرضت لهذه الاتفاقية فأغلبها يجملها دون أن يذكر نصها بالكامل أو البنود التي اشتملت عليها[١٢٣]، وبعضها يغفل أو يتعمد إغفال ذكر هذه الاتفاقية

---

(١١٩) المطوع، المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٦.

(١٢٠) العيدروس، محمد حسن: دراسات في الخليج العربي، دار الكتاب الحديث، الكويت، ١٩٩٩م، ٢/ ١١٨-١١٩.

(١٢١) بلجريف، وليم جيفور: وسط الجزيرة العربية وشرقها، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م، ٢/ ٣٢٦-٣٣٢.

(١٢٢) قاسم، جمال زكريا: دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عمان (١٧٤١-١٩٧٠)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٥٤. قاسم، جمال زكريا: تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، العين، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٢/ ١١٣.

(١٢٣) مايترا، المرجع السابق، ص ١٢٣-١٢٥. إبراهيم، صراع الأمراء، ص١٩٣. إبراهيم، أبو ظبي، ص ٩٨-٩٩.

وإهمال ترجمة نصها؛ على الرغم من ترجمته لرسالة الكابتن كامبل المقيم البريطاني في الخليج العربي إلى ماليت كبير سكرتارية الحكومة البريطانية بالهند في ٣ رجب ١٢٦٩هـ/ ١١ مايو ١٨٥٣م والتي ألحق بها نص هذه الاتفاقية(١٢٤)!!.

وصفها:

كتبت الاتفاقية على ورق سميك خشن قليلاً ذي ملمس غير صقيل، هندي الصنع، لونه أبيض مائل للسمرة، قياسه ٣١ × ١٧,٢٥ سم، وعدد أسطرها ثمانية عشر سطرًا، تبدأ بالبسملة، واستخدم في كتابتها حبر أسود فاحم، وخطها أقرب ما يكون لخط الثلث، وبقلم عريض نسبيًا، ويبدو أن ناسخها عماني، حيث تمت مقارنة هذا الخط بوثائق عمانية مختلفة محفوظة ضمن الأرشيف العثماني، وضمن وثائق دار الكتب والوثائق المصرية، ومن خلال كتاب "الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية" للشيخ سلطان القاسمي.

أما لغة الاتفاقية فقد كتبت بلهجة عمانية محلية خالصة، إذ ترد فيها ألفاظ عمانية الاستخدام، وغير متداولة في اللهجة النجدية، مثل كلمة البهطة، وخروس، والبلادين، والقطاط، كما روعي في كتابة الاتفاقية عدم ترك مسافة بين الكلمات، والعناية باستقامة الأسطر، وضبط الهوامش؛ لأهمية ذلك لما يترتب عليه من أحكام سياسية. وقد ختمت الاتفاقية بختم السيد هلال بن محمد البوسعيدي، ولعدم

---

(١٢٤) عبدالله، محمد مرسي: تاريخ الإمارات العربية المتحدة مختارات من أهم الوثائق البريطانية ١٧٩٧-١٩٦٥م، مركز لندن للدراسات العربية، لندن، ١٩٩٦م، ١/ ١٥٩-١٦٦.

وجود مساحة كافية لأختام الشهود، فقد استعيض عن ذلك بتسجيلها خلف الورقة، وهذه النسخة تحمل فقط ختم السيد هلال دون ختم الأمير عبدالله بن فيصل، مما يدل على أنها هي النسخة المسلمة للجانب السعودي، أما النسخة المسلمة للجانب العماني فقد حملت ختم الأمير عبدالله بن فيصل والشيخ عبدالملك بن حسين آل الشيخ(١٢٥).

أما الملحق الأول فقد كتب على ورق شبيه بورق الاتفاقية، وقياسه ١٤,٥ × ٨,٥ سم، وعدد أسطره ستة أسطر، تبدأ بالبسملة، واستخدم في كتابته حبر أسود فاحم، وقد كتب بخط أقرب ما يكون لخط النسخ، وناسخه هو السيد هلال بن محمد البوسعيدي. أما الملحق الثاني فهو مشابه لورق الاتفاقية، وناسخه هو ناسخ الاتفاقية نفسه، وكتب بالطريقة نفسها، أما قياسه فهو ١٥,٥ × ١٠ سم، وعدد أسطره ستة أسطر.

أما منهج النشر فقد اقتضى نشر نصوص الاتفاقية وملاحقها كما وردت دون أي تدخل مني بتصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية لإبقاء النصوص على أصلها، ولأهمية تقسيم النص إلى جمل واضحة فقد أضيفت إليه علامات الترقيم.

---

(١٢٥) (IOR) R 15/1/138 ترجمة نص الاتفاقية المعقودة بين الأمير عبدالله بن فيصل والسيد هلال بن محمد. وهذا النص المقدم للجانب العماني تم نسخ صورة عنه سلمت للجانب البريطاني حيث ترجمت إلى اللغة الإنجليزية، أما النص العربي الذي سلم للعمانيين فليس لدي أي معلومات عنه، ويبدو لي أنه أرسل إلى السيد سعيد بن سلطان في زنجبار، وبقي هناك، ولذلك لا أستبعد وجود هذه الاتفاقية ضمن وثائق الأرشيف الوطني في زنجبار.

نصوص الاتفاقية وملاحقها:

١ - الاتفاقية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، أما بعد فالذي صار عليه القرار والصلح والعهد فيما يصلح ذات المسلمين بين هلال بن محمد وعبدالله بن الإمام فيصل بن تركي، هلال هذا عن ثويني بن سعيد، وعبدالله عن الإمام فيصل، وصار العهد بينهما على طاعة الله وسنة رسوله، وعلى الصحبة والصداقة، وأن يكن الخصيم والصديق واحد، وعلى المعاصبة فيما يخص الطرفين من اللوازم والمناصرة، وشروط هذه الصلح المجدده على ما كان عليه السابق، من خطمة ملاحة مجنب تشريقًا إلى رأس الحد من حجر وباطنه وحجر الريايسة[١٢٦] وما اشتمل عليه من وادي حتى إلى وادي الجزي فهم رعية لبن سعود على حسب ما سبق، وبني علي وبني زيد وبني كلبان صاروا داخلين في صلح ثويني بن سعيد، ومن الجنوب عمان حدها من بهلا مشرق الي ساحل جعلان، وصار القرار ان يسلمون ثويني بن سعيد ورعاياه على هذا الشرط في كل حول اثني عشر الف ريال للإمام فيصل

---

(١٢٦) الريايسة جمع رياسة وهم قبيلة غافرية تسكن الباطنة، وهم سنيو المذهب. مايلز، س. ب.: الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢٦٨.

بن تركي على كل سنة تجب يدفعونها إليه، وبهطه[١٢٧] خمسمايه مون، وخمسة خروس[١٢٨] باروت، ومثلهين رصاص، وتسليمها في موجب كل سنة، ومن غير شيئًا من هذه الرعايا والبلادين فهو في ذمة الإمام فيصل بن تركي، ويلزمه الرجوع والقومه فيه، وصار ذلك القرار على حضرة المشايخ العالم الفقية عبدالملك بن حسين[١٢٩]، والأمير أحمد بن محمد السديري، وعبدالرحمن بن زيد[١٣٠]، وسعيد بن طحنون، وسيف بن علي، وناصر بن علي، وعلي بن صالح، والله خير الشاهدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم. حرر تمام رجب سنة ١٢٦٩ صحيح ما كتب هنا وذالك

---

(١٢٧) البهطة: معناها النفقة، وقيل الرخصة. السالمي، المصدر السابق، ٢/ ٢٥٠. الجامعي، محمود بن حميد: قاموس الفصاحة العمانية (ما حفظته الدارجة العمانية للغة العربية)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٢٤٧. والمراد قيمة تكاليف شراء خمسمئة كيس من المواد الغذائية.

(١٢٨) الخروس: هي وعاء من حجارة أو فخار. الجامعي، المرجع السابق، ص ٨٧. وتستخدم قديما في تخزين بعض البضائع مثل البارود.

(١٢٩) الشيخ عبدالملك بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، درس على الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وتولى القضاء في حوطة بني تميم للإمام تركي بن عبدالله وابنه الإمام فيصل والإمام عبدالله بن فيصل، توفي عام ١٢٨٨هـ، وهو جد آل الشيخ سكان حوطة بني تميم. ابن بشر، المصدر السابق، ١/ ١٨٧-١٨٨، ٢/ ٤٣، ١٢٣، ١٣٢، ١٤٩. ابن قاسم، عبدالرحمن بن محمد: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، د. ن، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ط ٥، ٩/ ٢٢-٢٣.

(١٣٠) عبدالرحمن بن زيد من أتباع آل سعود، وهو جد أمير الرياض محمد بن زيد، وجد عبدالرحمن بن زيد كاتب الإمام عبدالرحمن بن فيصل. معلومات مستقاة من الشيخ عبدالرحمن الرويشد، في يوم السبت ١٤٢٧/١/١٢هـ في الرياض.

بامري وختمي وكتبه هلال بن محمد بيده، (الختم)[١٣١].

شهد بذلك الأمير أحمد بن محمد السديري (الختم)[١٣٢]، شهد بذلك الشيخ عبدالملك بن حسين (الختم)[١٣٣]، شهد بذلك الشيخ سعيد بن طحنون (الختم)[١٣٤]، شهد بذلك عبدالرحمن بن زيد (الختم)[١٣٥]، شهد بذلك علي بن صالح (الختم)[١٣٦]، وشهد بذالك سيف بن علي (الختم)[١٣٧].

٢ - الملحق الأول:

بسم الله الرحمن الرحيم

اقول وانا العبد المعتصم بالله هلال بن محمد انا تقاطينا[١٣٨] والآخ عبدالله ابن فيصل على تسليم ستين ألف ريال فرنسه صلحة حدورهم[١٣٩] عن جميع ما مضى، والمقبل كما هو مرقوم في المكاتبة الذي صار عليها القطاط، وشهد الله وهو خير الشاهدين، وكتبه هلال بن محمد بيده سنة ١٢٦٩الهجرة، ثم الختم[١٤٠].

---

(١٣١) نص ما كتب في ختمه: الواثق بالله الصمد عبده هلال بن محمد.

(١٣٢) نص ما كتب في ختمه: عبده أحمد بن محمد السديري.

(١٣٣) نص ما كتب في ختمه: عبدالملك بن حسين.

(١٣٤) نص ما كتب في ختمه: الواثق بالله عبده سعيد بن طحنون.

(١٣٥) نص ما كتب في ختمه: عبدالرحمن بن زيد.

(١٣٦) نص ما كتب في ختمه: الواثق بالله عبده علي بن صالح.

(١٣٧) نص ما كتب في ختمه: سيف بن علي.

(١٣٨) القطاط: ما اتفق عليه.

(١٣٩) الحدور: المراد به النزول. الجامعي، المرجع السابق، ص ٨٧. والمقصود هو الصلح الناتج عن وصول القوات السعودية.

(١٤٠) وضع ختم السيد هلال بن محمد خلف الورقة.

٣ - الملحق الثاني:

بسم الله الرحمن الرحيم

من هلال بن محمد إلي كافة من يراه من المسلمين وبعد، قد جعلت للأخ عبدالله بن الأمام فيصل الفين قرش من الأخ ثويني بن سعيد بن سلطان يؤديها له كل سنة توجب، وذلك من غير ١٢ الألف الذي لوالده الأمام فيصل بن تركي، وقد عاهدته بذلك على تمام الشروط بيننا واياه، وان يكن عبدالله هذا حاضرتهم عند الامام فيصل، وشهد الله وهو خير الشاهدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم، تاريخ سلخ رجب سنة ١٢٦٩، ثم الختم(١٤١).

(١٤١) وضع ختم السيد هلال بن محمد خلف الورقة.

الخاتمة:

سعت الدولة السعودية الثانية إلى مد نفوذها إلى جنوب شرق الجزيرة العربية وساحل عمان، وإلى المناطق التي سبق للدولة السعودية الأولى الوصول إليها، كما حرص الإمام فيصل بن تركي عند توليه الحكم خلفًا لوالده الإمام تركي بن عبدالله وما شاب فترة حكمه من أحداث على الاهتمام بهذه المنطقة، وعند عودته لنجد وتوليه للحكم للمرة الثانية حرص على تقوية نفوذ الدولة وهيبتها في جميع المناطق التابعة لها، واهتم كثيرًا بتعزيز نفوذ دولته في مناطق جنوب شرق الجزيرة العربية، ولذا فقد كان يعزز هذا النفوذ بإرسال القادة والعلماء والقضاة لهذه المنطقة، وذلك للنظر في أمور الرعية هناك وتنفيذ الإحكام الشرعية، وتدريس العلوم الشرعية فيها.

ونجد أن الاهتمام بالمنطقة كان يمر بمراحل مد وجزر حسب الأحوال العامة للدولة السعودية الثانية، وكثيرًا ما تأثر هذا النفوذ بالمشاكل التي واجهت الإمام فيصل بن تركي، فقد أثر تدخل الشريف محمد بن عون في القصيم وقيامه بحملة على نجد على أوضاع منطقة البريمي نتيجة نقص الإمدادات التي كانت ترسل من الرياض إليها، كما أسهمت ظروف أخرى في ضعف النفوذ هناك.

ولهذا فإن الإمام فيصل بن تركي رأى بعد استقرار الأوضاع في جميع مناطق حكمه واستتباب الأمن فيها إرسال حملة كبيرة بقيادة الأمير عبدالله بن فيصل الساعد الأيمن

لأبيه وأبرز القادة العسكريين للدولة السعودية الثانية إلى البريمي في عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م حيث قوبل بالتقدير والاحترام، وفي أثناء إقامته بها وتفقده لأوضاعها استدعى جميع شيوخ الساحل إليه في قصره الذي بناه في البريمي وهو قصر الخندق، وقد سلم له الجميع بالسمع والطاعة، وقد طالب بعدها سلطنة مسقط وعمان بدفع متأخرات الزكاة والاستمرار بدفعها مستقبلاً، وكانت جميع الظروف والمعطيات في صالح الأمير عبدالله، لكن اختلاف مصالح شيوخ الساحل وتضاربها، إضافة إلى عدم أمن طريق الإمدادات العسكرية والتموينية من الأحساء إلى البريمي، وتدخل البريطانيين لصالح مسقط وعمان، والذين قد أزعجهم الامتداد السعودي وأشعرهم بخطورة الموقف، إذ رأوا في اجتماع شيوخ الساحل عند الأمير عبدالله بن فيصل حطًا من كرامة بريطانيا وذهاب هيبتها، وأن النفوذ السعودي في المنطقة والساحل هو الخطر الذي يواجه بريطانيا مستقبلاً، كل ذلك أسهم في إيجاد ظروف مواتية للصلح، وقد تم هذا الصلح بعد وصول الوفد العماني إلى البريمي واتفاقهم مع الأمير عبدالله على الصلح، وقيام الأمير أحمد السديري والشيخ سعيد بن طحنون في نقل مطالب الدولة السعودية إلى السيد ثويني بن سعيد، واتفاقهم على بنود الصلح التي تلتزم بها مسقط للرياض، والمتمثلة بدفع زكاة سنوية مقدارها اثني عشر ألف ريال فرانسي، إضافة إلى مبالغ متأخرة قدرها ستون ألف ريال فرانسي، كما نصت

الاتفاقية على رسم الحدود بين الرياض ومسقط، وقد شكلت هذه الاتفاقية أطر العلاقة بين الطرفين، واستمر تنفيذها والتقيد بها طيلة حكم الإمام فيصل بن تركي، وهذا يؤكد التزام الإمام بالعهود والمواثيق، وعدم إخلاله بها، كما يؤكد حرصه على استقرار الأوضاع في المنطقة، وتجنيبها مخاطر الحروب والفتن والتي كثيراً ما عانت منه، نتيجة اختلاف المصالح بين القبائل والمشيخات فيها.

ومن هنا نرى أهمية حاجة تاريخ الدولة السعودية الثانية إلى دراسة جادة ومعمقة لسد الثغرات والنقص فيها، ولعل من أبرز ذلك الحاجة الماسة لدراسة العلاقات السياسية للدولة السعودية الثانية، وأهمية البحث عن الاتفاقيات التي قامت بعقدها وإبرامها، والظروف والنتائج التي أسهمت في ذلك، ونشر هذه الاتفاقيات بعد تحليلها ودراستها وفق المناهج العلمية المتبعة.

إن الأرشيف العثماني بإسطنبول وأرشيف مكتب الهند ووزارة الخارجية بلندن وأرشيف ماهاراشترا في بومباي والأرشيف الوطني بزنجبار ودار الوثائق القومية بالقاهرة تضم جميعها وثائق سياسية على درجة عالية من الأهمية للتاريخ السعودي، كما تضم اتفاقيات عدة عقدتها الدولة السعودية الأولى والثانية مع مشيخات الخليج وشيوخ القبائل، وانتهى بها المطاف في أحد هذه الأرشيفات، مما يستلزم مزيداً من العناية وبذل الجهد للبحث والتنقيب عن مثل هذه الاتفاقيات والتي ستبرز جوانب مهمة من التاريخ السعودي

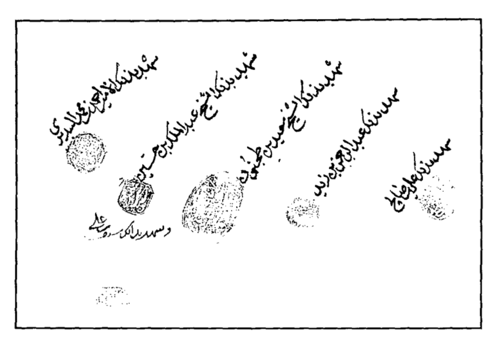
أغفلتها المصادر العامة نتيجة اهتمامها بالعموميات، ويكفي الإشارة إلى أن المصادر أشارت إلى اتفاقيات دون أي تفاصيل عنها، وقد أشير في هذه الدراسة إلى ثلاث اتفاقيات بين الرياض ومسقط والرياض ومشيخات الخليج، ولم يتوافر عنها سوى ما ذكر، رغم يقين الباحث من وجودها في أحد تلك الأرشيفات المشار إليها سابقا، ولعل دراسات لاحقة تكشف مزيداً عن تلك الاتفاقيات، والله ولي التوفيق.

الملاحق

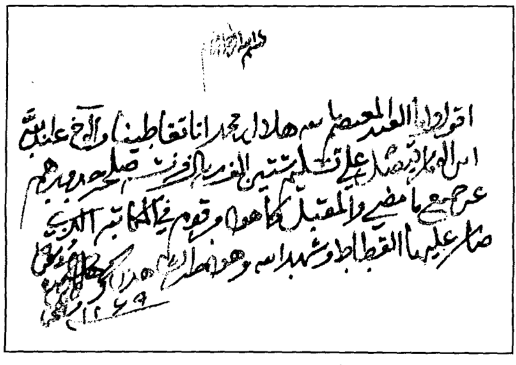
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أما
بعد فالذي صار عليه الإقرار والصلح والعهد فيما يصلح ذات المسلمين بين هلال
بن محمد وعبدالله بن الإمام فيصل بن تركي هلال أصل عن ثويني بن سعيد وعبدالله عن الإمام
فيصل وصار العهد بينهما على طاعة الله وسنة رسوله وعلى الصحبة والصداقة وأن
يكون الخصيم والصديق واحد وعلى المعاصبة فيما يخص الطرفين من اللوازم والمناصرة
وشروط هذا الصلح المجدد على ما كان عليه السابق من خطة ملاحة بجنب الشرقا
إلى رأس الحد من جميع باطنه وجميع البادية وما اشتمل عليه من وادي حتى إلى وادي
الحق فهم رعية ابن سعود على حسب ما سبق وبني علي وبني زيد وبني كلبان وصار وادي الحلين
في صلح ثويني بن سعيد ومن الجنوب [illegible] وهلا منه في الساحل جعلان وصار
القرار يسلمون ثويني بن سعيد ورعاياه على هذا الشرط في كل حول اثني عشر ألف ريال
للإمام فيصل بن تركي على كل سنة يجب يدفعها إليه [illegible] خمسماية [illegible] وخمسة
خروش [illegible] ومثلهن [illegible] يسلمها في وجه كل سنة ومن غير شيئاً من هذه
الرعايا أو البلاد فهو في ذمة الإمام فيصل بن تركي ويلزمه الرجوع والقوم فيه
وصار ذلك الإقرار على حضرة المشايخ العالم الفقيه عبد الملك بن حسين والأمير
أحمد بن محمد السديري وعبد الرحمن بن زيد وسعيد بن [illegible] وسيف بن علي وناصر بن
علي وعلى الله [illegible] خير الشاهدين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
حرر تمام رجب سنة ١٢٦٩ صحيح ما كتب هنا وذا الكلام [illegible] هلال بن محمد [illegible]

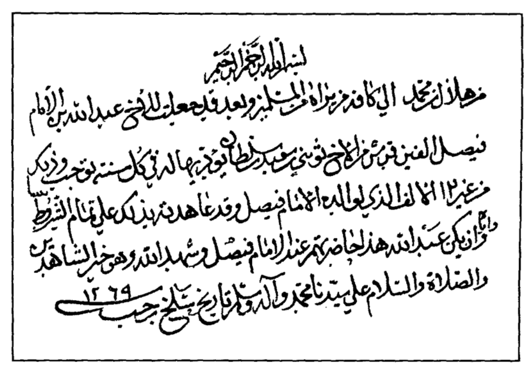
اتفاقية البريمي عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م



أختام الشهود على الاتفاقية

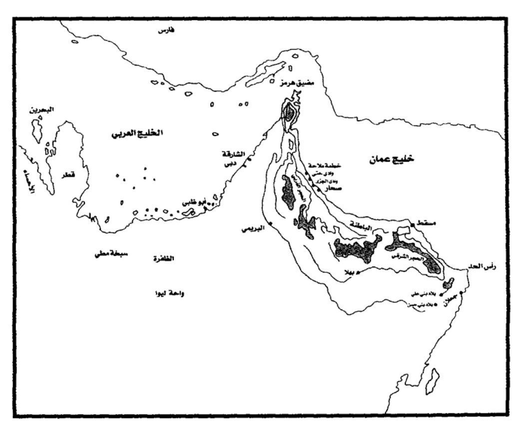


الملحق الأول لاتفاقية البريمي ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م



بسم الله الرحمن الرحيم
من هلال بن محمد الى كافة من يراه من المسلمين وبعد فقد جعلت للاخ عبدالله بن الامام
فيصل الفين قرش من الاخ ثويني بن سعيد سلطان يؤديها له في كل سنة في رجب وذلك
من غير ١٢ الالف الذي لوالده الامام فيصل وقد عاهدته بذلك على تمام الشروط
وان لم يكن عبدالله هذا حاضر يتم عند الامام فيصل وشهد الله وهو خير الشاهدين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم تاريخ سلخ رجب ١٢٦٩

الملحق الثاني لاتفاقية البريمي ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٣م



خريطة تبين أهم الأماكن الواردة في البحث



مَنْ مؤلف كتاب: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؟

د. محمد خير البقاعي
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

ما تزال المصادر الأصيلة تكشف كل يوم معلومات جديدة عن تاريخ الدولة السعودية الأولى، وخصوصاً ما كان منها بعيداً عن أعين الباحثين الذين اكتفوا لسبب أو لآخر بالإشارة إلى بعض تلك المصادر دون أن يطلعوا عليها؛ فجاءت معلوماتهم عنها مجتزأة أو خاطئة في بعض الأحيان.

ومن هذه المصادر في هذا الباب كتاب جان - باتيست - لويس - جاك روسو: Jean-Baptiste-Louis-Jacques Rousseau التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون والنصيريون والإسماعيليون[١].

---

(١) العنوان الفرنسي:
Mémoire sur les trois plus fameuses sectes du Musulmanisme, les Wahabis, les Nosairis et les Ismaélis, par M. R***, Correspondant de l'Institut Royal et Associé de l' Académie des Science, =

لم أجد من استشهد به أو اقتبس منه إلا الدكتور منير العجلاني رحمه الله(٢)؛ فذكره بعنوان "أشهر المذاهب الإسلامية الثلاثة"، وقال: "من أوائل الكتب الفرنسية التي تحدثت عن الوهابية، وقارنتها بالإسماعيلية والنصيرية؛ لتظهر اختلافها عنهما، خلافاً لمزاعم بعض المؤلفين العثمانيين(٣)، كتاب ألفه الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)"، ثم لخص العجلاني بعض ما جاء في الكتاب عن دعوة الشيخ، ونشر صورة فوتوغرافية للغلاف. قال: "كتاب ألفه الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)". وهذا شيء مما كتبه عن الوهابية: "إن نظرية(٤) محمد بن عبدالوهاب بسيطة جداً، فهو يدعو إلى عبادة إله واحد(٥)،



= Belles-Lettres et Arts de Marseille, à Paris chez A. Nepveu, Libraire, passage des Panoramas No. 26. Et à Marseille Chez MASVERT, Libraire, sur le Port,1818.

(٢) في كتابه "تاريخ البلاد العربية السعودية"، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص٣٠٨ - ٣٠٩.

(٣) نجد مثل هذا الادعاء في كتاب أيوب صبري صاحب كتاب "مرآة الحرمين"، الذي وضع كتيباً سماه "تاريخ الوهابيين"، طبع في عام ١٢٩٦هـ في إستانبول، ملأه بالكذب والافتراء، وبدأه بقوله: إن أصول الوهابيين ترجع إلى القرامطة، وغير ذلك...، انظر العجلاني، ج١، ص٣٢٢ - ٣٢٣. وأخبرني الصديق الدكتور سهيل صابان أن الكتاب أعيد طبعه، وصدر عن دار بدر في إستانبول، ١٩٩٢م، ويقع في ٢٨٨ صفحة من القطع الصغير.

(٤) في أصل دونرسيا: مذهب.

(٥) في أصل دونرسيا: الخالق والحافظ.

ويقول: إن الله هو مصدر ما يصيب الناس من خير ومن شر، وإن أحداً لا يستطيع أن يتوسط بين العبد وبين خالقه؛ ليغير القضاء والقدر، وإن الموتى ليسوا أكثر من تراب، فهم لا يضرون، ولا ينفعون، وتوجيه الأدعية إليهم والبناء على قبورهم عبث بل شرك، وقد بدأ النصارى بمثل هذا، وانتهوا إلى أن جعلوا المسيح إلهاً يعبدونه[٦]... وقد أحلت الوهابية أتباعها من رابطة الولاء نحو الخليفة العثماني. وهي تحرم الخمر والدخان، ولكنها تحل القهوة، وتتساهل في أمر الملابس، وأما الشعر وخاصة اللحى فإنهم يقصونه بالمقصات، وهكذا كان يفعل اليهود المتعصبون المتمسكون بعاداتهم القديمة. وهم لا يغسلون أيديهم بعد الطعام حتى يذكر الإنسان دائماً نعمة الله عليه! ويقال: إن الوهابية تتساهل مع المسيحيين أكثر من تساهلها مع المسلمين، وهذا غير صحيح! فقد علمنا أن رجالاً من باريس أرادوا العودة إلى بلادهم بطريق فارس؛ فاستولت على سفينتهم عشيرة القواسم، ولم يستطيعوا إنقاذ حياتهم إلا بالدخول في الوهابية وقبول الختان...، ولما هاجم الإنجليز القواسم استنجد هؤلاء بالباريسيين؛ فاستعملوا الأسلحة النارية ضد الإنجليز، وكان ذلك وسيلة لإرضاء ضمائرهم بمقاتلة أعداء وطنهم أكثر منها وسيلة لاسترضاء القواسم. وأصبح الوهابيون أكثر تسامحاً مع المسيحيين بعد أن اكتشف سعود الكبير أن أهل الكتاب غير ملزمين بتغيير دينهم، وإنما يجب

(٦) هذا تلخيص مخل للصفحة ٢١، وقسم من الصفحة ٢٢ من كتاب دونرسيا.

عليهم دفع الجزية، وفي هذا كسب مادي لم يكن ليزهد فيه!"[٧]، وبحثت عن الكتاب في مكتبات المملكة فلم أجد نسخة منه، ولما وصلتني صورة منه بمساعدة كريمة من سمو الأمير تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود اتضحت لي جوانب مهمة في تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية أحببت أن أنشرها بين الناس.

وكان "ميشو" في كتابه "التراجم الكونية"، و"إدوارد دريبو" في تقديمه لكتاب جان ريمون "التذكرة في تاريخ الوهابيين ودولتهم"[٨] قد تعرضا لقضية شغلت أوساط المستشرقين الفرنسيين في القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) عندما بدأت الأخبار ترد في تقارير الدبلوماسيين الفرنسيين عن الدولة السعودية الأولى وظروف ظهورها. وتنازع أولية هذه المعلومات القنصلان الفرنسيان في حلب وبغداد لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه[٩] (١٧٧٠ - ١٨٣٢م)

(٧) يخلط العجلاني - رحمه الله - بين روسو ودونرسيا، والكلام الذي يورده على أنه لروسو هو في واقع الأمر لدونرسيا في كتابه: نبذة قصيرة عن العرب وطائفة الوهابيين، باريس، ١٨١٨م، ص٢٠ - ٢٦، وهو تلخيص مخل في كثير من المواضع.

(٨) ترجمناه وعلق عليه شيخنا الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، ونشرته دارة الملك عبدالعزيز (كتاب الدارة الخامس)، ١٤٢٤هـ.

(٩) هو لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه: Louis-Alexandre-Olivier de Corance، ولد في باريس عام ١٧٧٠م. وكان ضمن البعثة العلمية الفرنسية التي رافقت حملة نابليون على مصر، التحق بالحملة في عام ١٧٩٩م، ثم أصبح بعد ذلك قنصل فرنسا في حلب، وعضواً =

(١١٨٤-١٢٤٨هـ) الذي نشر نبذة في مجلة "المونيتور"[١٠] عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ)، ثم أصدر عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) كتاباً بعنوان: تاريخ الوهابيين من النشأة حتى عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)[١١]، وجان باتيست - لويس - جاك روسو (١٧٨٠ - ١٨٣١م) (١١٨٤-١٢٤٧هـ)، الذي تحدث عن الوهابيين في تالي كتابه "وصف ولاية بغداد" الذي نشره سلفستر دوساسي[١٢].

ويقول ميشو[١٣]: "إن جان باتيست - لويس - جاك روسو أرخ في هذا الكتاب للدعوة الوهابية حتى عام ١٨١٣

= في المعهد (الأكاديمية الفرنسية) في عام ١٨١١م، وتوفي في أسنيير Asnières عام ١٨٣٢م. انظر لمؤلفاته عدا كتابه عن تاريخ الوهابيين بحثنا: لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه وكتابه: تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى عام ١٨٠٩م [١٢٢٤هـ]، المنشور في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد الخامس/ السنة الثالثة، ذو القعدة ١٤٢٢هـ/ يناير ٢٠٠٢م، ص١٦٥ - ١٩٨.

(١٠) صحيفة فرنسية قديمة، اسمها المونيتور الكوني Le Moniteur Universel، تأسست في الرابع والعشرين من نوفمبر ١٧٨٩م، أسسها شارل - جوزيف بانكوك Charles-Josephe Panckouke، وتوقفت عن الصدور في عام ١٩٠١م.

(١١) ترجمته بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم البلوي بتكليف من دارة الملك عبدالعزيز، ولم ينشر بعد.

(١٢) سلفستر دوساسي من كبار المستشرقين الفرنسيين، المشاركين في الحياة العلمية عن الشرق مشاركة كبيرة، ولد في باريس عام ١٧٥٨م، وتوفي فيها عام ١٨٣٨م.

(١٣) في كتابه: "التراجم الكونية" (النص الفرنسي)، ج٢٩، ص٤٦٤. والتراجم الكونية Biographie Universelle المجلد ٣٦، ص ٦٢٦ - ٦٢٩؛ لجوزيف - فرانسوا ميشو Joseph-François Michaud، محقق ومؤرخ فرنسي ولد عام ١٧٦٧م، وتوفي ١٨٣٩م، كان عضواً في =

(١٢٢٨هـ)". وجاء في كتاب "التراجم الكونية" في ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١٤]: "إن نشر النبذة في تالي كتاب وصف ولاية بغداد، عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)[١٥]، والتذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون، والنصيريون، والإسماعيليون، عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)، لروسو كان موضع نقاش بين القنصلين اللذين يبدو أنهما اقتبسا من المصادر نفسها، ولكن الأسبقية ينبغي أن تُعطى للسيد روسو".

وكنا نشرنا بعض أطراف هذا التنازع، وننشر اليوم رأي روسو الذي كان غائباً وحضر بحضور صورة الكتاب، يقول رسو في مقدمة كتابه: "إن النبذ الثلاث التي سنقرؤها [في هذا الكتاب] سبق لأولاها أن نشرت في ذيل كتاب "وصف ولاية بغداد" الذي طبع عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)؛ أما الثانية والثالثة فقد ظهرتا في عدد المجلة الموسوعية للسنة التالية. إننا ونحن نعيد اليوم نشر هذه المحاولات المتواضعة التي عدلناها وأضفنا إليها إضافات كبيرة، مجبرون على تقديم رد حاسم على اعتراضات السيد كورانسيه الذي استباح

= الأكاديمية الفرنسية لسنوات عدة، أشهر كتبه: تراجم معاصرة ١٨٠٦ - ١٨٠٧م؛ تاريخ الحروب الصليبية ١٨١١ - ١٨٢٢م؛ التراجم الكونية، ١٨١١ - ١٨٢٨م، وهو كتاب تراجم متقن، طبعته الثانية ١٨٥٤م في ثلاثين مجلداً. انظر موسوعة لاروس القرن العشرين، (بالفرنسية)، مج٤، ص٨٥٨.

(١٤) المصدر السابق، مج٢٨، ص٤٦٣ - ٤٦٤.

(١٥) ترجمناه بتكليف كريم من دارة الملك عبدالعزيز وأمينها العام معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري، ولم ينشر بعد.

لنفسه أن ينازعنا حق ملكية المعلومات عن الوهابيين؛ لأنه نشرها قبلنا في صحيفة "المونيتور" عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ).

وإليكم الواقعة: كان السيد كورانسيه قد حصل على معلوماته من ديداغوس فرنجية[١٦] Didagos-Frandjié الذي حصل هو نفسه عليها منا. ولا شك أن هذا النصراني الماروني الحلبي أخفى عن كورانسيه بدافع الغرور الخالص المصدر الذي استقى منه تلك المعلومات، وهذا بلا شك ما دفع زميلنا إلى الوقوع في الخطأ، وهو زميل نعرف على الرغم من كل شيء أمانته وصراحته مما يمنعنا عن اتهامه بالتجني علينا.

اعتمد السيد كورانسيه على شهادة أحد أعضاء المعهد[١٧]؛ ليبرهن على التطابق بين مختصره التاريخي المنشور في "المونيتور" وبين نبذتنا عن الوهابيين[١٨]. وإن ذلك التطابق هو الذي نسوغ به وجهة نظرنا التي قَبِلَها وأكَّدها عضو آخر من

---

(١٦) يقول السيد كورانسيه الذي يسميه دييغو فرنجية Diego Frangé (انظر تقديم كتابه تاريخ الوهابيين، ص ٧): إن هذا النصراني الماروني زوده بتفاصيل غاية في الأهمية عن الوهابيين؛ ولكنه نسي أن يضيف أن تلك المعلومات هي على وجه التحديد ما نشره في "المونيتور" عام ١٨٠٤م. (روسو).

(١٧) Institut de France معهد فرنسا الذي تأسس بموجب المادة ٢٩٨ من النظام التشريعي للسنة الثالثة من تقويم الثورة الفرنسية، وجمع الأكاديميات الثلاث التي ألغيت عام ١٧٩٣م، ونظمه قانون ٣ برمر للسنة ٤. كان يضم ٣١٢ عضواً يقسمون إلى ثلاث فئات: العلوم الفيزيائية والرياضية؛ العلوم الأخلاقية والسياسية؛ الأدب والفنون الجميلة.

(١٨) انظر تقديم كورانسيه نفسه، ص٣.

المعهد نفسه، في الزمن نفسه الذي أثيرت فيه تلك القضية.

وقد أكد ديداغوس فرنجية نفسه ما ذكرناه قبل قليل بتصريح أصيل أرسل في عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) إلى باريس. ناهيك عن أن تذكرته عن الوهابيين بالعربية، وهي تذكرة كتبها كما يعترف بذلك انطلاقاً من ملاحظاتنا نفسها موجودة في حوزة عدد من الأشخاص في حلب؛ ويكفي أن نقرأها بالمقارنة مع المختصر التاريخي الذي نشره السيد كورانسيه؛ لنقتنع بأن ذلك المختصر لا يحتوي إلا على ما هو منقول كلمة كلمة عن تلك التذكرة.

ناهيك عن أن علاقاتنا القديمة والطويلة مع بغداد والبصرة ومسقط، وكذلك مع عرب البحرين ونجد والدرعية نفسها، بالإضافة إلى المعارف المحلية والتسهيلات المتنوعة التي وفرتها لنا إقامتنا التي امتدت لأكثر من عشرين عاماً في تلك البلاد الآسيوية البعيدة، كل ذلك يثبت بما فيه الكفاية أن لدينا قدرة أكثر من السيد كورانسيه على جمع المعلومات موضع النزاع، وهي معلومات لم نكن بكل تأكيد لنوليها أي أهمية لولا أنها أصبحت موضوعاً لتساؤل عام.

إن ما نأسف له كل الأسف أننا وجدنا أنفسنا مجبرين في مواجهة مع زميل كنا نحرص على الدوام على أن نستحق احترامه ورعايته: هذه المواجهة غير المقصودة تجعلنا نشعر بالحزن خصوصاً أنه ينبغي أن نعيد السبب الحقيقي والوحيد لتلك المواجهة إلى تردّد ديداغوس فرنجية، لكي لا نقول: إلى سوء نيته.

إن حديثنا عن كورانسيه يستدعي الحديث عن موضوع السيد ريمون الذي يتحدث عنه كورانسيه[١٩]؛ ديمون الذي حاول من جانبه بسوء نية مقصود، وفي الزمن نفسه أن ينسب إلى نفسه قسماً من الأخبار التي تضمنها كتاب "وصف ولاية بغداد"، ولكنه لما كان لم يروج لادعاءاته فإن اللياقة تفرض علينا أن نتناساها. وليعلم مع ذلك أننا ننوي لاحقاً نشر طبعة جديدة منقحة ومزيدة من ذلك الكتاب (يقصد: وصف ولاية بغداد) الذي يعود زمن نشره - كما ينبغي عليه أن يتذكر - إلى المدة التي سعدنا فيها باستقباله في منزلنا في حلب. وسنحاول الآن أن نفصل القول في التغييرات والزيادات التي تجعل من نبذتنا عن الوهابيين مختصراً تاريخياً أكثر تماماً، ومن ثم أكثر جدارة لنيل إعجاب اثنين من الأكاديميين المشهورين اللذين أراد أحدهما أن يكون ناشر تلك النبذة في عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، وأشار إليها الآخر في عدد المجلة الموسوعية لشهر سبتمبر "أيلول" في السنة نفسها (شعبان ١٢٢٤هـ).

١ - أعدنا صياغة تلك النبذة كلها، (التي سبق أن نشرت في تالي كتاب وصف ولاية بغداد) وصححناها بعناية.

٢ - أضفنا إليها الملحق الأول الذي نشر في العدد الأربعين من حوليات الجغرافيا والأسفار لعام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ).

٣ - وقد أضفنا إلى ذلك الملحق نفسه لائحة بالأراضي الخاضعة للأمير سعود، وهي لائحة نجدها مفصلة في التعاليق المرافقة لكتاب السيد كورانسيه[٢٠].

---

(١٩) المصدر السابق، ص ٧.

(٢٠) تاريخ الوهابيين، ص ١٧٦ و ٢١٤.

٤ - يأتي بعد ذلك مختصر جديد كل الجدة عن أصل الوهابيين وغزواتهم حتى عام ١٢٢٤هـ، وهي قطعة غريبة كل الغرابة، حررناها في حلب اعتماداً على مخطوطة أصلية وصلت من الدرعية.

٥ - ويتلو تلك القطعة ملحوظات خاصة حول عادات الوهابيين وتقاليدهم، مرفقة بوصف مختصر للصحراء والمواشي التي يربونها.

٦ - وهناك في النهاية رواية مختصرة لآخر أحداث تاريخهم العسكري حتى استيلاء القوات المصرية على مكة والمدينة، وهي رواية تنهي النبذة وتتمها على وجه من الوجوه.

لقد أضفنا إلى هذه الطبعة الجديدة ناهيك عن التعاليق والتوضيحات كشافاً أبجدياً للمحتويات، يهدف إلى تسهيل عملية البحث في الكتاب"(٢١).

نجد في هذه المقدمة كثيراً من المعلومات المهمة التي تعيد بعض القضايا التي نشرت إلى سياقها الصحيح في قضية النزاع بين القنصلين حول قصب السبق في الكتابة عن الوهابيين، ونعلم من خلالها أن كورانسيه الذي اعتمد على فرنجية كان مغرراً به؛ لأن هذا الأخير استقى معلوماته من روسو الذي كان له مصادره الخاصة كما سنرى.

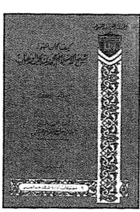
---

(٢١) انظر كتاب روسو: التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون، والنصيريون والإسماعيليون، باريس - مرسيليا، ١٨١٨م، التقديم، ص١ - ٣.

والقضية الثانية المهمة هي قول روسو: إنه نشر في هذا الكتاب مختصراً جديداً كل الجدة عن أصل الوهابيين وغزواتهم حتى عام ١٢٢٤هـ، وهي قطعة غريبة كل الغرابة حررها كما يقول في حلب اعتماداً على مخطوطة أصلية وصلت إليه من الدرعية.

ما عنوان هذه المخطوطة، ومن مؤلفها؟

كان الدكتور عبدالله الصالح العثيمين قد نشر كتاباً بعنوان: "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب" لمؤلف مجهول(٢٢)، وبمقارنة المعلومات الواردة في هذا المختصر بالكتاب المذكور اتضح أنه المخطوطة التي أشار إليها روسو، وقال: إنها وصلت إليه من الدرعية، ولكن المفاجأة الأطرف كانت ما ذكره روسو في كتابه(٢٣) عندما قال ما ترجمته: "مختصر تاريخي عن أصل الوهابية وغزوات الشيخ محمد، وابن سعود، وعبدالعزيز وسعود حتى عام ١٢٢٤هـ[١٨١٠م]؛ حررناه اعتماداً على مخطوطة أصلية وصلت إلينا من الدرعية نفسها، ومؤلفها الشيخ سليمان النجدي [المولود في نجد]".



إذن مؤلف الكتاب هو المدعو سليمان النجدي، وقول روسو: إن ذلك المؤلف مولود في نجد يوحي بأن الرجل كان

(٢٢) في عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(٢٣) في الصفحة، ٢٧.

خارجها؛ لأن لقبه هذا (النجدي) يدل على ذلك. ومما زاد ثقتنا أن الكتاب هو المقصود، عدا عن اتفاق النصوص بين روسو والكتاب المذكور، اتفاق الملاحظة بين الدكتور العثيمين محقق الكتاب[٢٤] وروسو الذي يقول[٢٥]: "لما كان مؤلف المخطوطة قد أهمل كلياً التأريخ للأحداث التي يوردها، ولما كان تدارك مثل هذا يصبح أكثر صعوبة كلما تقدمنا في التحرير فإننا - ولكي لا تختلط الأمور في مجموعة الأحداث التي يوردها متفرقة دون الاعتماد على أي تسلسل تاريخي - سنعمد إلى متابعته خطوة خطوة في سرد الغزوات اللاحقة لسعود وقادته". أما ترجمة سليمان النجدي هذا فذلك شأن آخر ربما تكشفه لنا مقبلات الأيام، ولعل الصفات التي أسبغها عليه الدكتور العثيمين في تقديمه للكتاب تساعدنا في التحقق من شخصيته في بحوث مقبلة.

وكان الدكتور آل زلفة قال[٢٦]: "أما عن طبيعة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيذكر أنه استقاها من كتاب تاريخ ظهور دعوة ابن عبدالوهاب الإصلاحية، بيد أنه يذكر أن هذا الكتاب أصبح في حكم المفقود أو النادر. ويذكر أيضاً أن الخطيب المذكور (يقصد خطيب الإمام سعود) أبدى استعداده لأن يكتب له تاريخاً على غرار ذلك التاريخ المفقود أو النادر، وأشار روسو إلى أنه سيترجمه إلى الفرنسية أو على الأقل يعمل له تحليلاً. وقد أشار الدكتور عبدالله

---

(٢٤) انظر ملحوظات الدكتور العثيمين في مقدمة الكتاب، ص٢٤ - ٢٧.

(٢٥) في الصفحة ٣٢، من كتاب روسو موضوع البحث.

(٢٦) في بحثه الذي سنذكره بعد قليل، ص١٥٠.

العثيمين ضمن قائمة مراجع كتابه "الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره" إلى مخطوطة مجهول مؤلفها بعنوان: "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب" في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٦٠٦١)، ولعل المزيد من الدراسة حول هذه المخطوطة يكشف لنا شخصية هذا الخطيب ومدى علاقته بهذه المخطوطة. وقال الدكتور آل زلفة في حاشية الصفحة المذكورة نفسها من بحثه: "ولعلها [المخطوطة] من إملاء الخطيب الذي أشار إليه روسو على كاتب شامي بناء على طلب القنصل". وما يتضح من الكتاب الذي نتحدث عنه أن المخطوطة التي نقل منها روسو هي الكتاب الذي نشره الدكتور العثيمين، ولم يشر روسو إلى أن للخطيب علاقة بهذا الكتاب، وإنما نسبه لمن دعاه سليمان النجدي كما قلنا.

ثالث القضايا التي يلقي عليها هذا الكتاب ضوءاً هي المعلومات التي نشرها الدكتور محمد آل زلفة في بحثه "الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨ - ١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣ - ١٨١٤م، العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب"[٢٧]. يقول الدكتور آل زلفة[٢٨]: "وما يهمنا في هذه العجالة هو نشر مقتطفات من تقارير لقنصل فرنسا العام في حلب السيد جوزيف روسو، وهي تقارير عثرتُ عليها

(٢٧) مجلة الدرعية، السنة الأولى - العدد الأول، المحرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٨٨م، ص١٤٥ - ١٧٠.

(٢٨) في بحثه المذكور سابقًا، ص١٤٨.

ضمن محفوظات أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية. أول هذه التقارير كتب في بغداد في شهر نوفمبر "تشرين الثاني" من سنة ١٨٠٨م (رمضان ١٢٢٣هـ)، وهو يلقي الضوء على بداية قيام الدعوة، وطبيعتها، وتطورها وانتشارها، ملحقاً به خارطة للدرعية العاصمة الأولى وبيانًا بأسماء المقاطعات والحكام التابعين لحكومة الأمير سعود الكبير، ومعلومات عن المدينة نفسها، أما الخارطة والمعلومات الأخرى فكتبها عند عودته إلى مقر قنصليته في حلب مستقياً معلوماته ممن أسماه بخطيب مسجد الأمير سعود الخاص والذي يذكر أنه قابله في حلب"(٢٩).

وبمقارنة ما ورد من معلومات في تلك التقارير وما في كتاب روسو وجدنا أن التقارير هي المعلومات في حالتها

---

(٢٩) لعل من أن أهم التقارير التي كتبها روسو التقرير الذي أشار إليه لويس بوانسو في مقدمته لرحلة روسو من بغداد إلى حلب يقول: "وفي عام ١٨٠٨م أرسل مؤلفنا إلى الحكومة الفرنسية مخططاً لعبور القوات الفرنسية عبر تركيا وبلاد فارس [لمهاجمة بريطانيا في الهند] مع ملاحظات حول الأماكن والسكان؛ قُدِّم ذلك المخطط إلى الجنرال السفير غاردان Gardanne". وما زالت مخطوطته موجودة اليوم في أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية (وثائق بلاد فارس ١٨٠٦ - ١٨٢٩، رسالة مؤرخة في ١٨ يناير "تشرين الثاني" ١٨٠٨م، ومكتوبة على ورق أزرق).

يثبت هذا المخطط أن نابليون فكر في "مهاجمة بريطانيا في إمبراطوريتها الآسيوية" في وقت يسبق بزمن طويل الرسالة الشهيرة المؤرخة في ٢ فبراير "شباط" ١٨٠٨م التي يعرض فيها على القيصر الروسي ألكسندر غزو الهند "بجيش مكون من خمسين ألف جندي، روس وفرنسيين، وربما بعض النمساويين". وقد عطلت حروب البرتغال وأسبانيا تنفيذ هذا المخطط الضخم الذي ينبغي الاعتراف بأنه لم يلق الحماسة اللازمة في سان بطرسبورغ.

الأولى، ويبدو أن روسو نَسَّقها بعد ذلك، ونشرها في كتابه كما يقول روسو نفسه. وقد وجدنا في التقارير التي نشرها الدكتور آل زلفة اختلافاً في المعلومات عما نجده في كتاب روسو، وبعض تلك الاختلافات غريب، وربما كان مضللاً؛ من ذلك أن الدكتور آل زلفة يذكر في بحثه أن الإمام سعود كان "يخرج لصلاة يوم الجمعة إلى أحد مساجد الدرعية حيث يحضر الصلاة معه ما يربو على عشرين ألف مصلٍّ من الدرعية وخارجها"(٣٠). ولما كتب الدكتور عبدالله المطوع كتابه عن "مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى" وقف أمام هذه المعلومة موقف المتشكك، فأوردها، وقال: "وليت روسو سأل راويته "الخطيب" عن ذلك الجامع الذي يمكن أن يستوعب مثل هذا العدد! ولهذا يصعب قبول مثل هذا العدد الكبير؛ فلابد من إعادة النظر في هذه الروايات وأمثالها من الروايات التي لا تخلو من المبالغة"(٣١). والحق أن روسو لم يقل هذا، وإنما أخطأ المترجم، وعبارة روسو الصحيحة هي: "كل يوم جمعة كان سعود يخرج لأداء صلاتها في أحد المساجد العامة، وكان

وجدنا في التقارير التي نشرت اختلافاً في المعلومات عما نجده في كتاب روسو



---

(٣٠) البحث السابق، ص١٦٢.

(٣١) مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، د. عبدالله بن محمد المطوع، مطبوعات الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٨٨ - ٨٩.

أتباعه في ذلك العصر أكثر من عشرين ألفاً ينتمون إلى كل الطبقات، وفي عيدي الفطر والأضحى كان قادة الأمة كلها يجتمعون؛ فينتقل سعود في موكب رسمي حافل إلى الصحراء لذكر الله العلي القدير متبعاً عادة العرب القديمة"(٣٢).

وهناك اختلافات أخرى كثيرة منها: أن روسو يقول: إن للإمام سعود (٤) بنات، وفي بحث الدكتور آل زلفة هن (٥) بنات، وله حسب روسو (زوجتان)، وهن في بحث الدكتور آل زلفة (٣)؛ ومنازل الدرعية تقدر لدى روسو بـ (٦٠٠٠) منزل، وهي في بحث الدكتور آل زلفة (٢٥٠٠)(٣٣). وفي بقية ما أورده الدكتور آل زلفة اختلاف عما في الأصل(٣٤).

وقد وجدنا الدكتور عويضة بن متيريك الجهني في بحثه: "كتاب موجز لتاريخ الوهابي" للسير هارفرد جونز بريدجز، يقول(٣٥): "من أبرز الكتاب الأوروبيين الذين نقلوا أخبار الدعوة الإصلاحية بشيء من التفصيل إلى أوروبا السيد جان باتيست روسو، الذي شغل منصب القنصل العام الفرنسي

(٣٢) التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام، (النص الفرنسي)، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣٣) وسنشير إلى الاختلافات كلها عند نشر الكتاب بإذن الله.

(٣٤) وسيتضح ذلك عندما ننشر كتاب روسو مترجماً ترجمة كاملة بإذن الله.

(٣٥) المنشور في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد السابع، السنة الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٢٩ - ١٣٠، ١٣٨.

العـام في بغـداد ثم في حلب، والـذي نشـر كتـابه [الصـواب نبـذته] "مـلاحظات تاريخـيـة عن الوهابيين" في عـام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ)، ثم أعاد نشـره ملحقاً بكتابه الآخـر "وصف باشوية بغـداد" في باريس عـام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)... بل إن السـيـد روسو صور الدعوة الإصلاحية بأنها حركة مناهضة للإسلام وخـارجة عن العـقائد الدينيـة، وشبـهـهـا بحـركـة القـرامطة، مردداً بذلك الاتهامات التي كان العثمانيون وولاتهم ينسبونها لأهل الدعوة. ولابد أن السـيـر بريدجز قد قرأ هذه المؤلفات الفـرنسـيـة؛ لأنه وجـه انتـقـاداً لاذعـاً إلى السـيـد روسـو بسـبب الأخطاء الفـادحـة التي وردت في مـؤلفـاته". وأحـال الدكتـور الجهني إلى كتاب كيلي: "بريطانيا والخليج العربي" في نصـه الإنجليـزي، (ص٤٨ - ٤٩)، وإلى كـتـاب بريدجـز في نصـه الإنجليـزي أيضـاً، (ص ١٠٩ و ١١٢)؛ وقال: وقد عـدَّل روسو بعض آرائه في عـام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) حين نشـر مـقـالتـه: "وصف الأقـاليم التـي يسيطر عليـهـا الأميـر سـعـود، الأميـر الحالي للوهابيين"[٣٦].

وفي الكلام خلط بين روسـو وكورانسـيـه؛ لأن نـاشـر النـبـذة عن الوهابيين عـام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ) هـو كورانسـيـه، نشـرهـا في صحيفة "المونيتور"، ثم جاء سلفستر دوساسي ونشر كتاب روسـو "وصف ولاية بغداد" عـام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، وفـي تاليـه نبـذة عن الوهـابيين، فاتهم كورانسيـه روسو بأنه سطا علـى ما

(٣٦) وانظر أيضـاً كتاب "موجـز لتاريخ الوهابي"، تأليف: السيـر هارفـرد جونز بريدجز، ترجمة ودراسة وتعليق د. عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٣٩ - ٤٠.

كان نشره من قبل، ثم ظهر كتاب كورانسيه "تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى عام ١٨٠٩م" (١٢٢٤هـ) في عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) في باريس. أما ما ذكره عن تعديل روسو بعض آرائه في مقالة نشرها عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) فقد كان ذلك في عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) في "المجلة الموسوعية" كما يصرح بذلك روسو في مقدمة كتابه هذا عن الطوائف الإسلامية الثلاث الذي طبع عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)[٣٧]. أما خطيب مسجد الإمام سعود الذي أشار إليه الدكتور آل زلفة فقد نقل عنه روسو كما يقول في كتابه[٣٨] القائمة التي تضمنت الحديث عن البلاد التابعة للأمير سعود الأمير الحالي للوهابيين كما يقول (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، ويتلو ذلك نبذة قصيرة عن شخصية الأمير العربي المذكور التي استقى معلوماته فيها عن إمامه أو مرشده "استخدم روسو كلمة إمامه (إمام بالعربية)، ثم ترجمها إلى الفرنسية بمصطلح يعني بالعربية: مرشده" الذي جاء إلى حلب في شهر سبتمبر "أيلول" عام ١٨٠٩م (شعبان ١٢٢٤هـ). يقول روسو في المذكرة المرفقة بتقريره الذي نشره الدكتور آل زلفة[٣٩] "... وستجد يا صاحب المعالي، أقلّ نسبة ممكنة من الشك في صحة ما ورد عن الوهابية ونفوذهم، والملاحظات التي حصلت عليها لأول مرة معتمداً على خطيب الأمير سعود -

---

(٣٧) وروسو لم ينشر كتابه وصف ولاية بغداد، وإنما نشره سلفستر دوساسي.

(٣٨) النص الفرنسي، ص٢٣.

(٣٩) انظر بحثه الموثق سابقًا، ص ١٦٥.

وقد سبق أن ذكرته في تقريري (من على ضفاف الفرات) - وهو موجود حالياً في حلب. ولعل قدومه إليها للمسارعة في إعادة بعض المواد أو الأشياء التي سرقها بعض عرب الصحراء (البدو) من تجار تلك المدينة. بالإضافة إلى هذا قمت بوضع خارطة للدرعية وضواحيها، رُسِمت على مرأى من الخطيب نفسه، وهو المصدر الذي استَقيت منه هذه المعلومات بناء على موافقته".

ويتحدث روسو في مذكرته عن وجود تاريخ عام عن أصل الوهابية، وتطورها يتكون من جزئين متوسطي الحجم(٤٠)، يقال: "إن مؤلفه واحد من أعقل خطبائهم، ويعد في الوقت نفسه واحداً من أثمن الأعمال التي لم يستطع أحد اليوم العثور عليه في أي مكان من آسيا. لقد طلبت يا صاحب المعالي من الخطيب المشار إليه أعلاه أن يكتب لي على مهل عملاً موثقاً ومماثلاً للنسخة الأصلية لذلك التاريخ المفقود، وبمجرد أن يصبح في حوزتي سأوليه أهمية خاصة، وسأترجمه أو على الأقل أحلله، وعندما أنتهي منه سأبعث به إليكم". ويقول الدكتور آل زلفة في بحثه(٤١): "إن هذا ما جعله يعتقد أن المخطوطة المجهولة المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس، التي حققها الدكتور العثيمين، وطبعتها دارة الملك عبدالعزيز ربما تكون تلك التي أملاها ذلك الخطيب، وبعثها روسو فيما بعد إلى وزير الخارجية الفرنسية، ثم حلت أخيراً في المكتبة الوطنية في باريس".

---

(٤٠) لعله يقصد تاريخ ابن غنام.

(٤١) في حاشية الصفحة، ١٦٦.

ويشير روسو في كتابه إلى كتاب آخر يقول: "إنه كتاب غريب عنوانه: حوار بين الشيخ محمد وابن سعود، مؤلفه هو المدعو الشيخ ملحم الزبيري، وهو كتاب يمكن من خلاله كما يقول التعرف على سمات هذين الرجلين المشهورين، ويعطي فكرة عن عادات الشعب الذي يمثلانه وتقاليده"[٤٢].

إن ما نشره الدكتور آل زلفة هو في واقع الأمر حالة أولى من البحث والتأليف في موضوع التأليف عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والحالة الأخيرة هي ما نشره روسو في كتابه الذي نشر في ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)، وكانت الحالة الأخيرة من تأليفه في هذا المجال، وهي حالة بينت لنا كثيراً من الأمور التي كانت خافية أو مضطربة.

إن ما نشره الدكتور آل زلفة حالة أولى من البحث والتأليف في موضوع التأليف عن الدعوة الوهابية

أما حديث روسو عن خطة للقضاء على الحركة الإصلاحية في عقر دارها فهو ما ذكره قبله جان ريمون الذي كتب مذكرة عن هذا الموضوع في عام ١٨٠٥م (١٢٢٠هـ) إبَّان إقامته في حلب بطلب من السيد روسو الابن[٤٣].

أما ما ذكره الدكتور العجلاني - رحمه الله - من أن روسو "قارن في كتابه هذا بين الوهابية والإسماعيلية والنصيرية؛

(٤٢) انظر كتاب روسو: التذكرة في ثلاث... (النص الفرنسي)، ص٣.

(٤٣) ونجد تفصيل ذلك في كتاب "التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم"، م. س، ص١٠١ وما بعدها.

ليظهر اختلافها عنهما خلافاً لبعض المؤلفين العثمانيين" فهو قول يدل على أنه لم يطلع على الكتاب؛ لأن روسو لم يقم بأي مقارنة، وإنما نشر في كتابه هذا بحثين له عن الطائفتين كان أرسلهما منفصلتين إلى باريس عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ)، وأعاد نشرهما في هذا الكتاب مع بعض التعديل.

إن المصادر الفرنسية[٤٤]، كلما تقدمنا في الحصول عليها والنظر فيها، ما زالت تبوح لنا بكثير من الأسرار عن تاريخ الدولة السعودية الأولى عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية؛ مما يضيء كثيراً من الأمور الغامضة، ويدقق بعضها الآخر المضطرب، وسيحتوي على كل هذا كتابنا الذي يشغلنا تأليفه هذه الأيام بالعربية والفرنسية.

---

(٤٤) أشار بوركهارت في كتابه: ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة غاندي المهتار، نشر مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٦١ إلى رسالتين لروسو عن الوهابيين، وجاء في حاشية الصفحة أن الرسالة الأولى "وصف ولاية بغداد" والأخرى "مناجم الشرق؟". قلت: وفي الكلام تعميم كبير وخطأ؛ فوصف ولاية بغداد مذيل بنبذة عن الوهابيين، و"مناجم الشرق" مجلة نشرها هامر في فينا، عنوانها:

Les mines de l'orient, M. Hammer

وفيها وصف لولاية حلب من تأليف روسو، وقد ظهر وصف ولاية حلب بعد ذلك في كتاب روسو، أمشاج في التاريخ والأدب الشرقي، باريس، ١٨١٧م،

Mélanges d'histoire et de littérature orientale, Paris, 1817.

انظر مقدمة لويس بوانسو لنشره رحلة جان - باتيست روسو من بغداد إلى حلب، باريس ١٨٩٩م، ص١٣ من المقدمة (بالفرنسية)، وهي مقدمة ترجمناها ونرجو أن تنشرها مجلة الدارة الغراء.

الكشاف التحليلي

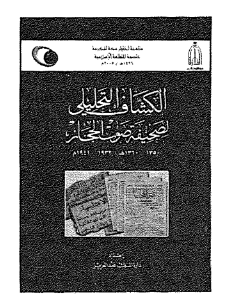
لصحيفة صوت الحجاز

١٣٥٠ - ١٣٦٠هـ / ١٩٣٢ - ١٩٤١م

إعداد

دارة الملك عبدالعزيز

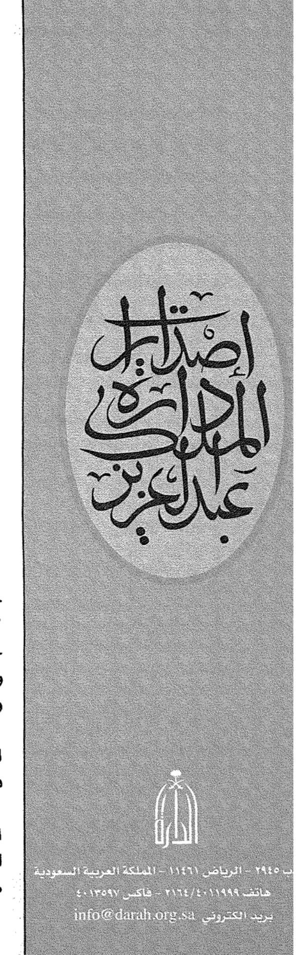
٥٤٤ صفحة



كشاف للمواد المنشورة في صحيفة صوت الحجاز خلال مدة صدورها التي بلغت عشر سنوات بدءًا من ١٣٥٠/١١/١٧هـ إلى أن توقفت عن العمل، ويشتمل على جميع الموضوعات التي كانت تنشر فيها من أخبار وخطب ومقالات متنوعة وغيرها إلى جانب الأوامر الملكية والإعلانات الرسمية الصادرة في ذلك الوقت.

وقد رتبت مواد الكشاف على سنوات الصدور، وأرقام الأعداد، وتم تحديد موضوع المادة، ورقم الصفحة المنشورة فيها، وإيراد نبذة يسيرة عن مضمونها.

والهدف من إصدار هذا الكشاف هو أن ييسر على الباحثين والمهتمين سبيل الاطلاع على محتويات تلك الصحيفة التي تعد رائدة من رواد الإعلام لكونها أول صحيفة أهلية تصدر في المملكة العربية السعودية.



زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود إلى مصر ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م

التاريخ من خلال النصوص

د. يعقوب يوسف الغنيم
الكويت

المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في غير حاجة إلى من ينوه به ويعيد ذكر سيرته، فما كتب عنه في الكتب والصحف كثير، وفوق ذلك فإن سيرته وكفاحه في سبيل توحيد الجزيرة العربية على كل لسان، أما أسلوبه في الحكم واهتمامه في الداخل وعلاقاته مع الخارج فهو مثل يحتذى. لذا فإن ما أُقَدِّمُه الآن ليس القصد منه إعادة الحديث في سيرة هذا الرجل الهمام، ولكنني اطلعت بإشارة من أخي الدكتور عبدالله يوسف الغنيم على قصيدة رائعة نظمها الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل، ونشرتها مجلة الرسالة الشهيرة، وهي تعبير عن مناسبة مهمة، جرت فيها إحدى المهمات التي اضطلع بها الملك عبدالعزيز، حين زار مصر في سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ملبيا دعوة ملكها فاروق

الأول الذي كان قد زار المملكة العربية السعودية زيارة أخوية، تركت أثرها في نفس كل من الزائر والمزور.

سوف يأتي هنا الحديث المفصل عن هذه الرحلة، وعن نتائجها وما كتب عنها؛ لأنها تشكل حدثاً مهمًا كان له أثر طيب في تقوية أواصر العلاقة بين المملكتين الشقيقتين، ثم يأتي بعد ذلك إثبات للقصيدة كاملة مع بعض الإيضاحات حولها، وسوف يرى القارئ - إن شاء الله - أنها تستحق أن تكون دافعا إلى هذا العمل المتمثل في المقال الذي بين يديه لما تحويه من معان جميلة وألفاظ رائعة، ونفس شعري قوي لا يُستغرب مثله على الشاعر محمود حسن إسماعيل، وإذا لُوحظت هنا بعض الاستطرادات فهي في مجالات لابد منها، فالحدث يستحق منا أن نقف أمامه متأملين، وأن نلم بأطراف الأحاديث التي دارت حوله، وهي وإن كانت مذكورة في عدد من المراجع إلا أن جمعها وتصنيفها معا في موقع واحد سوف تكون له فائدة بإذن الله. أما التوسع في هذا الموضوع المهم فهو مجال مفتوح أمام دارسي التاريخ وكُتّابه، وأمام العاملين في مجال الدراسات السياسية، فهناك موضع لحديث آخر يختلف عما نحن بصدده، إذ إن لكل باب من أبواب المعرفة أهله الذين اختصوا به وبدراسته، وهذا هو سر ابتعادي عن التحليل والتفصيل، فما قدمته هنا لا ينبغي أن يؤخذ في غير ما كتب من أجله.

وأنا في الختام أعتذر عن كل تقصير، وأرجو أن يتهيأ لمثل هذا الموضوع الذي طرقته من ينظر في موضوعات أخرى لها

السمات التي توافرت هنا؛ فيقوم بعمل مشابه يكون عونا للباحثين في المجالات التاريخية والسياسية وغيرها.

مدخل

كانت الحرب العالمية الثانية قد ألقت أوزارها، واتجه الملك عبدالعزيز إلى ملاقاة الرئيس الأمريكي روزفلت في البحيرات المرة بقناة السويس، مصر. وكان لقاؤهما في الساعة العاشرة من صباح اليوم الرابع عشر من شهر فبراير لسنة ١٩٤٥م (١٣٦٤/٣/٢هـ). وهناك تفصيل كثير لهذا اللقاء أورده خير الدين الزركلي في كتابه "شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز"[١]، والمهم لدينا أن نشير إلى أنه بعد انتهاء الحرب بدأت في المملكة العربية السعودية مرحلة أخرى من البناء الداخلي وإقامة العلاقات مع الدول، وهكذا وجدنا أثر ذلك في الزيارتين المتبادلتين بين الملكين عبدالعزيز وفاروق، ولعل من المهم أن نذكر هنا أن الملك عبدالعزيز لم يخرج إلى زيارة بلد فيما عدا بلدان الجزيرة العربية منذ تولى الحكم إلا مصر التي زارها مرتين: أولاهما للاجتماع بالرئيس الأمريكي، والثانية الزيارة التي هي موضوع حديثنا، وهي كما أسلفنا ردّ على زيارة الملك المصري فاروق للمملكة.

ومن ضمن الأحداث التي كانت تدور في المملكة خلال سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) (سنة الرحلة إلى مصر) زيارة اللجنة البريطانية الأمريكية الخاصة ببحث قضية فلسطين، وهي القضية التي كانت شغل الملك الشاغل، وقد لقي هذه اللجنة

(١) نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.

بقصره في الرياض في اليوم التاسع من شهر مارس لسنة ١٩٤٦م (١٣٦٥/٤/٦هـ). وكان مما قاله للجنة[٢]: "وإني لعلى يقين أولا من أن اليهود الصهيونيين لا يدخرون وسعاً في إحداث الاختلافات بين العرب وصديقتيهم بريطانيا وأميركا. وهذا يتجنبه العرب ولا يريدونه. وثانيا: أن هجرة اليهود إذا استمرت على ما هي عليه، وتوسعت أملاكهم في فلسطين؛ فسيكونون خطراً على العرب كافة؛ لأن لديهم جميع الوسائل لإمدادهم بالأسلحة والنقود وغيرها. وسيستعملون هذا ضد العرب. وفيه، في الوقت نفسه، إشكال على البريطانيين. والدليل على هذا ما رأته اللجنة عند زيارتها لفلسطين. هل رأت اللجنة حال العرب وحال اليهود؟ هل رأت اليهود في ترفهم ومساكنهم وسلاحهم وأموالهم وقوتهم. ورأت العرب أصحاب البلاد الشرعيين، وما هم عليه من الفقر والعوز؟ ألم يصرح اليهود للجنة بأنهم أصحاب زراعات وأملاك؟ وأنهم يعملون ويصلحون على نقيض ما يفعله هؤلاء الأشقياء؛ ويعنون بذلك العرب؟ إذا أرادت اللجنة أن تسأل عن أسباب ذلك فإني أخبرها بالأسباب التي أوصلت الفريقين إلى ما هم فيه".

وإثر صدور توصيات اللجنة التي لم تكن في صالح العرب قام الملك عبدالعزيز بإجراء اتصالات عالية المستوى يعترض فيها على ذلك، منها مراسلاته مع الرئيس الأمريكي هاري ترومان التي عبر فيها عن الموقف العربي أصدق تعبير، وقد

---

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٥٢.

سبقته أخبار منها إلى مصر قبل الذهاب إليها في زيارته الثانية سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وتركت في نفوس أبنائها آثاراً، منها التقدير للمواقف التي وقفها في سبيل أمته إضافة إلى ما له من تقدير بصفته موحداً للمملكة العربية السعودية تحت راية واحدة، وقد بدا جليا ما في النفوس حين كان المصريون العاديون يهتفون لموكبه حين يمر في شوارع القاهرة ضمن برنامج الزيارة، ويدعون له بطول العمر، آملين أن يواصل هذه المسيرة المباركة، فكانت جهوده بارقة أمل في ظل الظروف المأساوية التي كان يشعر بها جميع العرب بعد أن تطورت قضية فلسطين إلى الأسوأ، وسارت في طريق مظلم يحتاج إلى مواقف بطولية، ومنافحة عن الحق العربي بكل الوسائل.

كانت جهوده بارقة أمل في ظل الظروف المأساوية التي كان يشعر بها جميع العرب

كان الجو العام في مصر مجالا لعمل الملك فاروق المنفرد، وكان ممسكا بزمام الأمور في وطنه متفرداً دون حكومته بكثير من القرارات، وكان منشغلا بأمور كثيرة داخلية وخارجية، وفي سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) كانت له سياسة عربية متعددة الجوانب، ومن ذلك أن يسعى مُستَغلا الاحتفال بالذكرى الأولى لتأسيس جامعة الدول العربية، فيحضر الاحتفال على غير توقع، ويلتقي بممثلي الدول سائلا عن أحوالهم بلداً بعد بلد، ثم نجده من جانب آخر يهتم بنتائج تقرير لجنة التحقيق الأنجلو ـ أمريكية الذي صدر في أواخر شهر أبريل لسنة ١٩٤٦م (جمادى الأولى ١٣٦٥هـ)، وهو تقرير جاء

لغير مصلحة العرب، ومن هنا قام الملك المصري بإرسال رسائل إلى عدد من رؤساء الدول العربية حول هذه القضية، مضيفا إليها المسألة الليبية، ونجده أيضا - وقد وجد عدم جدوى الرسائل - يقوم بدعوة الرؤساء العرب إلى مؤتمر عقده في منطقة إنشاص، وكانت أولى جلساته في اليوم الثامن والعشرين من شهر مايو لسنة ١٩٤٦م (٢٧/ ٦/ ١٣٦٥هـ)، وألقى فيه فاروق كلمة الافتتاح، ثم نراه في السنوات الثلاث اللاحقة يتابع عدداً من المهام ذات العلاقة بالمصالح العربية.

ولذا فإننا نستطيع أن نقول: إن زيارته لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ولقاءهما عند سفح جبل رضوى، وزيارة الملك عبدالعزيز له في مصر رداً على الزيارة الأولى إنما هو استمرار لمسيرة حرص الملك المصري على اتباعها، ووجد عند الملك السعودي رغبة صادقة في العمل العربي، فالتقت رغبة كلا الرجلين. وهو ما عبرت عنه الرسائل المتبادلة بينهما إثر كل من الزيارتين.

الملكان

تشير قصيدة الشاعر محمود حسن إسماعيل التي سننشر نصها في نهاية البحث إلى زيارتين متبادلتين بين عاهلي المملكة العربية السعودية، والمملكة المصرية، وسوف يأتي تفصيل ما جرى في هاتين الزيارتين فيما بعد، ولكننا هنا نسوق نبذة يسيرة عن الملكين اللذين تبادلا تلكما الزيارتين:

أولا: جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - الرجل الغني عن التعريف، فهو مؤسس المملكة

العربية السعودية وجامع شمل جزيرة العرب، له في ضمير أبناء الأمة العربية تقدير لا يضاهى، وله في التاريخ سجل يُخلِّدُ أفعاله الطيبة التي قدمها لوطنه ولأمته.

كانت المملكة العربية السعودية وما تزال محط أنظار العرب، يفد إليها المسؤولون من مختلف الأقطار العربية كلما اكفهر الجو السياسي، فيجدون فيها الحكمة، ويحصلون منها على الدعم والمساندة، وهذا هو موقفها من القضايا العربية كافة، فمنذ أسسها مؤسسها وهي تسير على الطريق الذي اختطه، وما هذه الرحلة التي نتحدث عنها هنا إلا نموذج لما سار عليه الملك عبدالعزيز آل سعود؛ ولذا أخذت من الاهتمام الشيء الكبير، وسوف نرى أثر ذلك في الكتابات الكثيرة التي سُطِّرت حولها من جوانب عدة؛ تاريخية وتحليلية واستنتاجية، منها ما جاء في كتب مؤلفة، ومنها ما جاء في صحف سيَّارة. وكلها تدل على أهمية التحرك الملكي السعودي في ذلك الوقت الذي كانت النذر فيه تحيط بالأمة العربية، وخاصة بفلسطين حين كانت الصهيونية تنسج خيوط المؤامرة وقتها من أجل إنشاء الوطن اليهودي، الذي أنشأته فيما بعد على الأرض العربية المسلمة.

كانت الأحداث خطيرة، وكانت المهمة التي بادر إليها الملك عبدالعزيز كبيرة وحاسمة.

ثانيا: الملك فاروق الأول بن أحمد فؤاد الأول بن إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، أبوه الملك وجده الخديوي، وجده الأعلى محمد علي باشا مؤسس الدولة العلوية في مصر.



اعتلى الملك فاروق عرش مصر في سنة ١٩٣٦م (١٣٥٥هـ)، وأرغم على التنازل عن الحكم في سنة ١٩٥٢م (١٣٧١هـ) لولده الأمير أحمد فؤاد الثاني الذي كان طفلا وقتذاك، وبعد فترة يسيرة غُيِّر نظام الحكم في مصر إلى النظام الجمهوري، وخُلع الابن هو الآخر. وتوفي الأب في روما سنة ١٩٦٥م (١٣٨٥هـ). قيل عنه وعن فترة حكمه حال حياته شيء، وقيل بعد خلعه ووفاته شيء آخر. ولكن العلم عند الله، وفي وصيته بأن يُدفن في المدينة المنورة بعد وفاته دلالة على تمسكه بدينه على الرغم من كل ما قيل.

كانت زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود لمصر في سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) معقبة لحدثين مهمين على المستوى العربي وعلى المستوى الثنائي السعودي المصري. فقد كانت في أعقاب زيارة الملك فاروق الأول للمملكة العربية السعودية، واجتماعه برضوى مع الملك عبدالعزيز.

وكان اجتماع رضوى الذي أشرنا إليه أثناء حديثنا فيما سبق، هو اجتماع تم بين الملك عبدالعزيز، والملك فاروق على سفح جبل رضوى الواقع في محافظة ينبع بمنطقة المدينة المنورة، وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر صفر لسنة ١٣٦٤هـ الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٤٥م. وقد كان اجتماعا أخويا احتفى الملك عبدالعزيز خلاله بضيفه احتفاء كبيراً، وكان فرصة مهمة لتقوية أواصر المحبة والأخوة لا بين العاهلين فحسب، بل بين البلدين والشعبين. وقد أقيمت المآدب وحفلات العرضة التي شارك

فيها الحاضرون من أمراء وغيرهم، وارتدى الملك فاروق الزي السعودي في إحدى المآدب تقديراً لمضيفه.

ولعل من أهم الدلائل على نجاح هذا الاجتماع وسعادة الملك عبدالعزيز بما تم خلاله من تبادل الثقة وتقوية الأواصر الأخوية تلك البرقية التي بعث بها إلى الملك فاروق معبراً له عن تلك المشاعر قائلا فيها[٣]: "في اللحظة التي بلغ مسامعي نبأ وصول جلالة الأخ الكريم إلى عاصمة بلاده الشقيقة الكريمة بالصحة والسلامة، أبعث لأخي العزيز بتهنئتي القلبية بسلامة الوصول، منوِّها بالأثر العظيم الذي تركه في نفسي وفي نفس شعبي تفضلكم العظيم بهذه الزيارة الكريمة، وإن ما لاقيته من حسن شمائل الأخ، وما شعرت به من السرور لما تأيد بيننا في هذا الاجتماع المبارك من التآخي والمودَّة، يزيد غبطتي وسروري بذلك التلاقي الذي كان من حوادث التاريخ المهمة في تأييد العلاقات بين بلدينا وبيتينا، بل كان دعامة في تأييد أواصر المودة الإسلامية".

وللأثر الكبير لهذه الزيارة في نفس الملك فاروق فقد صار يعد حضوره إلى المملكة العربية السعودية لا يحتاج إلى مقدمات ولا ترتيبات، فهو يأتي إلى بيت أخ له وجد فيه كل الصفات الكريمة التي يمكن أن تجتمع في إنسان. ولذلك فإن ملك مصر عندما كان في رحلة بحرية يجوب بها البحر الأحمر على متن يخته الشهير المسمى بـ (المحروسة) وجد

(٣) عبدالحميد الخطيب، الإمام العادل، ص ٤٣٧.

نفسه يتجه إلى ميناء جدة، حيث وصل في صباح يوم الخميس الموافق لليوم العشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٥م (١٦ المحرم ١٣٦٥هـ)، وكان قدومه مفاجئا للحكومة السعودية، ولم يكن الملك عبدالعزيز موجودا حيث وصل الملك الضيف، فقام بالمهمة ممثله وزير الدفاع الأمير منصور بن عبدالعزيز، وأرسل الملك عبدالعزيز برقية ترحيب بهذه الزيارة التي أصَّلت المودة بين العاهلين، وكان لها أثرها في الحدث الذي سوف نتناوله فيما بعد، وهو الخاص بزيارة ملك المملكة العربية السعودية لمصر(٤).

أما الحدث الثاني فهو قيام جامعة الدول العربية في اليوم الثاني والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٤٥م (٨ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ)(٥)، إذ عقد في القاهرة بقصر الزعفران اجتماع ضم مندوبين عن الدول العربية، وتوصل هذا الجمع إلى صياغة ميثاق الجامعة، وصُدِّقَ عليه فيما بعد، وأبرم من قبل رؤساء الدول العربية ومنهم الملك عبدالعزيز.

فكانت الزيارة الملكية السعودية، تأكيداً لما احتوى عليه الميثاق من ضرورة التواصل بين مختلف البلدان العربية، ولا سيما بين رؤسائها، وتقوية للجامعة العربية وهي تسير في أولى خطواتها. ومن هنا تكتسب الزيارة المرتقبة أهميتها، ومن هنا تحصل دوافعها.

---

(٤) عبد الحميد الخطيب، الإمام العادل، ص ٤٥٢ - ٤٥٣، ١٩٩٩م، بتعليق د. فهد بن عبدالله السماري.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٤٣.

لقد حظيت هذه الزيارة باهتمام كبير على المستوى السياسي لا في مصر وحدها فحسب، بل في البلدان العربية على الأخص والبلدان الأوروبية ذات العلاقات مع الدول العربية كذلك. وكان لها اهتمام كبير على المستوى الإعلامي، ولا سيما الجانب الصحفي منه، إذ كانت الصحافة هي أبرز وسائل الإعلام في ذلك الوقت.

وكان اهتمامها دليلا على ما تعلقه الأمة العربية والإسلامية على هذا التواصل بين بلدين شقيقين، وكانت صحف القاهرة ومجلاتها أكثر اهتماما بهذه المناسبة المهمة، وقد حفظت الأحداث حفظاً جيداً، فكانت كتاباتها سجلا تاريخيا قوي الدلالة.

ثلاثة رجال في صميم الحدث

مرت بنا خلال هذا العمل أسماء مهمة في دنيا الأدب، هم: أحمد حسن الزيات، وعباس محمود العقاد، ومحمود حسن إسماعيل، وكلٌّ منهم علم في مجاله.

أما أحمد حسن الزيات (١٨٨٥-١٩٦٨م) فقد كان كاتبا صحافيا من الطراز الأول مصري الجنسية، مولود في قرية من قرى محافظة الدقهلية. وقد درس في الكتّاب كغيره من أطفال زمنه ثم دخل الأزهر. وبعد عشر سنوات فيه ظهر ميله للأدب، وكان من حسن حظه وجود ثلاثة علماء عدوا من علماء العصر آنذاك، هم الشيخ محمد محمود الشنقيطي، والشيخ محمد عبده، والشيخ سيد المرصفي، وقد احتضنه هؤلاء وشجعوه، إضافة إلى أنه تتلمذ على يد بعض

كبار المستشرقين. شُغل بعد ذلك بالتدريس، ولكنه واصل دراسته، فتخرج دارساً للغة الفرنسية بدرجة جامعية هيأت له فرصة العمل رئيسا لقسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لمدة سبع سنوات، انتهت في سنة ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ). وكان عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، وكان عضوا في لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، وهذه اللجنة من أهم ما زود المكتبة العربية بالكتب القيمة، بفضل العلماء من أعضائها.

أسس أحمد حسن الزيات مجلة "الرسالة" في سنة ١٩٣٢م (١٣٥١هـ)، وهي مجلة ثقافية ذاع صيتها، وأقبل عليها القراء، وكان من كتابها عدد كبير من أدباء مصر والأقطار العربية الأخرى يضيق المجال عن ذكر أسمائهم جميعا، ويكفي أن نذكر منهم مصطفى صادق الرافعي، ومحمود محمد شاكر، وأحمد أمين، وطه حسين، وعلي الطنطاوي، وقد استمر صدور المجلة لمدة عشرين سنة.

للزيات عدد من المؤلفات منها "من تاريخ الأدب العربي" و"في أصول الأدب" و"دفاع عن البلاغة" وكتب أخرى في النقد مع ترجمات من الأدب الفرنسي(٦).

وأما عباس محمود العقاد فهو أشهر من أن يُعرّف، إذ هو من أئمة الأدب، وأعمدة الثقافة، وما تزال آثاره مقروءة، يقبل عليها الكثيرون، ولد في سنة ١٨٨٩م، وتوفي في سنة

---

(٦) الموسوعة العربية العالمية، المجلد ١١ ص ٦٧٥.

١٩٦٤م، وكان من كتاب مجلة الرسالة البارزين. لم يكن قد تلقى تعليما عاليا عندما بدأ حياته العملية، ولكنه علَّم نفسه بالإقبال الشديد على القراءة ومجالسة العلماء، ولم يكتف بذلك، بل تعلم عدداً من اللغات أجادها قراءة وكتابة. وقد بدأ عمله موظفا صغيراً في السكة الحديدية، ثم في وزارة الأوقاف، ثم في التدريس بإحدى المدارس الابتدائية، انقطع بعدها عن العمل؛ ليتفرغ للكتابة التي أقبل عليها إقبالا منقطع النظير، شجعه على ذلك رغبة قوية واطلاع واسع، وترحيب كبير من القراء. كتب في الصحف، وأصدر الكتب، وظل لامعا في مجاله طوال خمسين سنة أَلَّفَ خلالها ثلاثة وثمانين كتابا، أبرزها العبقريات. كما أنه شاعر له ديوان طبعه تحت عنوان "ديوان العقاد" ومجموعة شعرية أطلق عليها اسم "بعد الأعاصير"، وكان عضوا في مجامع اللغة العربية الثلاثة التي كان أحمد حسن الزيات عضوا فيها، ودافع عن اللغة العربية دفاعا سحق به المتربصين بها(٧).

وثالث هؤلاء محمود حسن إسماعيل الشاعر الشهير الذي عرفت أشعاره في الوطن العربي كله، وشارك في كثير من المهرجانات الشعرية في عدد من البلدان، إضافة الى أنه أنتج عدداً من دواوين الشعر، منها "أين المفر؟"، و"نار وأصفاد"، و"قاب قوسين" و"أغاني الكوخ" وغيرها. ثم بعد وفاته صدرت أشعاره في مجموعة شاملة عن دار سعاد الصباح بالكويت.

(٧) الأعلام، خير الدين الزركلي، مجلد٣ ص ٢٦٦.

ولد محمود حسن إسماعيل في أوائل القرن العشرين الميلادي، في أسرة فقيرة كانت تعاني من ويلات العوز وقسوة المعيشة، ودرس في القاهرة بكلية دار العلوم التي تخرج فيها في سنة ١٩٣٧م (١٣٥٦هـ)، وقد برز في مجال الشعر من خلال الأنشطة الأدبية التي كانت تقام في كليته، فنظم قصائده المعروفة الأولى في أثناء دراسته، وتفتحت شاعريته أكثر بعد تخرجه، ونشر الكثير من قصائده في صحف تلك الأيام، ولا سيما "مجلة الرسالة"، إلى أن بدأ في إصدار دواوينه، فاكتسب شهرة كبيرة وتقديراً لدى القراء والنقاد، وقد كتبت عنه أبحاث ومقالات كثيرة، كما صدرت كتب عدة تتحدث عنه وعن عالمه الشعري وأساليبه في كتابة الشعر. ومن تلك الكتب: "التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل" لمصطفى السعدني، و"محمود حسن إسماعيل: مدخل إلى عالمه الشعري" لعبدالعزيز الدسوقي، و"شعر محمود حسن إسماعيل: محاولات للتذوق الفني" لأنس داود، وأخيراً كتاب "محمود حسن إسماعيل: نثرياته، غنائياته، وأشعاره المجهولة"، من إعداد ابنته سلوان وعزت سعد الدين.

هذا وقد اشتهر هذا الشاعر في خارج مصر عندما تُرجم ديوانه "أغاني الكوخ" إلى اللغة الروسية، وعندما قدم قصيدته "السلام الذي أعرف" في مهرجان الشعر العالمي الذي تمت إقامته في مدينة "ستروجا" اليوغوسلافية، وكان ممثلا للشعراء العرب، وقد ترجمت إلى لغات عدة. وعلى الرغم من أن قصيدته هذه طويلة وملحمية فقد استمع الحاضرون في المهرجان المذكور إليه وهو يلقيها بكل اهتمام

وتقدير للمستوى الفني الراقي الذي قدمه الشاعر العربي المبدع من خلالها[٨].

وقد كتب الشاعر محمود حسن إسماعيل ملحمة رائعة تليق بمناسبة الزيارة وبالزائر الكبير، نشرها في مجلة الرسالة تحت عنوان "عاهل الجزيرة في وادي النيل" مطلعها:

حادٍ من البيد هَزَّتني قوافلهُ   والنيلُ يُصغي إليه أو يُساجلُه
يُلقي الغناءَ حجازيّاً فتحسبُهُ   تَهَجُّدَ الفجر أوَّابٌ يواصلُه

وفيها مضى الشاعر يعبر عن خلجات نفسه في ستين بيتا من أجمل ما كتب من شعر.

وسوف نفرد مجالا آخر من بحثنا هذا (في الملحق) لهذه القصيدة حتى يطلع عليها من أراد، ففيها من العبارات ما يترجم المشاعر التي عمرت بها نفوس المصريين، وهم يرون الملك عبدالعزيز بين ظهرانيهم.

هؤلاء الرجال الثلاثة يجمعهم في عملنا هذا أمر واحد يربط بينهم، بحيث نجدهم جديرين بأن تقدم صورة ميسرة عن حياتهم، فكلهم كتب لاحقا في "مجلة الرسالة" ضمن العدد الذي أشرنا إليه عن رحلة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود إلى مصر في سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ)، وقد كتب كل منهم من زاويته، وظهر من اهتمامهم ومشاركتهم في الاحتفاء بالضيف الكبير مدى أهمية الزيارة التي كانت من أهم الزيارات المتبادلة بين ملوك العرب في ذلك الوقت، وكان لها

(٨) تكملة معجم المؤلفين، محمد خير رمضان يوسف، ص ٥٧٠.



من النتائج المهمة ما كشفت عنه الأيام اللاحقة لها، ويكفي أنها كانت البداية للتواصل من أجل دعم جامعة الدول العربية الحديثة الإنشاء آنذاك، والتي يشهد التاريخ بطول باع الملك السعودي في التوصل إلى إنشائها بعد أن وجد التجاوب من مضيفه ومن بقية رؤساء الدول العربية المستقلة آنذاك.

بدايات الرحلة

تقديراً من الملك عبدالعزيز آل سعود لزيارة الملك المصري فاروق، وتعبيراً عن شعوره بالروابط الأخوية التي تربط المملكة العربية السعودية بمصر، فقد أعرب في أوائل شهر المحرم لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق لشهر يناير من سنة ١٩٤٦م) عن رغبته في زيارة المملكة المصرية رداً على زيارة ملك مصر له. وسارع الملك فاروق فور علمه بهذه الرغبة إلى إرسال دعوة رسمية إلى العاهل السعودي، ولم يكتف بذلك، فأرسل اليخت (المحروسة) لنقل ضيفه إلى مصر، وأرسل وفداً كبيراً تتكون منه بعثة الشرف التي ترافق الملك عبدالعزيز من بلاده إلى مقر الزيارة.

كانت بعثة الشرف هذه تتكون من عدد من رجال الحكم، ورجال القصر الملكي المصري وبعض الدبلوماسيين. وكانت مع هذه البعثة بعثة أخرى تمثل الصحافة المصرية، على رأسها الكاتب الشهير عباس محمود العقاد، وكان وقتها عضوا بمجلس الشيوخ. كما كان يحرس اليخت الملكي زورقان هما: (الأميرة فايزة) و(الأمير فاروق).

وصلت البعثة في صباح يوم السبت الثاني من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق لليوم الخامس من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م)، ويلحظ أنه لا يوجد فارق زمني كبير بين إبداء الرغبة وتحقيقها؛ ولذلك دلالته المهمة.

تم استقبال البعثة استقبالا كريما من أهالي جدة والمسؤولين السعوديين فيها. وفي اليوم الرابع من شهر صفر بدأ التحرك الملكي، فغادر الملك عبدالعزيز ميناء جدة على اليخت المحروسة متجها إلى مصر، وقد رافقه في هذه الزيارة أخوه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن واثنا عشر أميراً من أبنائه، وعدد من رجال الحاشية وكبار موظفي البلاط الملكي، وسوف يأتي تفصيل لذلك فيما بعد(٩).

وما دمنا نتحدث هنا عن بعثة الشرف المصرية فإنه يجدر بنا أن نشير إلى ما كتبه أحد أفرادها، وهو الأستاذ العقاد عنها، فلم يكن الأديب الكبير عباس محمود العقاد مجرد عضو في بعثة الشرف، فهو بما يملك من قدرة فنية، وقلم سيال وفطنة تصل به إلى ما لا يصل إليه غيره، كتب مقالين في مجلة "الرسالة": أولهما تحت عنوان "في الحرم"، تحدث فيه عن الاستعداد للعمرة وعن الإحرام لها، وعن جبال مكة، ومنها جبل حراء الذي وصفه وصفا دقيقا، وتعليقا منه على وعورة هذا الجبل يقول: "وحسبك نظرة واحدة إلى الجبل ومرتقاه لتحيط بعض الإحاطة بتلك النوازع المرهوبة التي

(9) Anita L P Burdett, editor: vol 4.08 Official Visit to Egypt in 1946: King Abdul Aziz Diplomacy and Statecraft, P. 1002 - 1953, vol 4, 1944 - 1953, Archive Editions, London, 1998. p 196.



كانت تنهض بالرسول ﷺ في صباه إلى ذروة تلك القمة مرات بعد مرات، وأياما بعد أيام"، وتحدث في البيت الحرام عن موضع الدعاء الذي قيل له: إن رسول الله ﷺ كان يقف عنده ليدعو ربه. كما تحدث عن حمام الحرم حديثا طويلا، اتبعه بالمقال الثاني الذي جاء تحت عنوان "حمام الحرم"[١٠].

الوصول

رسا اليخت الملكي (المحروسة) وعلى متنه الملك عبدالعزيز ومرافقوه في ميناء بور توفيق في يوم الخميس المصادف لليوم السابع من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (اليوم العاشر من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م)، وقد استقبله الملك فاروق يرافقه رئيس ديوانه وكبير الياوران، حيث صعد إلى اليخت ليرحب بالملك الزائر، ويعانقه عناقا حاراً دالا على المودة التي تجمع بينهما.

واستقبلت الضيف الكبير أصوات مدافع الترحيب وحشود متراصة من أبناء الشعب المصري الذين هبوا إلى تحية ضيفهم وضيف مليكهم بهتاف لم ينقطع طوال رحلة القطار التي أقلت الملكين إلى القاهرة.

في اليوم نفسه وصل القطار إلى محطته الأخيرة، ودوت المدافع في القاهرة كما حدث في بور توفيق، وهتف الناس وأبدوا سرورهم بهذه المناسبة السعيدة. كما عُزفت الموسيقى الملكية وموسيقى الجيش المصري في الوقت الذي استعرض فيه الملك عبدالعزيز حرس الشرف ثم حيا المستقبلين، ثم

---

(١٠) مجلة الرسالة العدد ٦٥٥ والعدد ٦٥٩.

اتجه العاهلان إلى قصر عابدين ممتطيين عربة تشريفة ملكية تجرها ست جياد، وبعد استراحة قصيرة، قام الملك فاروق بمصاحبة ضيفه إلى قصر الزعفران الذي تم إعداده ليكون مقراً للضيافة الملكية.

استمرت الزيارة سبعة أيام أمضاها الملك عبدالعزيز وسط الحفاوة البالغة التي وجدها من الملك فاروق ومن جميع المسؤولين وجميع أفراد الشعب المصري، وقد عبر الجميع عن محبة صادقة وتقدير عظيم لضيفهم العظيم.

ومن بور توفيق انطلقت "المحروسة" ثانية لكي يعود بها الملك إلى بلاده مودعا بكل الحفاوة تاركا أطيب الأثر في نفوس أبناء مصر، وعلى رأسهم الملك فاروق، الذي وجه كلمة إلى الشعب المصري بمناسبة انتهاء الزيارة، قال فيها[١١]:

"شعبي الكريم، في الوقت الذي يغادر فيه أخي صاحب الجلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود مملكتكم عائدا في رعاية الله إلى مملكته، يطيب لي أن أوجه شكري لكم، فقد أكرمتموني في ضيفي بل ضيفكم، استقبلتموه بقلوبكم، وأحطتموه بحبكم، وإني لأرجو أن تكون زيارة أخي الملك عبدالعزيز آل سعود هي الفجر الصادق لليوم الذي تتطلع إليه البلاد العربية يوم تحقيق أهداف العروبة في المجد والاستقلال، والمساهمة الفعالة في بناء حضارة إنسانية أساسها السلام والعدل والحرية لتجَدِّدَ حضارة العرب. شعبي الكريم، لقد زرت المملكة العربية السعودية في العام

(١١) الإمام العادل، مرجع سابق، ص ٤٥٦.

الماضي، وكنت أظن أن سروري بتلك الزيارة لن يعادله سرور، فقد أحسست هناك أني ما اغتربت عن وطني ولا فارقت شعبي، ولكن ما لمسته خلال زيارة أخي الملك عبدالعزيز آل سعود بمصر أكد لي أن أيام المجد تتشابه، فإن جلالته كان هنا بين وطنه وأهله، فاعتززتم باعتزاز دول العرب جميعا شعوبا وملوكا وأمراء ورؤساء، لقد عاش في جونا وعشنا في جوه، ما فارق مملكته، إذ قدم إلينا وما فَارقَنا، إذ يعود إلى مملكته، فإننا على القرب والبعد تربطنا دائما جامعة العرب.

شعبي المحبوب، ليس أطيب عندي من أن أكرر شكري لكم، فقد أكرمتم في شخص الملك عبدالعزيز شخصي، أكرمتم مصر والعروبة والإسلام".

سارت "المحروسة" في طريقها المرسوم وعلى متنها الملك وصحبه، وبعثة الشرف المصرية المرافقة حتى إذا جاء يوم الجمعة الثاني والعشرون من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق للخامس والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م) رست في ميناء جدة، حيث استُقبل العاهل السعودي بالتهليل والهتاف وفرح الأهالي بعودة مليكهم بعد أن زار مصر، وأكد العلاقات الأخوية القائمة بين البلدين الشقيقين. وقد دامت الاحتفالات بمناسبة هذه العودة مدة ثلاثة أيام احتفاء بالملك وفرحة بوصوله سالما.

وفي هذا الوقت تبادل الملكان برقيتين عبرا فيهما عن سعادتهما باللقاء، وذلك كما يأتي:

أولا: برقية الملك عبدالعزيز آل سعود(١٢)

"حضرة صاحب الجلالة الأخ العظيم الملك فاروق الأول ملك مصر حفظه الله.

الآن والمحروسة تتجه بنا شطر البيت الحرام ومعالم مصر الشامخة الفتانة، تحتجب عن أبصارنا بأنوارها وازدهارها، تلفت القلب بعد العين، وقد انطبعت فيه ذكريات أيام من أسعد الأيام، تجلى بها كرم جلالتكم وإكرامكم بأسمى معانيهما، وقامت في خلالها حكومتكم العاملة الساهرة بأوفى نصيب من حفاوتها، وأعرب شعبكم الناهض النبيل عن أبلغ ما يكنه من العواطف نحو أضيافكم وأضيافه. لقد تجلت مصر الكريمة المضيافة، عظيمة بمليكها وقادتها وشعبها، عزيزة بنهضتها، قوية بجيشها، وما جيش مصر إلا جيش العرب. تقدمتم يا جلالة الأخ بالفضل فكانت أيام رضوى ثم أيام القاهرة والإسكندرية، وما كنتم ونحن نقلب الرأي في شؤون العرب جميعا لتنسوا البلاد العربية السعودية وصلاتها بأختها العزيزة مصر، وما كنا لننسى مصر الكريمة وصلاتها بشقيقتها المملكة العربية السعودية، فكان من حظ البلدين توثيق الروابط بينهما، وتوحيد جهودهما في سياستهما، وإقامة التعاون بينهما على أثبت الدعائم، وإنه لمن سعد الطالع لنا جميعا أن الشعور العربي المشترك بيننا هو شعور عام اشتركنا فيه مع إخواننا وإخوانكم ملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم، كما اشترك معنا

(١٢) المرجع السابق، ص ٤٥٨.

في شعورنا كل مسلم وكل عربي، وما جامعة الدول العربية التي أُسِّسَت دعائمها في عاصمة ملككم، بفضل الله ثم بفضل جهود جلالتكم، وجهود إخواننا ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم، إلا أثر لهذه الروح العالية التي تربط بيننا، وتؤلف بين قلوبنا جميعا. كلانا والحمد لله موقن بأن القوة في وحدة الكلمة، وأن الأخ درع لأخيه وأن تآخينا من شأنه أن يوثق عرى التآخي بين شعبينا، وما شك أحدنا في أن مصلحة البلدين تقضي بوحدة اتجاههما السياسي، ووحدة السبيل الذي يسلكانه في منهاجهما الدولي، ذلك مبدؤنا ومبدأ شعبينا يتوارثه الأبناء عن الآباء، ويبقى إن شاء الله على وجه الدهر بهذه الروح، ودعت مصر شاكرا لها ما يضؤل بجانبه الشكر، راجيا لجلالتكم دوام الهناء والصفاء ولشعبكم دوام الرخاء والارتقاء".

كلانا والحمد لله موقن بأن القوة في وحدة الكلمة، وأن الأخ درع لأخيه

عبدالعزيز

ثانيا: برقية الملك فاروق رداً على البرقية السالفة[١٣]

"تلقيت ببالغ الامتنان وعميق التأثر برقية أخي التي فاض بعبارتها الكريمة قلبه الكبير، وأملتها نفسه العامرة بالوفاء والمحبة، وإن زيارته التي أتاح بها لي ولمصر فرصة الترحيب به، والتعبير له عما نكنه له من إعزاز وإكبار لحدث جليل سيبقى في الذاكرة ما بقي الغرس الطيب المبارك الذي غرسته هذه الزيارة في صلات مصر وشقيقتها العربية

(١٣) المرجع السابق، ص ٤٥٩.

السعودية، وإن إشارة أخي إلى أيام رضوى مع أيام القاهرة والإسكندرية لتوقظ في قلبي الحنين إلى بلادكم العزيزة التي لمست في قلوب أهلها مكانة مصر، والتي أرجو أن تكونوا قد لمستم مكانتها ومكانة عاهلها في قلوب المصريين شعبا وملكا.

إن الصلات التي تربط بين قلبينا وشعبينا قد وثقها الله، وأيدها التعاون في سبيل تحقيق مجد العروبة، ولقد كان لجلالتكم ولملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم وشعوبهم الفضل فيما وصلت إليه جامعة الدول العربية من مكانة عظيمة؛ وإني لأرجو أن يديم الله على العرب نعمة التآزر والتآخي حتى يتحقق لهم ما يصبون إليه من انتشار مبادئ السلام والعدل والحرية، تلك المبادئ التي قامت عليها حضارة العرب. حفظ الله أخي، ورعى بيته المجيد وبلاده العزيزة، وكتب له السلامة والعافية والتوفيق".

فاروق

هذا وقد وجه الملك عبدالعزيز آل سعود كلمة إلى الشعب السعودي بمناسبة هذه الزيارة والعودة إلى دياره بعد غيبة سبعة أيام، فقال[١٤]:

"شعبي العزيز، أحمد إليكم الله إذ أعود إليكم من بلاد هي بلادي وبلادكم؛ مصر العزيزة بعد أن لاقيت فيها من جلالة أخي الملك العظيم فاروق وحكومته وشعبه في كل شبر مشيت فيه من أرض الكنانة من الحفاوة والإكرام ما لا يحيط به الوصف، ولا يفي بحقه وافر الشكر، فقد كانت

(١٤) المرجع السابق، ص ٤٦٠.

قلوبهم تتكلم قبل ألسنتهم بما تكنه لي ولكم ولبلادكم من حب لا يمثله إلا ما أشعر به من حب عميق لأخي الفاروق ولبلاده، وما أستشعره في قلوبكم من حب لجلالته وبلاده.

شعبي العزيز، لقد افتتح أخي الفاروق حصن الإخاء تحت ظلال رضوى، وتوج الله ذلك الإخاء من فضله بمودة لا انفصام لها بمشيئة الله، لم تكن بين قلوبنا في بلدينا فحسب، بل كانت سبيلاً وطريقا لاجتماع كلمة العرب على ما يجمع شملهم، ويحفظ لهم عزهم وسعادتهم في كل موطن من مواطن العروبة.

ومن فضل الله علينا جميعا أن كانت كلمتنا في هذه الزيارة والتي قبلها مجتمعة على مواصلة جهودنا في سبيل تأييد جامعة الدول العربية، وبذل كل مرتخص وغال في تأييد التضامن بين سائر دول الجامعة بالقلب والروح لما فيه الخير لدول الجامعة، بل لما فيه الخير لسائر البلاد الاسلامية والعربية. وسنستمر على هذه السياسة بمشيئة الله ما حيينا، وسنورثها بنينا حتى يظل العربي يشعر في كل موطن يمر به من بلاد العرب أنه يسير في موطنه، ويعتز به اعتزازه بوطنه وبلاده.

شعبي العزيز، ليس البيان بمسعف في وصف ما لاقيت في مملكة أخي الفاروق، ولكن اعتزازي أني كنت أشعر أن جيش مصر العربي هو جيشكم، وجيشكم هو جيش مصر، وحضارة مصر هي حضارتكم، وحضارتكم هي حضارة مصر، والجيشان والحضارتان جند للعرب، وركن من أركان حضارتهم.

بهذه الروح فتح أخي الملك الفاروق العهد بيننا، وبهذه الروح استقبلني أخي الفاروق وحكومته وشعبه، وبهذه الروح أعود إليكم، وليس لي وأنتم تستقبلونني، وأنا أستقبل البيت الحرام إلا أن أدعو الله أن يحفظ للكنانة مليكها، وأن يبلغها مناها من الهناء والسعادة، وأن يجمع بفضله قلوب ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم لما فيه العز والخير، وأن يجزي الله عنا إخواننا وإخوانكم في مصر خير الجزاء، فلقد أحاطوني بقلوبهم، وغمروني بكرمهم، وما راء كمن سمعا، والسلام".

التفصيل:

نتتبع الآن تفصيلا لما كُتب عن الزيارة الملكية في بعض المراجع. وقد تناولت هذه المراجع جوانب الموضوع منذ وصول بعثة الشرف المصرية إلى ميناء جدة حتى مغادرة الملك عبدالعزيز آل سعود لمصر عن طريق ميناء بور توفيق، وذلك كما يأتي:

أولا: تحدث تقرير المفوضية البريطانية في جدة عن وصول بعثة الشرف، وبرنامج عملها حتى يوم سفر الملك، كما تحدث عن مغادرة الملك عبدالعزيز ميناء جدة في طريقه إلى مصر، وفي ذلك يقول[١٥]:

١ – وصل اليخت الملكي إلى جدة صباح ٥ من يناير (١ صفر ١٣٦٥هـ) تصحبه سفينتا حراسة هما "الأمير فاروق" و"الأميرة فايزة" وعلى سطح اليخت المحروسة كانت بعثة الشرف التي تتكون من:

– مراد محسن باشا مدير الخاصة الملكية.

(15) King Abdul Aziz Diplomacy and Statecraft, op cit, P. 198.

- إسماعيل تيمور باشا كبير موظفي البلاط الملكي.
- القائم مقام أحمد حلمي بك وسالم بدان باشا أدميرال اليخوت الملكية.

وكان بصحبة بعثة الشرف كلٌّ من:

- عباس محمود العقاد عضو مجلس الشيوخ والصحفي.
- كريم ثابت بك رئيس تحرير جريدة المقطم.
- ممثل لاستوديو مصر.
- عدد من المصورين.

وبعد أن رحب محافظ جدة بالوفد على ظهر اليخت، استقبلوا في قصر الملك من قبل أصحاب السمو الملكي الأمراء محمد ومنصور وفهد وحضروا مأدبة الغداء التي حضرها جميع رؤساء البعثات الدبلوماسية هناك، وبعد الظهر غادرت بعثة الشرف إلى مكة حيث استقبلهم الملك ابن سعود الذي أقام حفلة على شرفهم.

٢ - بعد قضاء الليلة في مكة عادت البعثة إلى جدة في اليوم السادس من شهر يناير (٣ صفر)، وحضروا حفلة عشاء أقامها لهم الوزير المصري: عوض البحراوي بك الذي دعا كذلك رؤساء البعثات الدبلوماسية.

٣ - وصل الملك ابن سعود إلى جدة صباح اليوم السابع من شهر يناير (٤ صفر)، وكنت في استقبال جلالته بعد وصوله، وتمنيت له زيارة ناجحة وسارة، ووعدت جلالته باستقبال حار من الشعب المصري.

٤ - وفي إحدى الصالات الكبرى التي على رصيف الميناء كان هناك جمع كبير من كبار رجال المنطقة تجمعوا ظهر اليوم السابع من شهر يناير (٤ صفر) ليودعوا جلالته، وفي آخر القاعة كان هناك كرسي الملك المذهب يعلوه العلمان المصري والسعودي، وفي الساعة ٢ مساء وصل الملك، واستقبل استقبالا حاراً، وقام شاعر الملك أحمد الغزاوي بقراءة قصائد المديح والوداع أمام الملك بالإضافة إلى كبار الأدباء. وبعد ذلك استأذن الحاضرون من الملك لكي ينصرفوا، وبعدها صعد الملك إلى ظهر اليخت الملكي المحروسة الذي أبحر حوالي الساعة ٥ مساء بالتوقيت المحلي.

٥ - ولا أعرف حتى الآن عدد الحاشية المصاحبة للملك إلى مصر، ولكن المعروف أنها كانت حوالي ١٠٠ فرد بمن فيهم شقيق الملك الأمير عبدالله بن عبدالرحمن والأمراء محمد وخالد وفهد وحوالي ١٠ أبناء آخرين، بالإضافة إلى جميع مستشاريه بمن فيهم السيد فيلبي.

ثانيا: في اليوم السابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م (٢٤ صفر ١٣٦٥هـ) أرسلت السفارة البريطانية في القاهرة كتابا إلى وزارة الخارجية التي سبق لها أن طلبت تقريراً عن الزيارة، فشرحت في هذا الكتاب بالتفصيل خطوات البرنامج المعتمد منذ قدوم الضيف الكبير إلى ميناء الوصول مع بيان ما حدث بعد ذلك إلى نهاية المطاف في تلك الزيارة. وهذا التقرير الموسع يدل على مدى اهتمام الحكومة البريطانية بما يحدث في دائرة العلاقات بين الدول العربية بحيث لم

تدع السفارة المذكورة شاردة ولا واردة إلا وذكرتها في كتابها، وهذا يدل على مزيد الاهتمام، إضافة إلى أنها أقامت على شرف الملك عبدالعزيز ومرافقيه مأدبة بمناسبة وجوده في مصر سوف يأتي الحديث عنها فيما بعد، أما البرنامج الذي ورد ذكره في الكتاب الذي أشرنا إليه آنفا فهو كما يأتي:

بناء على برقية السيد جرافتي - سميث رقم ١٠ بتاريخ ١٦ من يناير (١٣ صفر)، يسرني أن أقدم لكم التقرير التالي حول زيارة الملك ابن سعود لمصر(١٦).

١ - وصل اليخت الملكي "المحروسة" مقلا الملك ابن سعود وحاشيته إلى السويس صباح ١٠ من يناير (٧ صفر)، وقد وضعت الترتيبات على رصيف الميناء للترحيب بابن سعود، وصعد الملك فاروق الذي كان موجوداً في الميناء على ظهر اليخت الملكي لتحية الضيف، واصطحبه إلى القطار الملكي ثم إلى القاهرة، حيث كان هناك حشد كبير من كبار المصريين على رأسهم الأمير محمد علي (ولي العهد المصري)، وأعضاء الأسرة المالكة المصرية، وكلهم كانوا في استقبال القطار، وقد حرس القطار الملكي طوال الطريق من السويس إلى القاهرة سرب من طائرات السلاح الجوي الملكي، وأطلقت ٢١ طلقة عند وصول القطار الملكي إلى القاهرة تحية للضيف.

٢ - وتقدم صاحبا الجلالة إلى قصر عابدين في العربة الملكية، وتبعها شقيق الملك عبدالعزيز والـ ١٢ ابنا الذين

(16) King Abdul Aziz Diplomacy and Statecraft, op cit, Mr Grafftey Smith, No 152, Cairo. 27 th January, 1946, P. 198.

اصطحبوه، وكذلك عدد من مستشاري الملك سعود العديدين وكبار المسؤولين السعوديين، وفي الطريق كان هناك ٤ أقواس نصر أقيمت تحية للضيف، ووصل الملك ابن سعود في صحبة الملك فاروق إلى قصر الزعفران الذي وضع تحت إمرة الملك ابن سعود طوال زيارته.

٣ - وفي ليلة ١٠ من يناير (٧ صفر) قام رؤساء البعثات الدبلوماسية في القاهرة بتقديم تحياتهم إلى الملك ابن سعود في قصر الزعفران، ثم حضروا بعد ذلك حفلة أقامها الملك فاروق على شرف الملك ابن سعود في قصر عابدين، وبعد الحفلة أقيم عرض مسرحي، وتبعه حفل استقبال حضره مئات من كبار المصريين والأجانب، وقد تغيب عن هذا الحفل رؤساء وزارات مصر السابقين، لأنهم كانوا يرون أنه لابد من دعوتهم إلى الحفلة التي سبقت حفل الاستقبال. ولم تتم دعوة النحاس باشا إلى حفل الاستقبال ولا إلى أي احتفال آخر يقام بمناسبة زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود.

وقد ارتدى الملك ابن سعود وشاح محمد علي الذي أهداه الملك فاروق له، كما أهدى الملك فاروق لأولاد ابن سعود وشاح النيل بمن فيهم من هو في سن الثالثة عشرة.

٤ - وفي اليوم التالي، أدى الملكان صلاة الجمعة في الجامع الأزهر التي أمها وألقى خطبتها مدير جامعة الأزهر[١٧]،

(١٧) لعل المقصود شيخ الجامع الأزهر.

وبعدها أقام الملك فاروق حفل غداء في قصر عابدين لضيفه الملك ابن سعود حضره مدير جامعة الأزهر، وكذلك كبار المسلمين المصريين. كما أقام رئيس وزراء مصر حفلة في وزارة الخارجية هذا المساء ترحيبا بالضيف.

٥- في ١٢ من يناير (٩ صفر)، قام الملكان بزيارة جامعة القاهرة[١٨] حيث رحب بهما النقراشي باشا الذي كان قائما بعمل وزير التربية، كما رحب بهما كذلك القائم بأعمال مدير الجامعة د. مشرفة، وقد أقيم مهرجان رياضي بهذه المناسبة، وفي المساء أقام الملك ابن سعود حفل عشاء لكبار رجال الملك فاروق ولأعضاء السلك الدبلوماسي في قصر الزعفران، وبعد الظهر كان الملك ابن سعود قد حضر عرضا للفرسان أقامه على شرفه الشيخ عبدالله ململوم، أحد كبار رؤساء القبائل المصرية.

٦ - بعد ظهر ١٣ من يناير (١٠ صفر) حضر الملك فاروق سباق الخيل الذي أقيم خصيصا على شرف الملك ابن سعود.

٧ - أقيم عرض عسكري كبير في منطقة ألماظة يوم ١٤ من يناير (١١ صفر)، وقد أطلقت المدفعية ٢١ طلقة تحية لكل من الملكين، وتم عرض الأسلحة الخاصة بالجيش المصري، وقد أصدر رئيس الأركان المصري أمراً يهنئ فيه القوات المصرية على أدائها، ويُعبِّر عن رضا الملكين

---

(١٨) في ذلك الوقت عام ١٩٤٦م كان اسمها جامعة فؤاد الأول، ولم يتغير اسمها إلى جامعة القاهرة إلا في سنة ١٩٥٢م.

وتهنئتهما لهم. وبعد هذا الاحتفال، دعوت الملك ابن سعود إلى احتفال في السفارة البريطانية، كما بينت في تقريري رقم ٨١ بتاريخ ١٥ من يناير (١٢ صفر)، وبعد انتهاء العرض العسكري زار الملكان ومرافقوهما الأهرام.

٨ - زار الملك ابن سعود القناطر الخيرية (قناطر محمد علي) في ١٥ من يناير (١٢ صفر) بعد أن حضر حفل استقبال في البرلمان المصري، حيث استقبله رسميا رئيس البرلمان، ورحب به في خطبته، وأشار إلى أن هذه الزيارة الملكية عامل من عوامل تقوية الاتحاد والتضامن بين الدول العربية.

٩ - في صباح ١٦ من يناير (١٣ صفر) زار الملك ابن سعود حدائق الحيوان، وإصلاحية أحداث الجيزة، وبعد ذلك حضر الملكان حفل غداء أقيم في قصر المنسترلي الذي أهداه الملك فاروق حديثاً للجامعة العربية أقامه على شرفهما الأمين العام للجامعة العربية، وفي هذه الزيارة، أعلن النقراشي باشا عن بيان مشترك من كلا الملكين.

١٠ - في اليوم التالي زار الملك ابن سعود مصانع الغزل والنسيج في المحلة الكبرى، واستقبله حافظ عفيفي باشا ومجلس الإدارة، وفي ١٨ من يناير (١٥ صفر) أمضى الملك ابن سعود يومه مع الملك فاروق في ضيعته في إنشاص.

١١ - في ١٩ من يناير (١٦ صفر) سافر الملك ابن سعود بالقطار الملكي إلى الإسكندرية، وكان في استقباله الأمير

سعيد طوسون المدير العام لبلدية الإسكندرية، كما كان في استقباله جمع غفير من كبار رجالات الإسكندرية، وكان في صحبة الملك الأمير محمد عبدالمنعم والنقراشي باشا، وزار الملك معهد الأحياء المائية، ومستشفى فؤاد الأول، وكان الملك فاروق حاضراً في حفلة غداء أقامتها بلدية الإسكندرية على شرف الملك ابن سعود، كما قام الملك ابن سعود بجولة في الميناء بعد الغداء.

١٢ - عندما عاد الملك ابن سعود إلى القاهرة في ٢١ من يناير (١٨ صفر) كان ضيفا مرة أخرى على حفلة غداء في قصر عابدين أقامها له الملك فاروق.

١٣ - غادر الملك ابن سعود وحاشيته القاهرة يوم ٢٢ من يناير (١٩ صفر)، وكان في وداعه الملك فاروق وأعضاء الأسرة المالكة المصرية وكبار رجالات الدولة، وركب الملك عبدالعزيز وحاشيته اليخت المحروسة في السويس، وهو الذي سيوصلهم إلى جدة.

١٤ - وفي فترات الاستراحة التي كانت في هذه الزيارات التي ذكرتها كان الملك ابن سعود يستقبل الزوار استقبالا خاصا، وبخاصة الوفد الفلسطيني، وأفادت التقارير أنه عبر عن دعمه الكامل للقضية العربية في فلسطين، ومعارضته الكاملة لإقامة دولة يهودية هناك، ولقد كتبت في تقريري رقم ٨٧ بتاريخ ١٧ من يناير (١٤ صفر) عن المحادثة التي تمت بيني وبين الملك ابن سعود في قصر الزعفران بناء على طلب جلالته، كما استقبل الملك ابن

سعود النحاس باشا الذي كما بينت سابقا لم يكن مدعوًا إلى أي من حفلات الاستقبال التي أقيمت على شرف الملك.

١٥ – في الرسائل المتبادلة وفي البيان المشترك بين الملكين حول الزيارة كان الاثنان يؤكدان أهميةَ الزيارة الملكية بصفتها عاملاً من عوامل تقوية الوحدة والتضامن بين الأمة العربية، وقد أكدا في بيانهما المشترك أهميةَ القضية العربية الفلسطينية والبيانَ الذي كان موجها ضد لجنة الاستقصاء الأنجلو – أمريكية حول المشكلة الفلسطينية التي بدأت أعمالها في واشنطن.

لقد كان هذا هو النص الحرفي لرسالة السفارة البريطانية إلى بلادها. ولكن هناك بعض الملحوظات التي أوردها الكاتب تتلخص في الإشارة إلى مواقف الصحف من هذه المناسبة، والاهتمام الأمني الذي سيطر على كثير من المواقف وبخاصة في مجال المرور والأمن العام. والبذل الكبير على كل ما يمكن أن يجعل الزيارة ناجحة.

وقد جاء ضمن التعليق على الزيارة ما يأتي: "ويمكن القول: إنه من وجهة النظر المصرية أن الزيارة قد ساهمت في تقوية العلاقات بين الدولتين، حيث إن تعاونهما قد يكون له أثر حاسم على شؤون العالم العربي".

ولما كانت الزيارة ودية، والرغبة التي أدت إلى القيام بها كانت في تقوية أواصر الصداقة، ولمٍّ الشمل بين ملكي وشعبي الدولتين، فلم يكن من المنتظر التوصل خلالها إلى

اتفاقات محددة. ولذا يقول باقي التعليق: "وعلى الرغم من بعض التوقعات، فليس هناك أي دليل على أن هناك اتفاقية خاصة قد تم توقيعها بين المملكتين خلال هذه الزيارة".

وهذا الأمر لا ينفي وجود نتائج كبرى نجمت عن قيام الملك عبدالعزيز آل سعود بلقاء الملك المصري فالترابط المعنوي الذي حدث كان أقوى من كل اتفاق مكتوب.

ثالثا: ورد الحديث عن مأدبة الغداء التي أقامتها السفارة البريطانية على شرف الملك عبدالعزيز في رسالة كتبها اللورد كيلرن سفير بريطانيا في مصر، وجهها إلى ارنست بيفن وزير خارجية بلاده[١٩]، وقد ذكرت الرسالة أسماء الذين حضروا في معية الملك وكذلك أسماء الضيوف الآخرين. وقد جاء فيها أن الضيف كان في حالة مزاجية جيدة، وأنه تحدث عن قضية فلسطين محذراً أنه ما لم تُحل هذه القضية بطريقة يقبلها العرب فإنها سوف تدمر العلاقات العربية البريطانية، وهو التحذير الذي وجهه في سنة ١٩٤٥م (١٣٦٤هـ) إلى ونستون تشرتشل عندما اجتمع معه في مدينة الفيوم المصرية.

رابعا: أصدر الملكان في نهاية الزيارة بياناً تلاه رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي بعد حفل الغداء الذي أقيم في مبنى جامعة الدول العربية، وقد ركز البيان على قضية فلسطين مؤكداً أن العرب جميعاً يدافعون عن

---

(١٩) الملك عبدالعزيز آل سعود: سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية (قسم الوثائق البريطانية)، دار الدائرة للنشر والتوثيق، ص ٣٧٨.

قضية فلسطين التي لابد وأن تبقى عربية مسلمة كما كانت. وذكر أن الجامعة العربية أقيمت على قواعد متينة من التعاون والأخوة بين العرب الذين يحرصون على حماية الحقوق، وأنها تسعى إلى إقامة السلام الدائم والعدالة، وأنهم لا يريدون إلا السلام والتعاون مع العالم ولا سيما مع الأمم المتحدة.

حديث مجلة الرسالة

نسوق هنا نموذجا من النماذج التي كتبت في مصر بهذه المناسبة المهمة. وهو المقال الذي كتبه الأستاذ أحمد حسن الزيات في عدد مجلته "الرسالة" الصادر في يوم الإثنين العاشر من شهر صفر لسنة ١٣٦٥هـ (الموافق لليوم الرابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٤٦م) بعنوان "عاهل الجزيرة العظيم" ضَمَّنه الترحيب بمقدم العاهل، ووصفه بأوصاف كريمة تليق به، ولا بأس من نقل هذا المقال كاملا هنا:

"من بوادي نجد منبت العَرار والخُزامَى، ومهبّ الصَّبا ومسرى النعامَى فاحت عطور الإسلام والعروبة من جديد، وباحت الرمال الصامتة بسرها المكنون منذ بعيد؛ وهبت نفحات الرسول على آل الشيخ وآل سعود، فجددوا ما رثّ من حبل الدين، وجمعوا ما شتّ من شمل العرب؛ وتهيأت الفرصة مرة أخرى لشريعة الله لتُريَ الناس كيف بسطت ظلال السلام والوئام والأمن على أشد بقاع الأرض ضلالة وجهالة وفتنة؛ وتجلت في طويل العمر عبدالعزيز فضائل العرب الأصيلة: فمثل شاعريتها في رهافة حسه، وأريحيتها

في سماحة نفسه، وحميتها في صرامة بأسه؛ فهو في دينه النقي الخالص، وفي خلقه السريّ الصريح، دليل ناهض على أن الجزيرة العربية لم تُعقم بعدُ أنصار الدعوة وأبطال الفتوح. ولا يضيرها أن تتباعد فترات الإنجاب ما دامت تنجب في القرن الأول ابن الخطاب، وفي القرن الأخير ابن السعود!

والملك عبدالعزيز كالخليفة عمر من القادة المصطفين الذين صنعهم الله على عينه، وأمدهم بسلطانه وعونه، ليؤيدوا رسالة أو يجددوا دعوة أو يوحدوا أمة. وقد اصطفاه الله من آل سعود ليكشف على يديه ما ادخر في هذه الأرض المقدسة المجهولة من ثراء وقوة، وليعود العرب بنعمة الله عليهم وعليه أمة واحدة ذات عزة وسطوة. والعرب والمسلمون على اختلاف المذاهب، وتباين الأجناس، وتنائي الديار، يولون وجوههم كل يوم خمس مرات شطر المملكة السعودية، لأنها صلتهم بالسماء، ورابطتهم في الأرض، ومنارتهم في الحياة!

وابن السعود هو ملك الوطن المشترك، وإمام القبلة الجامعة؛ لذلك أوتي محاب القلوب وطواعية النفوس، فله في صدر كل عربي مكانة، وفي عنق كل مسلم ذمة!

ولقد كان استقباله في مصر يوم الخميس الماضي تعبيراً شعبياً قوياً عن هذه المعاني التي تجول في كل خاطر وتتمثل في كل ذهن: كان استقبالا رائعاً لم تشهد الكنانة مثله لزعيم أو فاتح؛ لأن العواطف التي حشدت هذه الألوف المؤلفة في طريق الموكب الملكي على أطورة الشوارع وطنوف العمائر، وفي أفواه الأزقة ونوافذ البيوت، كانت شيئا آخر غير

الفضول الذي يسوق الناس في مثل هذا اليوم؛ ليشهدوا ضخامة الحشد وفخامة الجند وروعة السلطان: إنما كان استقبالا روحياً طبيعياً فيه الحب والإعجاب، وفيه التجلّة والقداسة، وفيه معنى أسمى من كل أولئك هو شعور كل مصري بأنه يستقبل فرعاً من أصله، وعزيزاً من أهله.

فعلى الرحب والسعة يا مجدد التوحيد والوحدة، ومقيم ملكه الأشم على الحميّة والنجدة! وعلى الرحب والسعة يا حامي الحرمين، وثمال القريتين، وباعث الجزيرة الهامدة إلى عصر جديد سعيد يقوم فيه أمر الله على سيف علي ومصحف عثمان ودرة عمر وعزيمة الصديق!".

حول القصيدة

ألمحنا فيما سبق إلى قصيدة الترحيب التي جادت بها قريحة الشاعر محمود حسن إسماعيل بالمناسبة التي ابتهجت بها مصر، وهي زيارة الملك عبدالعزيز آل سعود لها.

جاءت القصيدة في ستين بيتا تحت عنوان "عاهل الجزيرة في وادي النيل"، وقد بدأها الشاعر بقوله:

حادٍ من البيد هزَّتني قوافلُه والنيلُ يصغي إليه أو يُساجلُه

وهو في الأبيات الأولى منها يناجي هذا الحادي الذي تخيله قادما يردد غناءه الشجي حتى:

أصغت له مصر، فاهتاجت سرائرها وللديار هوى تهفو شواغلُهُ

وهو كذلك:

معلّم كيف يشجي الريح، كيف لها تعيد تسبيح (داود) فواصله
وكيف تخطف سحر الشمس نغمته فينتهي كل ما قصَّتهُ (بابله)

وهكذا تستثير شاعرية شاعرنا صورة البيداء العربية بكبريائها وصمتها العجيب. وصوت حداة القافلة الدائبة الحركة على أرضها، وهي تكسر حدة هذا الصمت، وتبعث في النفوس صدى الغناء الحجازي القديم الذي قرأ عنه الشاعر، فوظف قراءاته في بداية قصيدته، مشيراً إلى أنه اهتز لصوت الحداء الجميل الذي كان النيل يصغي إليه أو يساجله في تلميح إلى توجه الزيارة الملكية السعودية إلى الديار المصرية.

أما الجزيرة فلها نصيب من هذه القصيدة، فهي مهبط الوحي، ومقر البعثة النبوية، وأرض الحرمين؛ ولذا فقد أجاب الحادي نداء الشاعر ورد على تساؤله قائلا:

فقال: إني من الشرق الذي سطعت ونوَّرت منه للدنيا رسائلهُ
من بقعة عُمُدُ الإسلام في يدها سواعدُ الدهر يُعَيِيها تطاوُلهُ
مَشَى الرسول عليها فاغتدت حرماً يجرد النفس للتسبيح داخلُهُ

إلى أن يأتي على ذكر قائد الركب الملك الذي أعلى المهابةَ سيفُه الذي يحمله، وهو الذي صار عرش الجزيرة مركوزًا بقبضته، وقد أجرى العاهل فوق حديه البأس الذي ألان له الأمور، ووطد له أركان المُلْك، وها هو الركب وقد وصل إلى أرض الكنانة حيث:

تلألأت منه فوق النيل زاخرة رُؤى جبين أضاءته فضائله
نور الشهادة تُبديه أسرّته وهالة المجد تُضْفيها حمائله

ومن هنا بدأ الشاعر في الحديث عن الملك الذي جاء إلى بلاد الشاعر أخا قبل أن يكون ضيفا، فهلل النيل لمقدمه.

ووصف محمود حسن إسماعيل الموكب الملكي رابطاً بين بلاد صاحب الموكب وأرض الكنانة، فهما مُلْكَان ضياؤهما يزين مفرق الدنيا، قد قاما على عزة شامخة للشرق، ومورد للعلا تفيض مناهله، هذان الصرحان كانا شعاعين لأيام تستنير بهما مسيرة الأمة بأجمعها في الوقت الذي كانت تغط على ليل وفي نوم عميق أركان الدنيا بمجاهلها. وكانا كما وصفهما الشاعر بقوله:

هذا على جبهة الصحراء صولته يُفني الجبال إذا هبَّت تُصَاوِلُهُ
عالٍ مع الشمس، طواف بسيرتها على الوجود نَدَاهُ أو جحافلُهُ
وذاك تسحر كبْر الخلد هيبته بما بنى لبني الدنيا أوائلُهُ

وأخيرًا فإنه يرى الشرق عليلا في حاجة ماسة إلى الدواء، والأمل عنده معقود على هذين السائرين على النور، وخلفها قلب الشرق المضنى، فلو مسحا عليه بأكفهما الساحرة لقرب شفاؤه:

يا سائران على نور، وخلفهما قلب من الشرق تُضْنِيه مشاغلهُ
مُرًّا عليه بسحر في أكفكما داني التداوي، قريب البرء، عاجله
براحة في حواشيها وصفحتها طبُّ الشعوب حَفي النور مائله

وهذا الذي يريده الشاعر ليس صعبا على هذين العاهلين فإن ما حدث في زيارة الملك فاروق لرضوى والنتائج الباهرة التي تمخضت عنها هذه الزيارة، فأفرحت، وسرَّت الشعبين الشقيقين سروراً كبيراً، وصارت بداية تعاون في مجالات شتى بينهما يؤكد أن ما رامه الشاعر لا يدخل في إطار المستحيلات، فهذه الراحة التي في حواشيها طب القلوب هي التي ما زال (رضوى) يناجيها ويذكرها، فقد كانت ثمرة ذلك اللقاء عهداً إلى أبد الدنيا ترويه للشرق تلك الكثبان المهلَّة، وتسطرها الجنادل مواثيق عظيمة، لقد كانت لقاءات ذلك المكان عهداً من الحب هز الجبل العتيد، فارتجزت به الخيام، وغنته القبائل، مشيراً إلى الاحتفالات الشعبية التي تمت على تلك الأرض يومذاك.

ما زال "رضوى" يناجيها ويذكرها   عهداً إلى أبد الدنيا يزامله
روته للشرق كثبان مهللة   وسطرته مواثيقا جنادلُه
عهداً من الحب هز الطود فارتجزت   به الخيام، وغَنَّته قبائلُه

ويتجه الشاعر بعد ذلك إلى مخاطبة الملك عبدالعزيز آل سعود قائلا:

ليثَ البوادي وحاميها وسيدها   تاريخ سيفك إنشاد تُواصلُهُ
ضممتها وعصبت البأس في يدها   وكنت غيثا تُغاديها سوابلُهُ

ومن هنا اتجه إلى الحديث عن بدء الرحلة، حيث تعلقت تلك البوادي بحاميها وسيدها، وحين صار البحر الذي هو طريق الزيارة بساطا كأنه الفلا حين تغني قوافله.

ويقول: لقد جئت أيها الليث، يا ملك القلوب تحفّك الأرواحُ وتهفو إليك بلابل مصر إلى حيث كان أحبابك يرتقبون هذه الزيارة، وقد جمع الشاعر هؤلاء الأحباب في شطر بيت هو: "فاروق، والنيل، والوادي، وآهله" فكل هؤلاء في الاستقبال وفي غاية السعادة لهذه الطّلّة الملكية التي طال انتظار إشراقها على وادي النيل، أما السفينة التي أقلت الضيف الكبير فقد وصفها الشاعر بأنها بيضاء دارعة بالأرواح تهفو لها بلابل الجنان في مصر، وتفيض بالتغريد ابتهاجا بقدومها.

وفي مناجاته للعاهل السعودي يقول الشاعر:

"عبدالعزيز" إليك الحب، يدفعه   وإذ ترفرف بالبشرى خمائله
حيتك منه سماء شاركته هوى   بالغيث يفْترُّ في الشطآن وابله

وإذ نحييك اليوم في أرض مصر، فقد حيتك من قبلنا البيد التي أحييتها وأفرحتها بأعمالك الجليلة وبحملك البشرى إليها بمستقبل زاهر يسعد به أبناؤها. وهنا يعود الشاعر إلى الموكب الذي ضم الملكين في مصر، حيث اختلط الأمر على الناس وحار العباد: أنجدي هواؤهم؟ وقد بعث كل هذه المشاعر، أم أن الفرحة إنما هي الفرحة بالإسلام الذي حف الموكب؟

حار العباد أنجدي هواؤهم   والقطر والريح أنسام تزايلُه
أم أنها فرحة الإسلام سار بها   ركب المليكين في شوق يُعاجلُهُ
عبير يثرب تذكيه مطارفه   وخيله العُرْب تحكيها صواهلُه

أما في الختام فيقول:

هذا أذان العلا يا شرق، فاتحة يُراع منها غوي القلب غافلُه
ضيف الجزيرة، لا وصفا ولا حلما جِنانُ مصر جَنانٌ أنت نازلُهُ
أخوك "فاروق" راعيها وعاهلها وأنت فيها أخ طابت منازله

لقد كان الختام قوياً ومؤثرا، ودالا على الشعور الصادق الذي ملأ الشاعر، فجعله يقول ما قال ليس في هذه الأبيات الثلاث، وإنما في كامل القصيدة التي جاءت لوحة معبرة، ومفصلة لكل إحساسات الناس تجاه هذه الزيارة. وعندما قال محمود حسن إسماعيل: إن جنان مصر بكاملها هي قلب أنت نازله فهو يعبر عن حقيقة أثبتتها وقائع الزيارة والاستقبالات الكثيرة والاحتفالات المدهشة بحيث كان الملك عبدالعزيز وسط مجموعة يعرف أنها تحبه وتقدره وترى أنَّ ما عمله في بلاده وفي خارجها يجعله في عداد الرجال الذين يسجل التاريخ لهم أعمالهم بمداد من نور.

كان الختام قوياً ومؤثرا، ودالا على الشعور الصادق الذي ملأ الشاعر، فجعله يقول ما قال

هذا وفي القصيدة ملامح فنية جميلة، وإشارات لا بأس من أن نقف عليها دون أن يكون ذلك شاملا لها بأجمعها. فهو يقول مثلا كيف للريح أن تعيد تسبيح "داود" الذي شبه به حداء الحادي الجميل ونغماته الحلوة، فأشار هنا إلى مزامير سيدنا داود عليه السلام، ثم ذكر أن نغمة هذا الحادي تخطف سحر الشرق، فتقضي على سحر بابل التي أخبر

القرآن الكريم عنها بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[٢٠]، وجعل الوديان تخر ساجدة وهي تستمع إلى الأذان الصادر من الصحاري، بينما هذا الأذان ما هو إلا الذي يطلقه ذلك الحادي، فيهتز له السامعون، وعندما تحدث الشاعر عن جنان مصر قابلها بلفظ مشابه هو جَنان - بفتح الجيم - فجاءت المقابلة اللفظية مفيدة في المعنى المطلوب، ولافتة لنظر المستمع إلى القصيدة، فكأنه يقول لضيف مصر: إن هذه الجنان الطيبة ما هي إلا قلب تسكنه أنت لفرط محبتنا لك، وهو ما سبقت لنا الإشارة إليه، ويلحظ أنه بدأ صدر البيت الذي فيه الحديث عن الجنان بتأكيد على أن ما يقوله هنا ليس وصفا عابراً ولا حلما من الأحلام، ولكنه الإحساس الحقيقي بما حدث.

ختام

يُعبِّر كل ما ورد آنفا عن صورة للحياة العربية في سنة ١٩٤٦م (١٣٦٥هـ) من حيث علاقات رؤسائها بعضهم ببعض، وحرصهم على تطوير هذه العلاقات والسعي بها إلى الأفضل، كما يعبر عن تقدير الشعب العربي في كل مكان وبخاصة في مصر لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود بوصفه موحد الجزيرة، وحامي الحرمين، والحريص على تضامن الأمة العربية والإسلامية، ولا شك في أن مواقفه التي عبر عنها خلال زيارتيه إلى مصر فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية كان لها أكبر الأثر في نفوس الناس الذين كانوا

(٢٠) سورة البقرة الآية رقم ١٠٢.

يتطلعون إلى من يتبنى هذه القضية الخطيرة التي وجدت الأمة نفسها بسببها في مأزق خطير بعد أن تمالأ الأمريكيون والبريطانيون مع الصهاينة، وكان تقرير اللجنة التي شكلوها محققا لآمال العدو ومخيباً لآمال العرب والمسلمين.

ويتضح من مجريات الأحداث على ضيق المساحة التي تناولناها في هذا البحث مدى الجهد الذي بذله العاهل السعودي سواء أكان ذلك خلال لقائه بالرئيس الأمريكي روزفلت في سنة ١٩٤٥م، أم خلال مراسلاته مع الرئيس اللاحق هاري ترومان، وكان أهم ما أُثير في الاجتماع والمراسلات موضوع فلسطين الذي كان الشغل الشاغل للملك.

بعد هذا نعود إلى ما سبق أن أشرنا إليه في المقدمة عن الدافع إلى تقديم هذا البحث لقرائه، وهو قصيدة الشاعر محمود حسن إسماعيل، وقد أوردنا عنها ما يمكن أن يقال في حدود العرض الذي قدمناه، ثم قدمنا القصيدة بكاملها في ملحق خاص. وحيث إن للقصيدة مداراً هو زيارة الملك عبدالعزيز لمصر فإن حديثنا لم يكن ليخرج عن هذه الحادثة إلا فيما يتعلق بمقدماتها أو بنتائجها، وليعذرنا القارئ إن لم يجد منا إفاضة في موضوعات جانبية أخرى، قد يكون لها مجال آخر في مكان غير هذا المكان، وبخاصة وأن سيرة الملك عبدالعزيز العطرة قد عُرضت في عشرات المؤلفات، وفي كثير من الدوريات، ومع ذلك فإن البحث فيها دائما يؤدي إلى جديد وبخاصة حين نقارن الأوضاع التي كانت

سائدة في عصره من حيث تعاون العرب رؤساء وشعوبا مع الأوضاع السائدة الآن، فنجد أن الصورة المشعة التي اطلعنا عليها من خلال حدث واحد ذكرناه في بحثنا هذا صورة مطلوب تكرارها حتى تعود الأمور في دنيا العرب إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وحتى يتمكنوا من مواجهة عدوهم الذي لا ينبغي أن يواجهوا غيره.

ملحق البحث:

قصيدة "عاهل الجزيرة في وادي النيل"[٢١]

حادٍ من البيد هزتني قوافله	والنيلُ يصغي إليه أو يساجله
يلقي الغناء حجازياً فتحسبهُ	تهجُّد الفجر أوَّابٌ يواصلهُ
أصغت له مصر، فاهتاجت سرائرُها	وللديار هوى تهفُو شواغله!
معلَّم كيف يُشجي الريح! كيف لها	تعيدُ تسبيح "داود" فواصلهُ!
وكيف تخطفُ سحر الشمس نغمته	فينتهي كل ما قصته "بابلهُ"
وكيف بالجبل الراسي مزامرُه	تشجيه حتى يريد الخطو كاهله
خرت لموكبه الوديان ساجدة	إن الصحاري أذان، وهو قائله!
وللجزيرة وحيٌ في قيَاثره	كادت تضيءُ به الدنيا أنامله
مهد النبوات أرض النور موطنه	وفي مزار الهدى قامت منازله
سار يهاب الضحى أنوار خطوته	ويعلمُ الفجر أن الركبَ حاملهُ
وتسمح الطير عنه، وهي شاردة	فإن دنا سِربُها قرَّت بلابله
حَبٌّ وماءٌ، وأعشاش، وأمنٌ حمى	فيه الغريب أخٌ والضيف آهلهُ
سألته: لمن الركبان سائرة؟	وللكريم اهتزاز إذ تسائله!
فقال: إني من الشرق الذي سطعت	ونورت منه للدنيا رسائله
من بقعة عُمدُ الإسلام في يدها	سواعد الدهر يعييها تطاوله!
مشى الرسول عليها فاغتدت حرماً	يجرد النفس للتسبيح داخله
وشع منها كتاب الله، فهي حمى	لا بد يسجد قبل الخطو نازله

(٢١) مجلة الرسالة العدد ٦٥٥، السنة الرابعة عشرة.

بنى عليها، وشاد الملك معتلياً … على المهابة، سيف عز حامله
عرش (الجزيرة) مركوز بقبضته … وفوق حدَّيه أجرى البأس عاهله!
تلألأت منه فوق النيل زاخرة … رُؤى جبين أضاءَته فضائلهُ
نورُ الشهادة تُبديه أسرَّتهُ … وهالةُ المجد تُضفيها حمائله
وحوله من سماء البيد شارقةٌ … من البداوة تذكيها شمائله
عطر النبوات نضَّاح على يده … كأنَّ خلداً زكَتْ فيه خمائله
وفوق عينيه للتوحيد بارقة … شعَّتْ ضياء بما تطوي دخائله:
شهادتان هما للرُّوح مرْفأة … فيها منارُ الهدى، فيها مشاعله!
البيرقُ الأخضر الرفراف ضمهما … هدْياً، ونوراً، لمن زاغت دلائله!
"الله أكبر" في الشَّطين هاتفة … كطير مكة إذ هاجتْ زَوَاجلهُ
رأيته وضفاف النيل تحمله … والنيل يهتزُّ للأبطال ساحله
في موكب تُفرح الإسلام عزَّته … وتلفتُ الشرق للماضي مخايله!
وتدهش الدهر إرهاباً بضجَّتها … ما خلَّفته على الوادي جلاجلهُ
ملكان في مفرق الدنيا ضياؤهما … عالي الركاب، رحيب الخطو، جائله
قاما على عزة للشرق شامخة … ومورد للعُلا فاضت مناهله
كانا شعاعين للأيام في زمن … كانت تغطُّ على ليل مجاهله
هذا على جبهة الصحراء صولجه … يفني الجبال إذا هبَّت تصاوله
عال مع الشمس، طواف بسيرتها … على الوجود نَداه أو جحافله!
وذاك تسحرُ كبرُ الخلد هيبته … بما بنى لبَني الدنيا أوائله
على مَحارب من نهر ومن شجر … أسحاره قانتاتٌ أو أصائله
كم كبَّرت لأذان الفجر نخلته! … وسبَّحت بهوى الباري سنابله!
يا سائران على نور، وخلفهما … قلب من الشرق تضنيه مشاغلُه

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٨هـ السنة الثالثة والثلاثون



مُـرًّا عليـه بسـحـر في أكُـفِّكُمـا دانـي التَّداوي، قريب البُرء، عاجلهُ
براحة في حواشيها وصفحتها طبٌّ الشعوب حَفيّ النور مائله
ما زال "رضوَى" يناجيها ويذكرُها عـهـداً إلى أبد الدنيـا يزامله
روته للشـرق كـشـبـان مـهللة وسطرته مـواثيـقـاً جنادله
عهداً من الحب هز الطود فارتجزت به الخيـام، وغنتـه قـبـائله!
ليث البوادي وحاميها وسيدها تاريخ سـيـفك إنشـاد تواصله
ضممتها وعصبت البأس في يدها وكنت غيـثـاً تغـاديهـا سـوابله
تعلقت بك حين الركب قـال: هلا وأوشكت بخطى النجوى تثاقله
وحين يممت كـاد البـحـر لجتـه تغدو بساط فلاً، غنت قوافله!
ركـبت بيـضـاء بالأرواح دارعـة جنان مـصـر لهـا تهـفـو بلابله
أحبابك ارتقبوها منذ ما سبحت "فـاروق" والنيل والوادي وآهله
جـرى النسيم سـعـودياً بجنتـه وللرياض هفت شـوقـاً هوادله
"عبد العزيز" إليك الحب، يدفعه وإذ ترفـرف بالبـشـرى خمـائله
حيتك منه سماء شاركته هوى بالغيث يفتر في الشطآن وابله
تحية البيد ساق الله فرحتها على يديك بشيـراً أنت حـامله
حـار العـبـاد أنجـديٌّ هـواؤهم والقطر والريح أنسـام تزايله
أم أنها فرحة الإسلام سار بها ركب المليكين في شوق يعـاجله؟!
عـبـيـر يثـرب تذكيـه مطارفـه وخيله العُرب تحكيها صواهله
هذا أذان العلا يا شرق! فاتحة يُراع منهـا غـويّ القلب غـافله!
ضيف الجزيرة، لا وصفاً ولا حلماً جِنان مـصـر جَنان أنت نـازله!
أخوك "فـاروق" راعيها وعـاهلها وأنت فـيـهـا أخ طـابت منـازله!

رسائل أعضاء الإرسالية التبشيرية الأمريكية في الخليج

التقرير الأول: "استئناف العمل في الكويت"

لـ جيريت ج. بيننجز (Gerrit J. Pennings)

ترجمة: تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود

مقدمة المترجم:

هذه سلسلة ترجمات لتقارير أعضاء الإرسالية الأمريكية التبشيرية في الخليج العربي، وقد نشرت في مجلة (الجزيرة العربية المُهمَلة - Neglected Arabia) التي صدر العدد الأول منها في يناير - أبريل ١٨٩٢م (١٣٠٩هـ)، واستمرت إلى عددها الأخير في مارس ١٩٦٢م (١٣٨١هـ) بعد أن تغير اسمها إلى (الجزيرة العربية تدعوكم[1] - Arabia Calling).

وكان نشاط هذه البعثة منصبّاً على التنصير، وافتتحت فروعاً كثيرة لها في بلاد الخليج، وزار أعضاؤها معظم بلاد الجزيرة العربية. ولسنا بحاجة إلى أن نبيِّن ونشرح منهج هذه

(١) الترجمة الحرفية هي (الجزيرة العربية تنادي) ولكنها لا تؤدي المعنى المطلوب.

البعثة وتخطيطها واعتمادها سياسة النَفَس الطويل، فهذا بحث مستقل بذاته، وربما يرى القارئ بعض ملامح هذا كلّه من خلال ما كتبوه وترجمناه هنا، ولكن لا بد أن أُبيِّن الغرض من ترجمة ما كتبه هؤلاء، والفائدة منه.

أولاً: يجد الباحث الذي يدرس مناهج المُنصِّرين، الذين قدموا إلى هذا الجزء من بلاد المسلمين، من خلال ما تُرجِمَ هنا، ما يُساعده على فهم خططهم ومنهجهم وآرائهم إلى غير ذلك.

ثانياً: تحتوي هذه التقارير على معلومات تاريخية تفيد الباحث في تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ونجد فيها أحياناً تفاصيل لا ترد في غيرها من المصادر، فتكون أداة أخرى يسخِّرها الباحث لتبدو تلك الأحداث أو أولئك الأشخاص أكثر وضوحاً.

ثالثاً: قام كثير من أعضاء هذه الإرسالية بالسفر إلى جهات عديدة من جزيرة العرب، ويصف كل منهم في تلك التقارير ما رآه من المواضع والمدن، وهذه فائدة جغرافية للباحث في جغرافية الجزيرة العربية؛ فيُمكن لنا عد هذه التقارير رحلات مُصغَّرة.

رابعاً: كثيراً ما يُركِّز المُنصِّرون على الحياة الاجتماعية لتلك المُجتمعات التي يسكنون فيها، أو تلك التي يقومون بزيارتها، وهذه أيضاً تُفيد دارس علم الاجتماع والمؤرخ؛ فتجدهم يُركِّزون كثيراً على الحالة العلمية والدينية، من حيث تمسُّك الناس بالدين أو بعدهم عنه، إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية.

ولا بد لي أيضاً من تذكير القارئ بأنَّه يقرأ لُمنصِّر، وليس لرحالة شغفه حب السفر والاستكشاف والمغامرة، فلا يستغرب آراءهم وفكرهم. ولكن لنأخذ منهم الفائدة التاريخية أو الجغرافية أو الاجتماعية، مع علمنا بدوافعهم. ولعل أفضل مثال على ذلك هو ما كتبه تشارلز داوتي (Charles Doughty)، أو وليام بلجريف (William Palagrave) وغيرهما، فقد استفدنا منهما استفادة غير قليلة، مع ما كان لديهما من تعصُّب وعنصرية، فلا أقل من أن نقرأ هذه التقارير بتلك العين نفسها.

ولا بد لي أيضاً من توضيح ما اعتمدته من أسلوب في هذه الترجمات، ألا وهو ترجمة المعنى كما كتبه مؤلفه دون نقص، وإن كان هناك زيادة فإني أضعها بين معقوفين [ ]. ولم أعتمد الترجمة الحرفية؛ لأنها في كثير من الأحيان لا تؤدي المعنى في اللغة العربية كما هو في لغتها الأصل.

التقرير الأول: «استئناف العمل في الكويت»

لـ جيريت ج. بيننجز (Gerrit J. Pennings)(*)

تمهيد:

نُشر هذا التقرير في العدد الرابع والسبعين (يوليو - سبتمبر ١٩١٠م) من مجلة الجزيرة العربية المُهملة. وكاتبه قس أمريكي، عمل في الإرسالية أربعة وأربعين عاماً إلى أن تقاعد عام ١٩٤٩م (١٣٦٨هـ)(٢).

وكان الشيخ مبارك الصباح قد استدعى أطباء من الإرسالية الأمريكية إلى الكويت في يناير عام ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)، بعد أن التقاهم في الفلاحية(٣)، وكان حينئذ يُعالج عند الطبيب الخاص للشيخ خزعل، وقد استدعاه أيضاً إلى الكويت لإكمال علاجه من مرض السكري(٤). فقدموا إلى الكويت، وبعد الاتفاق الأولي مع الشيخ عادوا إلى البصرة

(*) G. J. Pennings, "Work at Kuwait Reopened," Neglected Arabia, 74 (July-September, 1910), p. 11-14.

(2) Lewis R. Scudder, "Rev. Gerrit J. Pennings, D.D.," Arabia Calling, 248 (March, 1960), p. 17-18.

(٣) الفَلاَّحِيَّة: منطقة تقع جنوب عربستان الواقعة حالياً غرب إيران. انظر: ج. لويمر، دليل الخليج: القسم الجغرافي، قطر: (د ن)، (د ت)، ج ٢، ص ٦٦٧ وما بعدها.

(4) W. H. I Shakespear, "Administration Report of the Political Agency, Kuwait, For the Year 1910," in Administration Report of the Persian Gulf Political Residency For the Year 1910, Superintendent Government Printing: Calcutta (1911), p. 94.

ليأتوا بالمعدات والأدوية. وهذا التقرير خاص بزيارتهم الثانية(٥).

وخلال وجود أفراد الإرسالية في الكويت وصل الملك عبدالعزيز ومعه بعض إخوته وأقاربه، في ٢٦ فبراير ١٩١٠م الموافق ١٦ صفر ١٣٢٨هـ. وكان سبب الزيارة - كما ذكر وليام شكسبير (William Shakespear) الوكيل السياسي البريطاني في الكويت - لإيضاح سوء التفاهم الناشئ عن غزوات لقبيلة العجمان في أراضي الشيخ مبارك عام ١٩٠٩م(٦). وكذلك للحرب التي كان سيشنها الشيخ مبارك والملك عبدالعزيز ضد قبيلة الظفير(٧). والتقى كاتب هذا التقرير وزميلاه الطبيب آرثر بينيت (Arthur Bennett)، والقس ج. فان إيس (J. Van Ess) بالأمير محمد بن عبدالرحمن أولاً، ثم بالملك عبدالعزيز فيما بعد.

نص التقرير:

في طريق عودته من البحرين في شهر يناير، رأى كاتب التقرير كلاً من: د. بينيت، والقس ج. فان إيس عند وصولهما إلى الكويت. فتساءل عن طريقة الاستقبال الذي سيحظيان

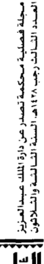
---

(٥) حول الزيارة الأولى انظر:

Arthur K. Bennett, "A New Beginning at Kuweit," Neglected Arabia, 73 (April-June, 1910), p. 12.

(6) Ibid., p. 90-91.

(٧) انظر: يعقوب عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت: دار مكتبة الحياة (د.ت)، ص ١٥٩؛ الملك عبدالعزيز آل سعود: سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الرياض: دار الدائرة للنشر والتوثيق (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، مج ١، ص ٣٣٥ وما بعدها.



بهـا، ولم يكن يعلم أنَّه سيحظى بكتابة نتيجة تلك الزيارة للمجلة، وأنه سيخبرنا عن نجاح بدء الأعمال الطبيَّة هناك.

لم يسمح الشيخ [مبارك] فقط ببدء العمل الطبي، بل ووعد بإرسال طرَّاده البحري لنقلهما من البصرة [إلى الكويت] بمجرَّد أن يكونا جاهزين [للقدوم]. وقد وفَّى بوعده، فقد أرسل الطراد بمجرَّد جاهزيتهما. ورغم أنَّ ذلك الطراد أخذ بعض الوقت لكي يعمل في البصرة، إلا أنَّه ما إن دار [محرِّكه] حتى انطلقنا دون أية عراقيل، فوصلنا إلى الكويت في اليوم التالي.

وكان الشيخ [مبارك] غائباً عند وصولنا، فقد كان يقود جيشاً[8] على وشك الهجوم على قبيلة [المنتفق] إلى الشَّمَال[9]. وتم إنزالنا في قصر فخم للشيخ حيث مكثنا أسبوعاً كاملاً. ومع أنَّه قد عاد بعد قدومنا بثلاثة أيام، إلا أنَّه لم يتحدَّث معنا فيما قدمنا من أجله ليومين أو ثلاثة أيام، وذلك وفقاً للعادات الشرقية.

وكنا نتوق للحصول على منزل خاص بنا، إلا أننا كنا نُصبِّر أنفسنا بأنه يجدر بنا أن نكون سعداء بانتظارنا لبضعة أيام إضافية مع قُربنا من هدفنا الذي صلَّت الإرسالية لتحقيقه، وانتظرته لسنوات.

---

(٨) لم يكن الشيخ مبارك يقود الجيش في تلك المعركة. انظر: الرشيد، السابق، ص ١٥٨؛ أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما، بيروت: دار الجيل (١٩٨٨م)، ص ١٨٥؛ Shakespear, op. cit., p. 93.

(٩) المقصود هنا (وقعة هدية) في ربيع الأول ١٣٢٨هـ/ مارس ١٩١٠م. انظر: الرشيد، السابق، ص ١٥٨؛ الريحاني، السابق، ص ١٨٤.

وبعد وصولنا بنحو أسبوع، أتى في المساء أخيراً أحد رجال الشيخ ليخبرنا أنه سيصحبنا إلى المنزل الذي وفَّره الشيخ لنا لنبدأ عملنا. ولا بد أن أعترف بأن آمالنا قد خابت لدرجة ما عندما رأينا المنزل. فقد كان كبيراً، ومن أحسن بيوت الكويت في زمن إنشائه، بل إنه كان منزل شيخ [الكويت] السابق، ولكنه أصبح الآن غير صالح للسكن، ولم ينزله أحد لسنوات. فقد غطَّت الأرض بضعة إنشات من التراب، وكذلك الجدران التي أدت دور المناشف لليدين فمال لونها إلى السواد، وزيَّنت الأركان الكثير من بيوت العناكب. ولا توجد نافذة إلا في غرفة واحدة فقط. وبعد قليل من الفحص اتَّضح أن المنزل ليس بذلك السوء الظاهر، وأنَّ بعض الترميم والصيانة ستجعله مكاناً مناسباً جداً لبدء عملنا. وبعد أسبوع تقريباً تغيَّر المنزل كلياً من الداخل، فقد فُرشت الأرض بطبقة سميكة من الإسمنت، وتم تبييض الجدران، وفُتحت نوافذ لإدخال أشعة الشمس، فأصبح المنزل بذلك مُناسباً للسُكنى وللأعمال الطبية.

كان عدد المرضى في البداية قليلاً إلى حدٍّ ما، فلم يكن عملنا قد شاع بعد، وكذلك كان يبدو على كثير من الناس نوع من الجفول منَّا، ساعد في التخفيف منه أننا تحت حماية الشيخ، الذي طلب من الطبيب القدوم إلى هنا، فبعد أسبوع أو اثنين تنامى عدد المرضى إلى خمسين أو ستين في اليوم الواحد وربما أكثر؛ فقد تمت في أحد الأيام مُعالجة خمسة وتسعين مريضاً.

مُنيت قوات الشيخ التي شنت ذلك الهجوم [على المنتفق] بعد وصولنا إلى الكويت بنحو أسبوعين بهزيمة فادحة، فأتانا بعدها، وعلى مدى أسابيع، عدد غير قليل من الجرحى للعلاج اليومي. وقد صمم الشيخ فوراً بعد تلك الهزيمة على شنٍّ هجوم آخر، ولكن بقوات أكبر بكثير هذه المرَّة ؛ ولذلك فرض ضريبة كبيرة على أهل البلد، وجنَّد الكثير منهم، مما سبَّب بعض الاضطراب(١٠)، فانخفضت إلى حدٍّ كبير أعداد المرضى [المُراجعين] لبعض الوقت. فلو كان الوقت وقت سِلْم لوصل عدد المرضى إلى أكثر بكثير من هذا دون شك. ومع ذلك فقد تمَّ علاج ألف وخمسمئة مريض في الشهرين الأولين، ونحن نشعر أن تلك كانت بداية جيدة في هذا المكان الذي مُنعنا عنه من قبل.

وحصلت الإرسالية من الشيخ أيضاً على عقد إيجار للمنزل لمدَّة خمس سنوات، وقد تم تسجيل العقد، بناءً على اقتراح الشيخ نفسه، في مكتب الوكالة السياسية البريطانية في الكويت(١١). فقوي بهذا موطئ قدمنا هنا إلى حدٍّ بعيد. ويعني هذا أن الإرسالية خطت خطوة أكبر في مكان بدأ فيه

(١٠) انظر حول هذه الضرائب:

Shakespear, op. cit., p. 93-94; P. Z. Cox, "Annual Report of the Persian Gulf Residency For the Year 1910," in Administration Report of the Persian Gulf Political Residency For the Year 1910, Superintendent Government Printing: Calcutta (1911), p. 9.

(١١) ذكر المقيم السياسي البريطاني في الخليج في تقريره أن الإرسالية قبلت أن تؤجر بشروط وضعها الشيخ مبارك والوكيل السياسي البريطاني. انظر:

Cox, op. cit., p. 10.

عملنا صغيراً، ومُنعنا عنه لسنوات، ثم استأنفناه مُجدداً، فقد كسبنا كما يبدو وضعاً أكثر قوة من السابق.

ولا يتطلّب الأمر أكثر من إقامة قصيرة في الكويت لإدراك مدى أهميتها للعمل التبشيري، وللوصول إلى المسلمين في المقام الأول. فلا يوجد على الأرجح ميناء آخر على الخليج تجد فيه هذا التأثير للإسلام على الناس. ومع وجود شخص أجنبي واحد في المدينة (الوكيل السياسي البريطاني)[١٢]، ومع عدم وجود تجارة مُعتبرة مع العالم الخارجي لم يشعر أهلها بالتأثيرات التي كانت قد سبَّبت في مدنٍ أخرى الإعراض والانصراف عن الالتزام الديني؛ فإذا كان هنَاك رجلٌ واحدٌ يؤدي الصلاة في البصرة، فإن في الكويت عشرة رجال يقابلونه، فعندما تسير على الشاطئ وقت الغروب ترى أن كل سفينة تقريباً مملوءة بالمُصلِّين، حتى الأطفال الصغار تراهم يؤدّون الصلاة، وهذا ما لم أره من قبل.

عندما تسير على الشاطئ وقت الغروب ترى أن كل سفينة تقريباً مملوءة بالمصلين

وبالرغم من عدم وجود منارات، فإن المساجد كثيرة، وكلها يصلي بها عدد كبير. وعندما يسير المرء في الشوارع أثناء النهار، يسمع بين الفينة والأخرى طنين أصوات الأطفال يرتلون القرآن في المدارس، وهناك شخص كان قد أتى بابنه للعلاج عند الطبيب، ثم أصبح ودوداً جداً معنا فيما بعد، كان

(١٢) هذه المعلومة تحتاج إلى تدقيق، فقد كانت هناك بعثة طبية بريطانية في الكويت قبل قدوم الإرسالية الأمريكية. انظر:

Shakespear, op. cit., p. 95.

في منزله مدرسة للبنات الصغيرات يتعلمن بها القرآن. فهناك تمسُّك كبير بالواجبات الدينية، مما يوضِّح في الوقت نفسه النتائج الشريرة لهذا الدين واضحة عليهم(١٣).

وأؤكد مرة أخرى أنَّ الكويت قاعدة مهمَّة لامتداد عملنا إلى البلاد الداخلية [من الجزيرة العربية]، ونظرة إلى الخريطة تُثبت ذلك؛ فهي تقع على رأس طريق القوافل، وهي واحدة من المداخل الطبيعية لأواسط الجزيرة العربية. ودائماً ما يكون هناك الكثير من البدو يخيمون خارج المدينة، يأتون إليها للتجارة، فيمكثون لمدَّة ثم يعودون إلى الصحراء. ويوجد إلى جانب هذا صلات وثيقة بين الكويت ونجد، وتجارة القوافل سائرة بينهما بشكل مستمر، فكثير مما يصل [إلى الكويت] من البضائع يجد طريقه إلى داخل الجزيرة العربية، وكثير من سكان الكويت قد زاروا نجداً في وقت أو آخر، كما أن عدداً غير قليل منهم وُلِدَ فيها.

وغالباً ما يزور بعض حكام نجد الأقوياء الكويت، فعندما كنا في قصر الشيخ [مبارك] زارنا في حجرتنا محمد [بن عبدالرحمن] أخو حاكم جنوب نجد، وكان ودوداً جداً معنا. ثم كان لنا الحظ فيما بعد أن زُرنا عبدالعزيز بن سعود، الحاكم شخصياً، في خيمته؛ فهو حالياً في الكويت لمساعدة شيخها في حروبه.

---

(١٣) من المُنتظر أن يصدر هذا الكلام من مُنصِّر يكره أن يرى المسلمين متمسِّكين بدينهم. فهو يرى أن تمسّكهم بدينهم وحرصهم عليه يجعل تقبُّلهم لما أراد أن يبثّه بينهم أصعب وأكثر تعقيداً مما هو الحال عند غيرهم.



من اليمين: تركي الأول بن عبدالعزيز، ثم عبدالله بن عبدالرحمن
التُقطت هذه الصورة في قصر الشيخ مبارك(١٤)

ويتَّضح مما سبق أن العمل التبشيري المُنظَّم في الكويت لا بد أن ينجح في مدِّ التأثير على القسم الشرقي كله من الجزيرة العربية، بل وإلى نجد نفسها. ويبدو لي أن الأمل الوحيد في وصول العمل التبشيري إلى داخل الجزيرة بشكل فعَّال وأبدي، هو التركيز على العمل المُؤثِّر في مركز استراتيجي كالكويت، وستضعف بهذه الطريقة المعارضة

(١٤) ورد في الأصل أنها صورة لابني العائلة الحاكمة في نجد، ولم تحدَّد الأسماء.



والكُره اللذان نواجههما؛ لأن من نُعالجهم هنا سيعودون إلى قلب الجزيرة، وسيصبح الطريق جاهزاً [بسببهم] لاستقرار بعثة تبشيرية في نجد نفسها بشكل نهائي.

كنا في الماضي ندعو من أجل أن تُفتح لنا أبواب الكويت، وهاهي قد فُتحت لنا على مصراعيها، واستُجيبت دعواتنا؛ فالآن يمكننا بوصفنا إرساليةً وكنيسةً تتمتَّع بالكياسة والحكمة، أن ندخل ونمتلك الأرض من أجل المسيح(*).

(*) تمكن الملك عبدالعزيز - رحمه الله - من الاستفادة من أطباء الإرسالية الأمريكية رغم إدراكه طبيعة عملهم الدينية، واشترط عليهم عدم التعرض للمسائل الدينية بأي شكل من الأشكال. ونتج عن ذلك خدمة المواطنين السعوديين بإتاحة خدمات علاجية متعددة لهم دون تسجيل أي نشاط تنصيري في المملكة كما كان يتمناه أولئك الأطباء. انظر بول أرميردينغ: أطباء من أجل المملكة، ترجمة د. عبدالله بن ناصر السبيعي، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز (١٤٢٥هـ).

التعريف بما أنْسَت الهجرة من معالم دار الهجرة

للمؤرخ جمال الدين محمد بن أحمد المطري (ت ٧٤١هـ)

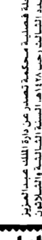
دراسة وتحقيق أ. د. سليمان الرحيلي

دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

مراجعة: د. محمد عبدالله القدحات
قسم التاريخ - كلية التربية للبنات بحفر الباطن

كان ظهور تاريخ المدن بصفته نمطًا من أنماط الكتابة التاريخية استجابة موضوعية للظروف التي استجدت في القرن الثالث الهجري والقرون التي تلته، والمتمثلة بالتمزق السياسي الذي حلّ بالعالم الإسلامي. فبدأت النزعة الإقليمية والرغبة الاستقلالية من قبل بعض الولاة تبرز فوق سطح الأحداث، وتجسدت هذه الحقيقة في تلك الدويلات التي قامت على حساب الخلافة العباسية في المشرق والمغرب.

حاول حكام هذه الدويلات والمدن ترسيخ دولهم وإماراتهم بإيجاد مناخ ثقافي، فحرصوا على استمالة كبار العلماء في مختلف العلوم واستقدامهم، وجعلهم في جملة حاشيتهم وندمائهم. هذا التشجيع ذو الطابع السياسي أحال تلك المدن بمرور الزمن إلى مراكز ثقافية لا يمكن إغفالها، تنافس العاصمة (بغداد).



كان التاريخ ميداناً من ميادين المنافسة الثقافية التي ركز فيها الحكام جهودهم، لما للتاريخ من أهمية في ترسيخ نظامهم السياسي. فظهر استجابة لذلك مؤرخون أرخوا للمدن محاولين إظهار أهميتها في أحداث التاريخ والحضارة الإسلامية.

إضافة إلى ما سبق فإن العصبية بين أهل المدن سواء كانوا من المُحدِّثين أم من غيرهم بقصد إظهار قدراتها العلمية وتفوقها على المدن الأخرى كان عاملا آخر في ظهور هذا النمط من الكتابة التاريخية، وقد أشار الجاحظ إلى هذا الأمر بوضوح في رسالته "الحنين إلى الأوطان"[1]. لقد أدت هذه العصبية إلى مفاخرات احتلت في كثير من الأحيان المكان الذي احتلته المفاخرات القبلية في القرن الأول. يشير السهمي (ت ٤٢٧هـ) في مقدمته لتاريخ جرجان أن العصبية لمدينته هي التي دفعته إلى الكتابة عنها[2]؛ فكان هذا النوع من الكتابة وليد إظهار الانتماء والولاء للمدينة أو الإقليم الذي ينتمي إليه المؤرخ. هذا الإحساس عبّر عنه المؤرخ أبو علي الحسين السلامي (ت ٣٧٤هـ) في كتابه "أخبار ولاة خراسان"، بقوله: "الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جمل أبنائها، ويحفظ



(١) الجاحظ، أبو عمر عثمان بن بحر، الرسائل، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٤، ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) السهمي، تاريخ جرجان، ص ٣.

أيام أمرائها، لا شيء أزرى عليه من أن يجهل أخبار أرضه، ولعله يتطلب أخبار غيرها، ويكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل"(٣).

لذا كان الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة تعبيراً أدبياً محبباً عن شعور الجماعة، ولقد عبرت المجتمعات التي تكون العالم الإسلامي كافة عن الرباط الوثيق الذي يربط الناس بمكان مولدهم؛ لذا يلحظ أن بدايات التواريخ المحلية نشأت من الاعتبارات الدينية والفقهية(٤).

حظيت المدينة المنورة على مر العصور باهتمام خاص من المؤرخين الأقدمين والباحثين المعاصرين، فسجلوا أخبارها وأحداثها، ووصفوا معالمها المختلفة: الطبوغرافية، والعمرانية، وخططها. كما سجلوا نشاطها الثقافي والعلمي، إلى جانب رصد مظاهر الحياة الاجتماعية فيها. كما شهدت الفترة المعاصرة إقبالا من الباحثين على تحقيق بعض المخطوطات التي تتعلق بالمدينة. لكن بعض هذا الجهد بحاجة إلى إعادة نظر، بل بحاجة إلى إعادة تحقيق من جديد؛ لأن بعض من عَمِل في هذا المجال ليس من المختصين في تحقيق التراث، أو ليس لهم المهارات الكافية في هذا المجال، خاصة في ضبط أسماء الأعلام والأماكن، وتخريج النصوص، خاصة الحديث النبوي.

---

(٣) أبو الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ، منشور ملحقا لكتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م، ص٤٤٣.

(٤) فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣م، ص ٢٠٦.

إن هذا الاهتمام الذي حظيت به المدينة المنورة عائد بالمطلق إلى المكانة الدينية التي تتمتع بها المدينة في نفوس المسلمين عامة، شأنها في ذلك شأن مدن أخرى كمكة وبيت المقدس، "فهي من المدن الثلاث التي ذكرها الحديث التي "لا تشدّ الرحال إلا إليها"[٥].

كان أول من صنف في تاريخ المدينة محمد بن زبالة[٦]، وضع كتابه سنة (١٩٩هـ). ثم توالت المؤلفات في تاريخ المدينة. منها: كتاب "أخبار المدينة" لعمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ)[٧]. ثم يذكر السخاوي[٨] عددا كبيرا من المصنفين الذين صنفوا في تاريخ المدينة. نذكرهم بإيجاز: المفضل بن محمد الجندي (ت ٣١٠هـ)[٩]، والشريف يحيى بن الحسن الحسيني العلوي، وكذلك المحبّ بن النجار وسماه "الدّرة الثمينة في أخبار المدينة"، ذيل عليه أبو العباس الغرافي: ولأبي اليمن ابن عساكر "إتحاف الزائر". ولأبي محمد القاسم بن عساكر "الأنباء المبينة في فضل المدينة"، وكذلك الجمال محمد بن أحمد بن خلف المطري. ويذكر السخاوي ابنا للمطري يدعى عبدالله له كتاب سمَّاه "الإعلام فيمن دخل

(٥) اقتباس من الحديث النبوي: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى". البخاري، ج٢، ص٦٥٩، مسلم، ج٢، ص١٠١٤.

(٦) روزنثال، علم التاريخ، ص ٢٠٦.

(٧) أبو الفرج محمد بن إسحاق المشهور بابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م، ص ١٢٥.

(٨) انظر: السخاوي، ص٦٤٢ - ٦٤٣.

(٩) روزنثال، علم التاريخ، ص ٢٠٦.

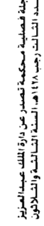
المدينة من الأعلام". وصنف محمد بن عبدالملك المرجاني كتاب "تاريخ المدينة". ومحمد بن صالح بن النطاح، ورزين بن معاوية، والزين المراغي، وعنوان كتابه "تحقيق النصرة بتلخيص دار الهجرة". وللفيروزآبادي "المغانم المطابة في فضائل طابة". ويلحظ مما سبق أنه لم يمر قرن من الزمان إلا وحظيت المدينة وتاريخها بكتاب أو أكثر.

سنعرض في هذه الوقفة لكتاب "التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة" لجمال الدين محمد بن أحمد المطري (٧٤١هـ)، تحقيق أ. د. سليمان الرحيلي، الذي نشرته دارة الملك عبدالعزيز ضمن سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة، تحت رقم ١٧٨. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). ودراستنا تقسم قسمين، القسم الأول يختص بالكتاب، والآخر يتناول عمل المحقق.

أولاً: تعريف بالمؤلف والكتاب

وضع المحقق ترجمة وافية لمؤلف الكتاب، نذكر منها على سبيل الاختصار أن اسم المصنف أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد المطري. ولد عام ٦٧١هـ في المطرية التي كانت وقت ذاك على مشارف القاهرة، وفيها نشأ وتعلم، وصار أحد العارفين بالمواقيت حيث ورثها عن والده. تتلمذ المطري على شيوخ عصره في القاهرة، ثم سافر إلى مكة والمدينة التي اتخذها موطنا له، فعاش بها حتى وفاته سنة ٧٤١هـ.

أما الكتاب فيقع في ٢٧٧ صفحة من القطع المتوسط، يمكن تقسيم محتوياته إلى قسمين: القسم الأول جهد المحقق



الذي يتكون من: مقدمة تعريفية بالكتاب، ودراسة لحياة المؤلف، ومنهجه في التحقيق، وخريطة أثرية تقريبية للمدينة المنورة، ورسم إرشادي لمناطق المدينة القديمة، وقائمة بالمصادر التي اعتمدها في الدراسة والتحقيق، وكشافين: كشاف الأعلام، وكشاف للأماكن. ويقع هذا الجهد تقريبا في (٧٢) صفحة. أما الجزء الثاني فهو مادة الكتاب، وتقع في (١٩٥) صفحة.

مادة الكتاب وسبب تأليفه وتسميته بهذا الاسم:

أما مادة الكتاب فتتكون من ثمانية وعشرين عنوانا، تناول في الثلاثة الأولى ما جاء في فضل المدينة وفضل قبر الرسول ﷺ في كتب الحديث وخاصة عند البخاري ومسلم. ثم تناول في العناوين التالية خطط المدينة المنورة: المسجد النبوي، مصلى النبي ﷺ، الاسطوانات التي كانت على يمين مصلى النبي ﷺ، الخوخ والأبواب التي كانت في المسجد، البقيع، المساجد المعروفة في المدينة، الآبار التي تنسب للنبي ﷺ، أودية المدينة، المساجد التي صلى فيها النبي ﷺ بين مكة والمدينة، وتلك التي صلّى بها بين المدينة وتبوك، كما تحدث عن المساجد غير المعروفة في المدينة، وذكر كذلك المشهور من المساجد في الغزوات.

وعن سبب تصنيفه الكتاب وتسميته هذا الاسم، يذكر المطري أن السبب الرئيس حرصه على حفظ تاريخ المدينة والمعلومات التي تتعلق بها بعد أن "خلت [يقصد المدينة المنورة] ممن يعرف معالمها وأخبارها، ويعرف معاهدها

وآثارها، فذكرت في هذا المختصر من ذلك ما عرفته، وبعض ما ورد في فضلها وأسندته"[١٠]. فهو يريد أن يعرف بأخبار المدينة وخططها بعد ما نال تلك المعالم من النسيان.

مصادره:

لم يكن المطري في كثير من رواياته عبئا على من سبقه من المؤرخين، نقلا أو تلخيصا، بل جاء كتابه أصيلا في مادته ومضمونه، فكان مصدرا لمن جاء بعده من المؤرخين. اعتمد المطري كثيرا على جهده الفردي ومخزونه الثقافي، فاهتم بالرواية الشفوية والنقل المباشر عن أصحابها إذا كانوا من المعاصرين، أو بوساطة شيوخه الذين عاصروا الحدث أو المصدر الشفوي الذي يريد النقل عنه، فقد اعتمد الرواية بالسند، وطالت سلاسل بعض أسانيده، وخاصة في رواية الحديث، فقد حرص عند نقله عن شيوخه على تتبع أسانيدهم إلى أن يصل إلى الراوي الأول للحديث أو الرواية، فعرَّف المطري العديد من الموارد التي استخدمها في كتابه، سواء أكانت تلك الموارد شفوية أم خطية، فكان إذا أخذ من كتاب أشار إلى اسمه واسم مؤلفه. وتبدو الإشارات في بعض الحالات مبتورة أو ناقصة، كالإشارة إلى المؤلف دون ذكر اسم كتابه الذي نقل عنه. وفي نموذج آخر أشار المطري إلى اسم المؤلف دون الإشارة إلى اسم الكتاب.

(١٠) التعريف، ص٤١.

لذا يمكن تقسيم مصادره إلى نوعين:

أ - السماع والمشاهدة:

قام منهج المطري على استعمال الإسناد والعناية به ما أمكنه ذلك، واستعمل في كثير منها صيغا تدل على السماع والحضور والمشاهدة. ومن تلك الألفاظ: "أخبرني"، "أخبرنا"، "قرأت". ومثل هذه الألفاظ تتكرر كثيرا عبر صفحات الكتاب.

ب - الكتب:

اعتمد المطري في رواياته كثيرا على كتب من قبله عن المدينة المنورة، مثل تاريخ ابن زبالة، و"الدرة الثمينة في تاريخ المدينة" لابن النجار، الذي اعتمد عليه في أغلب رواياته. وكتب الحديث كصحيحي البخاري ومسلم. كذلك نقل من كتب التاريخ والأنساب، مثل: مؤلفات الزبير بن بكار ومحب الدين الطبري في كتابه "ذخائر العقبى"، وابن كثير في "البداية والنهاية".

منهج المطري في كتابه:

انعكست صلة المطري بالمدينة بشكل واضح على صفحات الكتاب من خلال ما قدمه من معلومات مهمة عن خططها من محلات ودروب، فقد استقر بها إلى وفاته، فلم يعرف عنه أنه غادرها إلا في رحلات قصيرة. هذا الالتصاق بمدينته جعله عارفاً بتفاصيلها العمرانية ومراحل تطورها حتى عصره، مبينا ما اندثرت آثاره، محددا موقعه في حياته،

فعلى سبيل المثال عندما ذكر بئر "حاء"، يقدم تفصيلا عن موقعه لا يستطيع أن يقدمه إلا من زار المكان، وشاهد الموقع بعين خبيرة في تفاصيل خطط المدينة. يقول[١١]: "هذه البئر وسط حديقة صغيرة فيها نخل جيد، وهي شمال سور المدينة الشريفة، بينها وبين السور الطريق، وتعرف الآن بالنويرية، اشتراها بعض نساء النويريين، ووقفها على الفقراء والمساكين والواردين لزيارة سيد المرسلين".

ويلحظ على المطري اتباعه أسلوب الواقعية والدقة في النقل - إلى حد ما - في الكتابة، فهو يروي الأخبار كما سمعها، أو كما هي على حقيقتها في مصادرها؛ لهذا ليس المقصود بدقة النقل هنا نقل النصوص حرفياً، بل نقل المعلومات بصورة صحيحة، بحيث لا تجد اختلافاً في المادة التاريخية عند المقارنة مع مثيلاتها في المصادر الأخرى.

ولا يكتفي المطري بالنقل سواء مشافهة أو من مصادر، بل نجده في مواضع كثيرة يقدم رأيه محللا وناقدا، معتمدا في ذلك كلّه على مصادر مشهورة. ففي حديثه عن تسمية المدينة يثرب يقول: "وقد كره العلماء تسميتها يثرب لقوله ﷺ: "يقولون يثرب وهي المدينة"، ولما رواه الإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: "من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة". وتسميتها في القرآن يثرب حكاية عن قول من قالها من المنافقين والذين في قلوبهم مرض. ص٥٧. ثم يحدد موقع

(١١) التعريف، ص١٥٥.

يثرب بالنسبة للمدينة "وهي اليوم معروفة بهذا الاسم، وفيها نخيل كثير لأهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم، وهي غرب مشهد أبي عمارة حمزة بن عبدالمطلب، وشرقي الموضع المعروف بالبِركة، مصرف عين الأزرق، ينزلها الركب الشامي"(١٢).

كما نجد المطري ينتقد حتى المصادر المكتوبة التي نقل عنها، ففي حديثه عن مسجد "الضِرار" يقول ناقدا ما أورده ابن النجار في "الدرة الثمينة": "وما ذكره الشيخ محب الدين بن النجار أنه موجود قريب من مسجد قباء، وهو كبير وحيطانه عالية، وكان بناؤه مليحا، فهذا وهم لا أصل له"(١٣).

وترد في تضاعيف الكتاب كثيرا كلمة "وقلت". هذه الكلمة عندما ترد يلحظ أن المؤرخ المطري يقدم تفصيلا عما يتحدث عنه من معلوماته المعاصرة التي وعتها ذاكرته. إن هذه الروايات أو المعلومات هي التي تعطي أهمية لكتابه، وتعكس فهمه لما يتحدث عنه، فهي معلومات أصيلة في مضمونها ومحتواها لا نجدها عند غيره ممن أرخ للمدينة المنورة؛ لأن الاعتماد على النقل عامة لا يظهر قدرات الكاتب أو المؤرخ، بل يظهرها ما يضيفه من معلومات جديدة تشكل مع معلومات من سبقه لبنات متراكمة، تسعف من يأتي بعدهم في رسم صورة واضحة المعالم للموضوع المراد بحثه.

وإذا عدنا إلى فحوى الكتاب - فكما أشرنا سالفا - فإنه يقدم وصفا دقيقا لخطط المدينة، معتمدا في البداية على

---

(١٢) التعريف، ص٥٨.

(١٣) التعريف، ص١٣٢.

جهد من سبقه، جاعلا ذلك مقدمة لتفصيلات يوردها من مشاهداته وملحوظاته. فتحدث عن منبر الرسول ﷺ ومراحل إعادة ترميمه وبنائه عبر العصور الإسلامية حتى عهد دولة المماليك، ثم تحدث عن أبواب المسجد النبوي منذ أن كانت ثلاثة أبواب في عهد النبي إلى أن صارت ثمانية. كما تحدث مفصلا عن البقيع محددا موقع قبور كبار الصحابة. كذلك تحدث عن المساجد في المدينة وأحصاها بعشرة مساجد، هي: قباء، الجمعة، الفضيخ، مسجد بني قريظة، ومسجد مشربة أم إبراهيم، ومسجد بني ظفر، مسجد بني معاوية، الفتح، القبلتين. كما ذكر مسجد الضرار، مبينا أن لا أثر له. كما أشار إلى مصليات العيد التي صلى بها الرسول ﷺ.

وتحدث مطولا عن الآبار الموجودة في المدينة وتنسب للنبي ﷺ. ثم تحدث عن أودية المدينة، مفصلا الحديث عن وادي العقيق، فقد خصه بعنوان "ذكر وادي العقيق وفضله". وختم المطري حديثه عن خطط المدينة بتحديد حدود الحرم المدني. وتناول المطري في نهاية كتابه المساجد التي صلى بها النبي ﷺ بين مكة والمدينة، وتلك التي صلى بها بين المدينة وتبوك، والتي صلى بها في غزواته. وهذا جهد إضافي بذله المطري، فقد قام بزيارات لتلك المساجد، وعاين مواقعها بنفسه، ويتضح ذلك بجلاء من تحديد مواقعها، وما طرأ عليها في عهده.

ملحوظات على بعض ما أورده من روايات:

رغم حرص المطري على مصداقية مادة كتابه، إلا أنه وقع في بعض الهنات التي لا تتفق مع الجهد الذي بذله في تتبع مصادر رواياته، فأورد بعض الروايات التي تظهر فيها المبالغة، كقصة سقوط خاتم الخليفة عثمان ﵁ في بئر أريس. يقول: "وكان ذلك لتمام ست سنين من خلافته، فمن ذلك اليوم حصل في خلافته من اختلاف الأمر لفوات بركته في خاتمه ﷺ"(١٤).

كما أورد أقوالا لم تخلُ من بعض التطرف والمغالاة، ففي حديثه عن زيارة قبر الرسول ﷺ أورد صيغا فيها من التوسل والغلو ما لا يجوز، وينقل المطري قصيدة لا يشير إلى صاحبها، فيها من الغلو ما لا يتفق مع عقيدة المسلم، فالمنجي هو الله واتباع سنة نبيه لا التبرك في قبره. منها:

فالآن ليس سوى قبر حللت به	منجى الطريد وملجا كل معتصم
نقبّل الترب إجلالا لساكنه	فكل موطئ أقدام مقر فم
هذا عطاؤك فاغمرنا بمنهله	فقد مددنا أكف الفقر والعدم
فالعفو شيمتك العظم التي اشتهرت	إذ كانت الموبقات الدّهم من شيم

ومن ذلك أيضا ما أورده من فضل الوقوف عند القبر الشريف، إذ يورد المطري قولا ينسبه إلى أبي فديك - ولم يعرف به ويورد النص بلفظ تمريضي - أنه قال: "بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

---

(١٤) التعريف، ص١٥١.

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقال: صلى الله عليك يا محمد، حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، لم تسقط له حاجة".

وعلى الرغم من حرص المطري الشديد وتمسكه بالإسناد، إلا أنه أورد عددًا من الأحاديث الضعيفة، وقد بذل الأستاذ المحقق جهدا واضحا في تخريجها، وإثبات ضعفها اعتمادا على المصادر المختصة بذلك، ومن هذه الأحاديث: "المدينة مضجعي، وفيها مبعثي"[١٥]، "غبار المدينة شفاء من الجذام"[١٦]، "اصبروا يا أهل المدينة، وأبشروا؛ فإني باركت على صاعكم ومدكم"[١٧]، "خرج موسى وهارون عليهما السلام حاجين أو معتمرين"[١٨]، "أُحد ركن من أركان الجنة"[١٩].

على الرغم من حرص المطري على الإسناد، إلا أنه أورد عدداً من الأحاديث الضعيفة

ثانيا: عمل المحقق، ونتناول:

الأسباب التي دفعته لإعادة نشر الكتب:

من المعروف أن كتاب "التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة" نشر مرتين: الأولى عام ١٣٧٢هـ، والطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، قام على نشره أسعد درابزوني، وحققه من

(١٥) التعريف، ص٥٤.

(١٦) التعريف، ص٥٤.

(١٧) التعريف، ص٥٥.

(١٨) التعريف، ص١٢٤.

(١٩) التعريف، ص١٢٤.

جديد عبدالله بن سليمان اللهيب ضمن متطلبات درجة الماجستير في التاريخ من جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٤٠٨هـ، ولم ينشره.

هنا نطرح سؤالا، طالما أن الكتاب نشر، فما الفائدة من بذل جهد في كتاب نُشر متنه أو حُقق من قبل؟. يجيب المحقق - وكأنه كان يتوقع مثل هكذا استفهام - فيقدم أدلته التي كانت وراء إعادة تحقيق الكتاب ونشره من جديد على أن الكتاب لم يخدم كما يجب. فيذكر الرحيلي أن النسخة المطبوعة الأولى باعتناء درابزوني خلت من أي تحقيق أو ضبط أو دراسة، بل زيد فيها نصف صفحة ليست من الكتاب، كما اشتمل على كثير من الأخطاء والتصحيفات.

أما المآخذ على الأستاذ اللهيب في عمله - كما يذكرها الرحيلي - فأهمها اعتماده على نسخة واحدة في التحقيق، وعدم اطلاعه على النسخ الأخرى، رغم أنه أشار إلى أنه اطلع على نسخ من الكتاب، لكنه "لم يجد بينها اختلافا". لكن يجب ألاَّ نحمل طالبًا مبتدئًا في مجال التحقيق أكثر مما يحتمل، فالمسؤولية تقع على من يتابع عمله أيضا، فهو في مرحلة التدريب، فكان لاعتماده على نسخة يتيمة من نسخ الكتاب أن وقع في كثير من الهِنات سواء المنهجية أو في ضبط النص، كما فُقد في عَمله مقارنة النصوص من مصادرها.

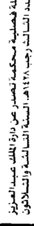
ملحوظات إيجابية على عمل المحقق:

١ - يلحظ أن محقق الكتاب بذل جهدًا طيبا في ضبط النص، معتمدًا في ذلك أربع نسخ من المخطوط، جعل النسخة المعتمدة في التحقيق أقرب النسخ إلى حياة المؤلف، تلك التي نسخت بعد وفاة المؤلف بسنتين ٧٤٣هـ، والمحفوظة في مكتبة الشيخ عارف حكمت برقم (٣٨١٥) ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة، إذ يصفها المحقق بأنها خلت من النقص والخرم، وأنها أجيزت مقابلة وسماعا على نسخة المؤلف لقرب تاريخ نسخها. قارن هذه النسخة على ثلاث أخرى، يصفها المحقق بأنها قليلة الاختلاف عن نسخة عارف حكمت.

٢ - يظهر كذلك الجهد الذي بذله محقق الكتاب في تثبيت النقول من مصادرها الأساسية التي نقل منها المؤلف، كما بذل جهدا واضحا في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، والحكم على صحتها من عدمه بالرجوع إلى المصادر المختصة في هذا المجال.

٣ - بذل المحقق جهدا كذلك في ضبط أسماء الأعلام والأماكن الواردة في نص المخطوط؛ إذ لم يكتف المحقق في التعريف بالأماكن بما ورد في المصادر، بل اعتمد المشاهدة والزيارة لبعضها سواء في المدينة أو خارجها، وهذا يعطي عمل أستاذنا المحقق الأصالة في العمل.

٤ - ضبط الأستاذ المحقق الكلمات والمصطلحات التي يمكن أن تقرأ بصور عدة، معتمدا في ذلك على المصادر سواء المعاجم أو كتب التراث.



٥ - لم يُلحظ على عمل المحقق تدخله في النص، إلا في بعض الحالات التي يجب أن يتدخل بها المشتغل بتحقيق التراث بحذر، كإيجاد رابط بين الجمل أو غموض في النص، كل ذلك بالعودة إلى المصادر التي اعتمدها المؤلف في كتابه؛ فالنص ملك لصاحبه، وجهد المحقق يجب أن لا يتعدى إخراج النص سليما من الأخطاء بأنواعها. فلا يقاس الجهد بكثرة التعليقات والحواشي التي تثقل النص المُحقق، حتى لتجد في بعض الأعمال المحققة أن الحواشي والتعليقات أكثر من حجم المخطوط.

ملحوظات كان على المحقق أن يتداركها:

١ - كان ينبغي على المحقق وضع كشاف بالأحاديث التي وردت في متن الكتاب، خاصة أن الأحاديث تمثل العمود الفقري الذي بنى عليه المؤلف كتابه.

٢ - قام المحقق بشرح بعض الألفاظ والمصطلحات، لكنه على غير عادته في ضبط الألفاظ لم يذكر المصادر التي اعتمدها. مثال على ذلك ما ورد في الصفحة ٥٠: هامش١، وهامش ٢.

ختاما، فالكمال لله وحده. والكتاب بمجمله له قيمة تاريخية بين ما صنف عن المدينة المنورة، وبما فيه من معلومات إضافية معاصرة قدمها المؤلف من تجاربه وزياراته وملحوظاته. كما أن أستاذنا سليمان الرحيلي قد بذل جهدا كبيرا في ضبط النص ومقارنته بالمصادر، وتخريج الأحاديث النبوية، مثل هذا الجهد لا يقدمه إلا من كان من أهل الدراية والدربة في تحقيق التراث.

تعقيب على مراجعة الدكتور عبد الله المنيف

لتحقيق "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب"

ما أسعد الكاتب أن يجد من يهتمَّ بما كتب، ويبدي ملحوظات على كتابته، ذلك أن المستفيد الأول مما يُبدَى من ملحوظات هو الكاتب نفسه. وفائدة القارئ هي الهدف المنشود للكاتب ولمن أبدى تلك الملحوظات.

وأخي الكريم الدكتور عبدالله بن محمد المنيف تكرَّم، فاهتمَّ بالكتاب الذي حقَّقه كاتب هذه السطور، وطبعته دارة الملك عبد العزيز مشكورة عام ١٤٢٦هـ؛ وهو كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب"، وأبدى ملحوظات عليه نشرت في مجلة الدارة (العدد الأول - السنة الثالثة والثلاثون ١٤٢٨هـ).



قراءة في كتاب

لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب

تأليف: حسن بن جمال بن أحمد الريكي

تحقيق: أ.د. عبدالله الصالح العثيمين

دارة الملك عبدالعزيز

صدر عن دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٢٦هـ كتاب "لمع الشهاب" بتحقيق الأستاذ الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، ويعد هذا هو التحقيق الثالث للكتاب، وقد لفت نظري أول ما اطلعت عليه تسجيل اسم المؤلف في غلاف الكتاب بعد أن كان مطبوعًا في المرتين السابقتين تحت اسم "مؤلف مجهول". وقد أخرج الكتاب بشكل جميل ودراسة مهمة شملت مقدمة طويلة نسبيًا، بلغت (٤٣) صفحة. والكتاب ينتهي في الصفحة (٢١٠)، ثم تليه المصادر والمراجع، ثم فهارس أصل الكتاب وشملت الأعلام، والقبائل والجماعات، والأماكن، ثم قائمة المحتويات.

وقد حظي الكتاب بما يتمتع به المحقق الكريم من علم جم وإدراك لأصول البحث والبراعة فيه...

وتقديراً لاهتمام أخي الكريم الدكتور عبدالله، وأملاً في زيادة فائدة القراء الكرام، رأيت من المناسب كتابة هذا التعقيب المختصر على ملحوظاته اللطيفة، جزاه الله خير الجزاء وأكثر من أمثاله.

قسم أخي الدكتور عبدالله ملحوظاته إلى قسمين: عامة وتفصيلية.

أولاً: الملحوظات العامة

وقد ذكر فيها:

١ - أن المحقِّق لم يحاول البحث عن نسخة أخرى.

٢ - أنه لم يضبط عنوان الكتاب.

٣ - أن مقدَّمة المحقِّق في حاجة إلى تجديد؛ لأن ما ورد فيها يكاد ينطبق على الوضع الثقافي قبل عشرين عاماً؛ مثل قوله (ص ١٣): إن نيبور كان أول من ذكر الدعوة أن الفرنسيين يُعدُّون أكثر وأول من تعرَّض لأخبار الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى، كما أشار إلى أن جورج رنتز هو أول من كتب علمياً عن الدعوة، ثم أشار في الهامش إلى رسالته، أيضا، دون غيرها من الدراسات.

٤ - الاعتماد على بعض الفروقات التي أوردها أبو حاكمة وآل الشيخ في تحقيقهما للكتاب من قبل، وبهذا أثقل الهوامش كثيراً بهذه الفروقات.

٥ - أثقل مقدمته بكثير من النقد والنقول المكرورة عن التحقيقات السابقة.

٦ - غابت عنه دراسات مهمَّة عن الكتاب؛ مثل دراسة عبدالواحد راغب المنشورة في مجلة الدارة عام ١٣٩٦هـ، ودراسة مصطفى عبدالغني المنشورة في كتابه عام ١٩٨٠م.

٧ - عدم العودة إلى محاضرة الشيخ الدكتور سلطان القاسمي، الذي قال: إن صاحب اللمع اسمه الريقي؛ نسبة إلى ميناء ريق.

٨ - عدم الترجمة للأعلام الواردة؛ خاصة الأعلام العثمانية منها. انظر ص٥٣ هـ ٦و٧، وص٥٥.

تلك هي الملحوظات العامة التي أوردها أخي الكريم الدكتور عبدالله المنيف على تحقيقي لكتاب "لمع الشهاب".

بالنسبة لنسخ الكتاب فالمعروف لدى كاتب هذه السطور أنه لا توجد له إلا نسخة خطية واحدة موجودة في المتحف البريطاني؛ فإن تبيَّن في المستقبل وجود نسخة أخرى فجدير أن يستفاد منها.

وأما بالنسبة لما قيل عن حاجة المقدَّمة إلى تجديد الخ، فأود أن أشير إلى أنني قلت في تلك المقدَّمة عن نيبور (ص٨): إن كتابته هي أُولى الكتابات التي نقلت أخبار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أوربا؛ وذلك في كتابه الذي ترجمة عنوانه: رحلات عبر جزيرة العرب وأقطار أخرى في الشرق، وأشرت باختصار في هامش تلك الصفحة إلى نيبور ومهمَّة رحلته، وإلى أن كتابه طبع في كوبنهاجن سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م. وما قلته ما زال دقيقاً، فنيبور كان أول أوربي نقل أخبار دعوة الشيخ محمد إلى أوربا. ذلك أن كتابه طبع - كما ذكر سابقاً - عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م. أما الفرنسيون - الذين قال عنهم الأخ عبدالله إنهم أول من تعرَّض لأخبار الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى - فلم يظهر من الدراسات حتى الآن ما يبرهن على أنهم نشروا شيئاً عن تلك الدعوة وهذه الدولة قبل بداية القرن التاسع عشر الميلادي؛ أي بعد ثلاثين عاماً على نشر كتاب نيبور.

وكنت قد تحدَّثت عن المصادر الأوربية، التي أوردت معلومات عن الشيخ محمد، في رسالتي للدكتوراه التي نلت درجتها من جامعة أدنبرا سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. ومن تلك المصادر المصادر الفرنسية، التي من بينها ما ترجمة عناوينها: تاريخ الوهابيين لكورانسير المطبوع في باريس عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، وصف باشوية بغداد لروسو المطبوع في باريس عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، ومذكرات عن أصل الوهابيين لريموند المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م. وقلت: إن تلك المصادر تعطي معلومات عن هجمات أنصار دعوة الشيخ على الأراضي الواقعة شمال الجزيرة العربية في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي؛ أي بعد وفاة ذلك الشيخ بحوالي عشر سنوات، لكنها ليست ذات قيمة بالنسبة للفترة المبكرة من نشاط أنصاره، وإنها - في الواقع - تسهم في إعطاء معلومات خاطئة عن مبادئهم، كما قلت: إنه يبدو أن تلك المصادر قد تأثَّرت ببعض ما كتبه نبيور؛ مثل الادعاء بأن الشيخ محمداً كان ينكر قدسية القرآن ورسالة محمد ﷺ.

وأما ما قلته في مقدمة تحقيق اللمع عن رنتز (ص١٤) فهو: إنه أول من كتب أطروحة جامعية نال بها درجة الدكتوراه من جامعة بيركلي عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م؛ وترجمة عنوانها: محمد بن عبدالوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م) وبداية الامبراطورية التوحيدية في جزيرة العرب. وما قلته ليس هناك ما ينفي صحته. ذلك أن المقول عن الأطروحات الجامعية، ولا توجد أطروحة عن الشيخ قبل أطروحة رنتز.

وأما الإشارة في هامش صفحة ١٤ إلى الرسالة التي نلت بها الدكتوراه فقد قلت: "ممن كتبوا رسائل جامعية عن الشيخ محمد كاتب هذه السطور". وهذه العبارة لا تحصر الكتابة في رسالتي للدكتوراه. والإشارة إليها لأسباب، منها أن الكتاب المعتمد عليها والمنشور باللغة العربية متداول بين أيدي القراء؛ وبخاصة في المملكة، وأنه يشتمل على دراسة للأوضاع المختلفة في وسط الجزيرة العربية قبل ظهور دعوة الشيخ محمد، وعلى دراسة لحياته بالتفصيل، وعلى عرض وتحليل لما كتبه من مؤلفات في الدين، وعلى فصل كامل عن آرائه هو وأنصاره وآراء خصومهم في مسائل عقدية مهمَّة. واشتماله على كل ذلك - إضافة إلى كتابة أصله قبل ٣٥ سنة - يشفع لمن أشار إليه. ومن المعلوم أن هناك كتابات كثيرة عن الشيخ من جوانب مختلفة، ولو لم تكن منها إلا ما قُدِّم في الأسبوع الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عنه لكفى كثرة.

وأما ما ذكر في الهوامش عن أبي حاكمة وآل الشيخ فالمراد بذكره إيضاح ما إذا كانا قد التزما بما قالا: إنهما سيلتزمان به. فقد قال أبو حاكمة في مقدَّمته لتحقيق كتاب اللمع (ص١١): "إنه صوَّب إملاءه على مقتضى القواعد الإملائية المعاصرة. أما الأخطاء النحوية فتركها على حالها مشيراً إلى صوابها في الحواشي". وأوضح آل الشيخ في آخر مقدَّمته منهاج تحقيقه قائلاً: "حاولت قدر جهدي أن يظل الأصل كما هو دون تعديل أو تغيير في النص الذي جاء في

المخطوطة حتى بالنسبة لمخالفة قواعد اللغة العربية أمانة في النقل وإيماناً منا بعرض النصوص كما وردت عند واضعيها". وإيراد ما أورد في الهوامش عن هذين المحققين الفاضلين قصد به المساعدة على معرفة مدى التزامهما بما قالا من عدمه.

وأما ما قيل عن إثقال مقدَّمة تحقيق كاتب هذه السطور بكثير من النقد والنقول المكرورة عن التحقيقات السابقة، فالذي كتب فيها عن تحقيق أبي حاكمة رأي للدكتور عبدالرحمن زكي وآخر للشيخ حمد الجاسر، وثالث لكاتب السطور نفسه. وقد أورد رأي الدكتور زكي لأن له سبقاً في الكتابة عن تحقيق أبي حاكمة؛ إذ نشرت كتابته عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م؛ أي قبل ٤٠ عاماً، ولأن ما قاله يشتمل على ما ينبغي التنبيه إليه. وأورد رأي الشيخ حمد؛ لأنه حجة في تاريخ هذا الوطن، ولأن له سبقاً في الكتابة عن ذلك التحقيق؛ إذ نشر كتابته الأولى عن اللمع سنة ١٣٨٦هـ؛ أي قبل ٤٢ عاماً، ولأنه أوضح الكثير من أخطاء المحقق وأخطاء الكتاب نفسه.

وأما إبداء كاتب هذه السطور رأيه في تحقيق أبي حاكمة وتحقيق آل الشيخ فأظنه غير مؤاخذ على ذلك. وقد كتب عن تحقيق أبي حاكمة صفحتين، وكتب عن تحقيق آل الشيخ صفحتين ونصف الصفحة، ولا أظن في ذلك إثقالاً على القارئ! وكنت قد تحدَّثت عن لمع الشهاب ضمن حديثي عن المصادر في رسالتي للدكتوراه التي قدَّمتها إلى جامعة

أدنبرا عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، وقلت عنه: إنه مشتهر لدى الدارسين لحياة الشيخ محمد، وإن مؤلفه يبدو من المرجح جداً حسن الريكي، الذي ذُكِر في آخره أنه حرَّره. وبعد أن عرضت محتوياته مفصلة؛ مشيراً إلى ما فيها من أخطاء تاريخية قلت: إنه - إضافة إلى تلك الأخطاء - يفتقر إلى تاريخ الحوادث، وإنه - رغم عدم شدة عداوته مقارنة بمصادر معادية أخرى - ليس محايداً كما يعتقد أبو حاكمة، بل إنه يَعدُّ دعوة الشيخ محمد بدعة، وردُّه في آخر الكتاب على ما قال: إنه من أصول تلك الدعوة وفروعها دليل على عدم حياده.

وكنت قد ألّفت كتابًا عنوانه "العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت"، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٤١٠هـ، وقلت في مقَدَّمته (ط٤، العبيكان ١٤١٨هـ، ص ١٩):

تحدث (أبو حاكمة) عن الريكي علي أنه "ناسخ"، وأنه "نسخه" سنة ١٢٣٣هـ"، ومن يرجع إلى أصل الكتاب يجد أنه قيل في آخره: "وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب... كتبه العبد الجاني حسن بن جمال بن أحمد الريكي"، وكلمتا التحرير والكتابة تختلفان عن كلمة النسخ؛ إذ يقصد بهما عادة التأليف. ثم إن الريكي قد ذكر بأنه فرغ من تحرير الكتاب في السادس والعشرين من محرَّم سنة ١٢٣٣هـ، وكان قد أورد خبرًا حدث قبل هذا التاريخ بأربعة أيام فقط، وهذا مما يرجِّح أنه هو المؤلف؛ إذ من المستبعد أن يُتم ناسخ نسخ مؤلف في تلك المدة القصيرة. وبناءً على ذلك فإن من المؤكد تقريبًا أن الريكي هو مؤلف الكتاب".

وأما ما قيل عن قول الشيخ الدكتور سلطان القاسمي عن صاحب كتاب اللمع: إن اسمه الريقي فصاحب الكتاب نفسه كتبه بالكاف، فهل يلام المحقِّق إذا أورد الكلمة كما كتبها صاحب الكتاب نفسه؟

وأما ما قيل عن عدم ترجمة المحقِّق للأعلام فإن الأخ عبدالله لم يذكر إلا ثلاثة من هؤلاء، وقد بيِّن المحقِّق أنه لم يجد في المصادر المتوافرة لديه معلومات عنهم.

ثانياً: الملحوظات التفصيلية

١ - قال الأخ الكريم الدكتور عبدالله المنيف: إن تاريخ ابن غَنَّام: روضة الأفكار طبع في الهند سنة ١٣٣٧هـ، وليس سنة ١٣١٩هـ، كما ذُكر في تحقيق اللمع. وما قاله هو الصحيح، فجزاه الله خيراً على هذا التنبيه، وكان ذكره عام ١٣١٩هـ خطأ مطبعيا.

٢ - قال الأخ عبدالله: أشارت إحدى (وصحتها لغويًا: أشار أحد) المصادر الفرنسية إلى أن مؤلف "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب"، الذي سبق أن حقّقه كاتب هذه السطور ونشرته دارة الملك عبدالعزيز عام ١٤٠٣هـ، لم يكن مجهولاً كما ورد محقّقًا؛ بل إن مؤلفه سليمان النجدي. ولم يذكر الأخ عبدالله المصدر، ولعلّه قصد الإشارة إلى كتابة الزميل الأستاذ الدكتور محمد خير البقاعي، التي نشرت في صحيفة الجزيرة بتاريخ ١٤٢٦/١٢/٢٢هـ، والدكتور البقاعي رجّح في كتابته القيّمة أن يكون اسم ذلك المؤلف سليمان النجدي،

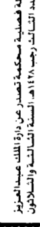
وربما توصّل - إن شاء الله - إلى ما يجعله متأكدا من ذلك، على أن هذه الكتابة -كما يُرى- لم تنشر إلا بعد ثلاثة وعشرين عامًا من نشر ذلك الكتاب محققًا.

٣ - قال الأخ عبدالله في تعقيبه المقدّر: أشار المحقّق إلى عنوان المجد لابن بشر طبع مختصرًا، ثم توالت الطبعات، إلا أن المحقق لم يذكر إلا طبعة واحدة؛ وهي التي اعتمد عليها مع أنها ليست الأجود. أما تاريخ الطبع فكان عام ١٣٢٨هـ.

أما تاريخ طباعة كتاب "عنوان المجد" فما قاله الأخ عبدالله صحيح. وما ورد في هامش تحقيق اللمع خطأ واضح أنه مطبعي؛ إذ لا يعقل أن يكون طبع عام ١٢٣٨هـ، وعمر مؤلفه حينذاك ٢٨ سنة، تحدَّث فيه عن حوادث امتدت إلى سنة ١٢٦٧هـ.

ولقد قال كاتب هذه السطور في إشارته إلى تاريخ ابن بشر: إنه "طبع عدة مرات منها الطبعة الثانية من قبل وزارة المعارف السعودية عام ١٣٩١هـ بتحقيق عبدالرحمن آل الشيخ؛ وهي المعتمدة في هذا العمل". فالإشارة إلى تعدُّد طبعاته موجودة، لا كما قد يفهم من عبارة الأخ عبدالله عدم وجودها. والمحقِّق لم يكن في صدد دراسة تاريخ ابن بشر وتحقيقه حتى يذكر كل طبعة من طبعاته؛ بل كان يريد الإشارة إلى الطبعة التي رجع إليها من تلك الطبعات.

٤ - قال الأخ عبدالله: ذكر المحقِّق أن ابن بشر ذكر سوابقه متفرقة في ثنايا الكتاب في أكثر نسخ كتابه، إلا أن آخر



نسخة من الكتاب - وقد تكون بخطه - جعل فيها ابن بشر سوابقه في أول كتابه، فأصبح منطقي التسلسل يبدأ من عام ٨٥٠هـ، وينتهي بعام ١٢٦٧هـ.

والذي ذكره المحقِّق (ص١٢) أن "مما يلفت النظر أن المؤلف ابن بشر لم يغفل تسجيل الحوادث التي وقعت قبل سنة ١١٥٧هـ؛ بل سجلها؛ ابتداء من عام ٨٥٠هـ لكنه وضعها متفرقة في ثنايا حديثه عن الدولة السعودية؛ وذلك في أكثر نسخ تاريخه". ومن تأمل نسخ تاريخ ابن بشر المخطوطة والمطبوعة يجد أن أكثرها ينطبق عليه ما قيل عن وضعه السوابق متفرقة في ثنايا كتابه. ولقد نصّ ذلك المؤرخ نفسه على ما قام به؛ إذ قال (ص١٦ من طبعة وزارة المعارف الثانية، التي ذكر محققها آل الشيخ، رحمه الله؛ أنها نسخة المتحف البريطاني): "إن بعض من سبق من علماء نجد أرخوا تأريخات، ورسموا ترسيمات قصروا فيها عن المطلوب، ولكن لا تخلو من فائدة في معرفة بعض الحوادث والأماكن وسني الجدب والخصب ومعرفة اختلاف أهل نجد وافتراقهم وتغيُّر عقائدهم قبل ظهور هذا الدين (أي دعوة الشيخ محمد) ومعرفة نعمته بعد ذلك وما جاء في ضمنه، وهي قبل هذا الكتاب متصلة به. فلا رأيت أن أتركها ولا أبدأ بها هذا الكتاب لأن السنين التي بعدها هي التي لأجلها وضع الكتاب... فهي أحق بالتقديم لفضلها وفضل أهلها.. فأردت أن أدخل السنين السابقة بين سني هذه الكتاب منتشرة فيه متتابعة؛ كل سنة سابقة تحت كل سنة لاحقة، والعلامة

عليها قولي: سابقة". ووردت عبارة ابن بشر هذه، أيضًا في نسخ أخرى من كتابه بينها طبعة البابطين عام ١٣٧٣هـ.

على أن سوابق ابن بشر وردت قبل السنوات التالية لها في النسخة الخطية، التي قدّم لها مشكورًا تقديمًا جيدًا الأخ عبدالله المنيف، وأصدرتها مكتبة الملك عبدالعزيز قبل أربع سنوات. ومحقّق كتاب اللمع، كاتب هذه السطور، في ذكره لتاريخ ابن بشر لم يرد دراسة هذا التاريخ - كما سبق ذكره - حتى يتوجب عليه دراسة مخطوطاته وطباعاته المختلفة.

٥ - قال الأخ الدكتور عبدالله: "ذكر المحقّق أن دحلان من أشّد المؤرخين تحاملاً على الدعوة الإصلاحية وإن كنت أعتقد أنه لو اطّلع على ابن عبدالشكور لوجد أنه يفوق دحلان عداوة وتحاملاً وألدّ خصامًا".

ولقد اطّلع المحقّق على كتاب ابن عبدالشكور، واطَّلع على كثير من الكتابات؛ مخطوطة ومطبوعة، المتحاملة على دعوة الشيخ محمد وأنصاره، وبعضها أشدُّ حدة من هذا المؤلف ومن دحلان، ومن بين هؤلاء الحدَّاد. على أني واثق كل الثقة أن القارئ الكريم لن يفهم من عبارة "من أشد" المؤرخين تحاملاً أن المراد القول بأن دحلان أشد المؤرخين تحاملاً. ولقد جمع - رحمه الله - بين ما ذكر في تاريخيه "خلاصة الكلام" و"الفتوحات الإسلامية" من قدح بالدعوة وصاحبها وأنصارها وبين ما كتبه عنها

مستقلاً في كتاب عنوانه: "الدرر السنية في الرد على الوهابية".

٦ - قال الأخ الدكتور عبدالله: "صحح المحقِّق كلمة العضلات، وقال: إن صحتها المضلات، وأنكر على من سبق في تحقيقه للكتاب آل الشيخ، وقال: إنه ذكر أنها المعضلات، مع أن المحقِّق لو رجع إلى لسان العرب لتبين له صحة الكلمة".

ومن يرجع إلى الموضع الذي أشار إليه الأخ عبدالله (ص٤٧، هـ٢) يجد أن عبارة المحقِّق: "هكذا وردت في الأصل (أي العضلات). وأوردها آل الشيخ "المعضلات" دون إشارة إلى كتابتها في الأصل. ولعل صحتها: "المضلات".

فالعبارة تدل على أن الشيخ أورد كلمة غير التي في الأصل دون إشارة إلى تغييره لها، وهذا خلاف ما التزم به في مقدمة تحقيقه. ثم إن الكلمة في الأصل ليس فيها إلا حرف واحد بين "أل" التعريف والضاد، وهذا الحرف يمكن أن يقرأ عيناً أو ميماً، وقراءتها ميماً أقرب إلى الصحة على أساس حمد الله المبين لما يضل وكاشفه. وما دامت كلمة "المضلات" منسجمة من حيث المعنى مع العبارة فهي أقرب إلى الصحة؛ لأنها أيضاً سالمة من إضافة حرف إليها لتصبح "المعضلات" وأما أن كلمة "المعضلات" بحدٍ ذاتها عربية صحيحة فأمر معروف، لكن هذا لا دخل له بمسألة قراءتها في المخطوطة.

٧ - قال الأخ عبدالله: "إن إنكار أسماء الأبناء يجب أن يكون بحذر؛ لأن الأسماء قد تكون لأبناء ماتوا صغاراً، ولم يكن لهم ذكر"؛ وذلك في تعقيبه على ما أشار إليه كاتب هذه السطور (ص٧٢ هـ١) من أنه لم يكن للشيخ محمد ولدان، هما ناصر وعبدالوهاب.

وعبدالرحمن آل الشيخ، الذي هو من أسرة الشيخ محمد وعالم بنسبه، لم يذكر في كتابيه "علماء الدعوة" و"مشاهير علماء نجد" ناصراً وعبدالوهاب من أولاد الشيخ محمد، وكذلك عبدالله البسام في كتابه "علماء نجد".. لم يذكرهما. لكن يظل ما قاله الأخ عبدالله وجيهاً؛ فنفي الأسماء إذا وجدت في مصدر ما ينبغي أن يكون بحذر، ويبقى تعليله أيضاً وجيها. وكان الأولى بكاتب هذه السطور أن يقول: إن المصادر الأخرى كآل الشيخ والبسام لم تذكر الولدين ناصراً وعبدالوهاب من أبناء الشيخ محمد. وعدم ذكرهما ذلك - إضافة إلى أخطاء مؤلف اللمع بنسب الشيخ وكثير من سيرة حياته؛ وبخاصة أسفاره وبداية دعوته في نجد - يرجح أنه لم يكن له ولدان بهذين الاسمين.

٨ - قال الأخ عبدالله: إن اسم عمرو (ص٦٣) الوارد في سلسلة نسب الشيخ محمد صحته عمر، واسم حي البجيري (ص٧٤) صحته البحيري. وما قاله صحيح. فله الشكر على التنبيه إلى ذلك، وله الشكر أيضاً على تنبيهه إلى ترتيب رقمي الهامشين ٢و٣ في صفحة ٨٦. على أن

آل الشيخ، رحمه الله، وضع الاسم عمرو في هامشه على اللمع (ص١٨، ص١). ولعلَّ ذلك كان خطأ مطبعيا.

٩ - قال الأخ عبدالله: إن زعيم بني خالد ورد (ص ص ٨٧ و٨٨ و٩١) باسم عرعر - وهذا خطأ - دون توضيح في الهامش لصحة الاسم المتعارف عليه في المصادر التاريخية وعند أهل المنطقة؛ وهو عريعر.

والواقع أن اسم ذلك الزعيم قد ورد باسم عرعر ليس في اللمع فحسب؛ بل في مصادر أخرى. فنيبور أورده بالحروف اللاتينية (Arar) (ج٢، ص١٣٢). والمؤرخ الأحسائي محمد بن عبدالقادر أورد في تحفة المستفيد (ج٢، ص ص١٢٨-١٣٠). وبعض الأشعار العامية المعاصرة لذلك الزعيم أوردته أيضاً باسم عرعر (انظر: خيار ما يلتقط من الشعر النبط، ج١، ص ص ٧٠-٧٣). فما دامت هذه المصادر قد أوردته باسم عرعر، فما الداعي لتغييره إلى عريعر خلافاً لما أورده صاحب اللمع؟

ما دامت هذه المصادر قد أوردته باسم عرعر. فما الداعي لتغييره إلى عريعر

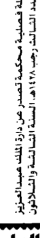
وكون بعض المصادر؛ وبخاصة التي كانت ضده حينذاك، قد سمَّته عريعراً بالتصغير لسبب من الأسباب لا ينفي كون اسمه عرعرا. وكون اسم عريعر أصبح مألوفاً ليس غريبا. فأحياناً يصغَّر الاسم، ثم يصبح هو اللقب للأسرة مع مرور الوقت. وجدُّ أسرة كاتب هذه السطور - مثلاً - كان اسمه عثمان، فصغر لسببٍ ما، وأصبحت أسرته آل عثيمين.

١٠ - أخذ الأخ عبدالله على كاتب هذه السطور رسم كلمة العجمان بضم العين، وقال: إن المعروف أنها مكسورة.

ولقد أورد الاسم بالضم "العُجمان" شيخنا حمد الجاسر، رحمه الله، في معجم قبائل المملكة، (ج٢، ص٤٦٢). والمؤرخ الزركلي، رحمه الله، في شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، (ج١، ص ص ٦٤، ٧٥، ١٠٣ و٢٠٢). وكون العامة تنطق الاسم بكسر العين ليس دليلاً على أن كتابتها بضمها خطأ. ولو كتبت بعض الأسماء وفق نطق العامة لوجب أن تكتب بريدة: "ابريده"، وعتيبة "اعتيبه" وهكذا.

١١ - قال الأخ عبدالله: أضاف المحقِّق (ص١٧٦) عنواناً جعله بين قوسين عن وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، مع أن هذا العنوان ليس موجوداً في المخطوط.

وما قاله صحيح. لكن جعل ما أضيف إلى الأصل بين قوسين يعني أنه ليس منه. بل إنه - إضافة إلى هذا - قد ذكر في الهامش ما يأتي: "مابين القوسين لم يكن في الأصل، لكن لأن المؤلف تحدّث فيه عن وفاة عبدالعزيز أضيف إلى العنوان".



١٢ - قال الأخ عبدالله؛ تعقيباً على ما ورد (ص١٧٦، هـ٥) من أن وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كانت - اعتماداً على ابن غنَّام - في شوال سنة ١٢٠٦هـ: كثيراً ما يتكرر في المصادر جعل وفاته في شوال. وهذا بخلاف الصحيح؛ إذ إن هذا التاريخ المنقول عن ابن غنَّام هو تاريخ ابتداء المرض به. أما تاريخ وفاته الحقيقي - كما

يذكر ابن بشر - فهو في ذي القعدة من السنة المذكورة. فما الذي قاله ابن غنَّام؟

قال (ج٢، ص١٥٤ من طبعة البابطين): وكان ابتداء المرض به - رحمه الله - في شوال ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته". وبذلك يتبيَّن أن ما قاله ذلك المؤرخ هو أن ابتداء المرض وحدوث الوفاة في شوال. أما ابن بشر فقال: وكانت وفاته في ذي القعدة من السنة المذكورة (١٢٠٦هـ). ومن المعلوم أن ابن غنَّام كان معاصراً للشيخ محمد، وعاش أواخر حياته في الدرعية. أما ابن بشر فولد بعد وفاة الشيخ بأربع سنوات. فهل يعتمد الباحث على المصدر الأول: وبخاصة أن صاحبه كان مقرباً من المتحدث عنه أو على من أتى بعده؟

١٣ - قال الأخ عبدالله: إن المحقِّق علّق على كلمة الأوغان الواردة في المتن، فجعلها (ص٢٧٥) الأفغان. وما قاله صحيح. وكان المحقِّق - أورد الكلمة مع الترك وأهل بخارى - قد ظن أن المراد الأفغان. وما دام هناك أناس يسمُّون الأوغان - كما قال الأخ عبدالله - فسوف يصحح هذا - إن شاء الله - إن طبع الكتاب مرة أخرى.

١٤ - قال الأخ عبدالله: إن المحقِّق تحلَّل من ميزة تمييز الشيخ حسين بن محمد بن عبدالوهاب أنواع التمر باللمس، وقال: إن ذلك أمر متيسر. ثم سأل الأخ عبدالله: ما قول المحقِّق فيمن يميز من أهل البادية بين نوع النبات الذي توقد به النار وتعمل عليه القهوة؟

ما واقع هذه المسألة؟ لقد ذكر صاحب اللمع أن الشيخ حسيناً، الذي كان أعمى، كان يميز الأحمر من البسر من الأصفر بالقوة اللامسة. وعلّق المحقِّق على ذلك بقوله: "إن صح ما ذكره المؤلف فمن المحتمل أن أصناف النخل كانت محدودة في العدد في الدرعية حينذاك، وأن تشكُّل أحجام بسرها كان معروفا. ولذا خبر الشيخ مع مرور الوقت تلك الأحجام وأُخبر بألوانها، فأصبح يعرف البسر بلمس حجمه". هل ينطبق كلام المحقِّق مع ما نقله الأخ عبدالله عنه؟ إن الاحتمال الذي قاله المحقق وارد. ذلك أن من غير المرجح - إن لم يكن من المستبعد - أن يعرف الأعمى الون بمجرد اللمس. أما تمييز أهل البادية - وغير البادية ممن تهمهم القهوة - بين قهوة عملت على نوع من الحطب ونوع آخر فهذا يساعد في حصوله الشم والذوق.

١٥- قال الأخ عبدالله: ذكر المؤلف نعومة عباءة الإمام سعود بقوله: يشبه الكلك. فعلق المحقِّق قائلاً: الكلك يبدو اسماً معروفاً زمن المؤلف في منطقة الخليج. والمعروف أن الكلك يقصد به ورق يعرفه المحقِّق جيداً. ولو أن كاتب هذه السطور يعرفه جيداً لقال ذلك.

١٦- قال الأخ عبدالله عن فهارس الأعلام: يبدو أن جهة النشر - وهي دارة الملك عبدالعزيز - هي التي قامت بذلك، فوقع فيها ما وقع من خلل يدل على عدم معرفة لدى الفهرس.

وكاتب هذه السطور يسعده أن يطمئن الأخ عبدالله بأنه هو الذي وضع الفهارس. فإن رأى القارئ الكريم فيها ما رآه من خلل فمسؤوليته تقع عليه وساحة الدارة بريئة منه.

وفي الختام لا يسع كاتب هذه السطور إلا أن يكرِّر التعبير عن شكره للأخ الدكتور عبدالله المنيف على اهتمامه بالكتاب المحقَّق و بتحقيق محقِّقه؛ سائلاً الله أن يكون في هذا التعقيب على مراجعته ما يفيد.

د. عبدالله الصالح العثيمين

الدارة قسيمة اشتراك

السادة / مجلة الدارة

أرغب الاشتراك في مجلة الدارة بعدد (   ) نسخة، وذلك لمدة (   )

ترسل الأعداد إلى: (   )

العنوان

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبد العزيز رقم: ٢٤٦١٢٣٠٠٠٠٠٠٣٠٠ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: / / هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٨٩٤)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبد العزيز رقمه (   ) مسحوب على (   ).

☐ نقدًا

ترسل قسيمة الاشتراك إلى مجلة الدارة

ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٦٢٠١٦ ـ فاكس ٤٠١٣٨٩٤

الاشتراكات السنوية

☐ سنة بقيمة (٢٠ ريالا) أو (٦ دولارات أمريكية)
☐ سنتان بقيمة (٤٠ ريالا) أو (١٢ دولار أمريكي)
☐ خمس سنوات بقيمة (١٠٠ ريال) أو (٣٠ دولار أمريكي)

الدارة
مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز

الدارة قسيمة اشتراك

السادة / مجلة الدارة

أرغب في إهداء الاشتراك في مجلة الدارة، وذلك لمدة (   )

ترسل الأعداد إلى: (   )

العنوان

العنوان: الدولة: المدينة:

ص. ب: الرمز البريدي: الهاتف: الفاكس:

طريقة التسديد

☐ الإيداع في حساب دارة الملك عبد العزيز رقم: ٢٤٦١٢٣٠٠٠٠٠٠٣٠٠ في مصرف البنك الأهلي التجاري في الرياض فرع التخصصي، بتاريخ: / / هـ (ترسل صورة قسيمة الإيداع على الفاكس ٤٠١٣٨٩٤)

☐ شيك مصدق باسم دارة الملك عبد العزيز رقمه (   ) مسحوب على (   ).

☐ نقدًا

اسم المُهدي ________________________________

عنوانه: ص. ب :   الرمز: هاتف:

ترسل قسيمة الاشتراك إلى مجلة الدارة

ص. ب ٢٩٤٥، الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٠١١٩٩٩/٤٠١٦٢٠١٦ ـ فاكس ٤٠١٣٨٩٤

الاشتراكات السنوية

☐ سنة بقيمة (٢٠ ريالا) أو (٦ دولارات أمريكية)
☐ سنتان بقيمة (٤٠ ريالا) أو (١٢ دولارًا أمريكيًا)
☐ خمس سنوات بقيمة (١٠٠ ريال) أو (٣٠ دولارًا أمريكيًا)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز





SUBSCRIPTION FORM

I wish to subscribe to Al-darah for :

☐ One year ☐ Tow years ☐ Five years

Please forward my copies to the following address :

Address

Name ....

Street..

P.O Box................. Code .... Tel.............................. Fax ....

City.......................... Country...

Form of Payment

☐ Certified Cheque drawn to King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives account No. 24612300000300 drawn by the .... Bank.

Subscription form to be mailed to :
P.O Box : 2945, Riyadh - 11461,
Kingdom of Saudi Arabia
Tel : 4011999/2016, Fax : 4013894

Subscription fee :

☐ One year SR. 20 ($6.00)
☐ Two years SR. 40 ($12.00)
☐ Five years SR.100 ($30.00)

al-darah

GIFT SUBSCRIPTION FORM

I wish to subscribe to Al-darah for :

☐ One year ☐ Tow years ☐ Five years

Please forward my copies to the following address :

Address

Name ....

City.......................... Street............................. Country...

P.O Box................. Code .... Tel.............................. Fax ....

Form of Payment

☐ Certified Cheque drawn to King Abdul Aziz Foundation for Research and Archives account No. 24612300000300 drawn by the .... Bank.

☐ Cash.

From .... Address ....
P.O Box...Code ....

Subscription form to be mailed to :
P.O Box : 2945, Riyadh - 11461,
Kingdom of Saudi Arabia
Tel : 4011999/2016, Fax : 4013894

Subscription fee :

☐ One year SR. 20 ($6.00)
☐ Two years SR. 40 ($12.00)
☐ Five years SR.100 ($30.00)

Yaqub Y. al-Ghunaim

King Abdulaziz Al Saud's Historic Visit to Egypt in 1946 as Seen through Texts

The visit of King Abdulaziz to Egypt came following King Farooq's visit to the Kingdom of Saudi Arabia and after the foundation of the Arab League in 1946, after an Arab meeting which was successful in drawing up a charter for the League. King Abdulaziz's visit was the subject of much attention on the political level, whether from the Arab side or the international side, and especially the European states. The British legation wrote a detailed report about the visit from beginning to end. Furthermore, much importance was given to the visit from the media as well as from prominent Arab writers, including Ahmad al-Zayyat, Abbas al-Aqqad and Mahmud Ismail, who composed an ode which incorporated a complete description of the visit, and the poet's hopes and aspirations for its success.

(155 - 202)

TRANSLATED ARTICLES

Work at Kuwait Reopened

By Gerrit J. Pennings

Translated by Turki bin Fahd Al Saud

(203 - 214)

BOOK REVIEWS

Atarif bima anisat alhejrah fi dar malim alhijrah

by: Jamaluddin Muhammad bin Ahmad Almatari,

studied by: Dr. Sulaiman Al-Ruhaili

Reviewed by: Dr. Muhammad A. Al-Qadhat

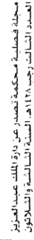
(215 - 230)

REVIEWS AND COMMENTS

(231 - 248)

CONTENTS

ARTICLES

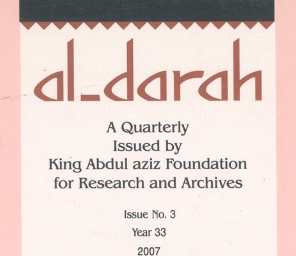





A Quarterly
Issued by
King Abdul Aziz Foundation
for Research and Archives

Issue No. 3
Year 33
2007

Issue No. 3 - Year 33 - 2007


al_darah
A Quarterly
Issued by
King Abdul aziz Foundation
for Research and Archives
Issue No. 3
Year 33
2007